المعالم الحضارية في الشرق الجزائري

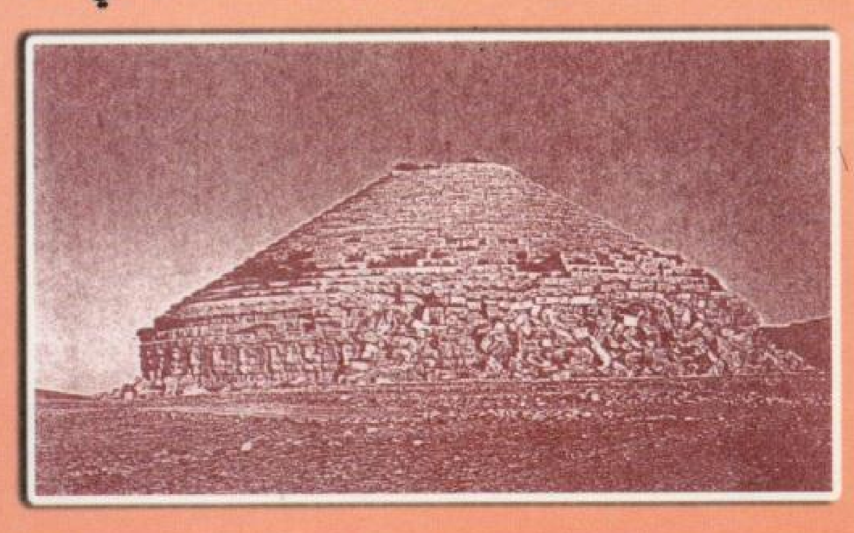
فترة فجر التاريخ

من إعداد وإشراف:

أ. د: محمد الصغير غانم

وبمساهمة الأساتذة:

أ. عبد المالك سلاطنية - أ. زينب بلعابد - أ. ديلمي نادية



دار الهدى

عين مليلة - الجزائر

المعالم الحضارية في الشرق الجزائري

فترة فجر التاريخ

من إعداد وإشراف:

- أ.د/ محمد الصغير غانم

وبمساهمة الأساتذة:

أ. عبد المالك سلاطنية

أ. زينب بلعابد

أ. ديلمي نادية

دار الهدى

عين مليلة – الجزائر

الرقم التسلسلي 132 - 2006 دار الهدى
رقم الإيداع القانوني 3167 - 2006 المكتبة الوطنية
ردمك: 4 - 822 - 60 - 9961

دار الهدى
للطباعة والنشر والتوزيع

المنطقة الصناعية ص. ب 193 عين مليلة - الجزائر
الهاتف: 030.33.28.81/030.33.27.67/032.44.92.00/032.44.95.47
الفاكس: 032.44.94.18/030.33.28.48
Site web: www.elhouda.com / E-mail: darelhouda@yahoo.fr

الفروع:

مكتبة وراقة شركة دار الهدى بـ:

عين مليلة: الحي البلدي
- الهاتف: 032.44.83.57 الفاكس: 032.44.92.67

قسنطينة: حي كوحيل لخضر جنان الزيتون
- الهاتف: 030.20.41.33 الفاكس: 030.20.41.32

الجزائر: 01 شارع أوراس بشير باب الواد
- الهاتف: 021.96.62.20 الفاكس: 021.96.61.11

وهران: 05 شارع زيغود يوسف عمارة الحرية
- الهاتف: 041.40.46.47/041.40.46.89 الفاكس: 041.41.46.54

الإهداء

إلى المناضلين الشرفاء في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954** الخالدة وإلى أجيال البناء والتشييد الذين واصلوا المسيرة بعد الاستقلال **1962** نقدم هذا العمل العلمي الذي يتعلق بامتداد حضارتنا الإنسانية في أعماق الزمن ابتداء منذ فن الرسوم الصخرية والمدافن الحجرية البدائية وحتى الفن المعماري العربي الإسلامي الذي يبرز بصدق معالم حضارة الجزائر المستقلة التي خضبتها دماء شهداء الحرية في أرضنا المعطاة.

أ.د. محمد الصغير غانم

لقائمة المختصرات

A. A. A : Atlas archéologique de l'Algérie

A. F. A. S. : Association française pour l'avancement des sciences.

B. A. C. : Bulletin archéologique du comité des travaux historiques.

B. A. H. : Bulletin d'académie d'Hippone

B. S. G. O. : Bulletin de la société géographie d'Oran

B. S. P. F. : Bulletin de la société préhistorique de France.

H. A. A. N. : St. Gsell, Histoire ancienne de l'Afrique du nord, Paris 1928.

M. A. A. : St. Gsell, Monuments antiques de l'Algérie, T. I, Paris 1901.

R. A. : Revue d'archéologie

R. Anthr. : Revue d'anthropologie.

R. S. A. C. : Recueil de la société archéologique de Constantine.

R. T. : Revue tunisienne

M. E. F. R. :Mélanges d'archéologie et d'histoire de l'école Française de Rome

مقـــدمة

"نقدم هذا العمل العلمي للقارئ الكريم وهو ثمرة جهود اشترك فيها باحثون مختصون في التاريخ القديم دفعتهم الرغبة إلى تناول هذا الموضوع الشائك الذي هو في الحقيقة حلقة ربط بين فترة ما قبل التاريخ بكامل عصوره الحجرية والفترة التاريخية بحقبها المتلاحقة التي أبدع فيها الإنسان الجزائري في ملاحقته ومساهمته المتواصلة في أوجه الحلقات الحضارية التي سجلتها الإنسانية، لاسيما في ميدان الاكتشافات العلمية التي بدأت بسيطة بساطة الإنسان البدائي، ثم تطورت بعد ذلك بمرور الزمن مع تطور العقل البشري، حيث بلغت اليوم ثورة المعلوماتية والقنابل الذكية...الخ."

من هنا تأتي أهمية هذا الموضوع الذي تناول من ساهموا فيه حلقة النقلة الحضارية للإنسان في الشرق الجزائري أثناء فترة فجر التاريخ وذلك من خلال دراسة الشواهد الأثرية التي لا يزال بعضها صامدا يقاوم عاتيات تقلبات الطبيعة وبعضها الآخر يتمثل في اللقى الأثرية التي تزخر بها المتاحف الوطنية.

وقد خلصنا من خلال معايشتنا للموضوع إلى أن محاولات أسلافنا الأوائل كانت لا تقل أهمية عن مثيلاتها لدى معاصريهم، غاية ما هنالك أن تقلبات المناخ وميوله إلى الجفاف بداية منذ العصر الحجري الحديث وعدم توفر الوديان الدائمة الجريان في المنطقة كانت لهما فعاليتهما وأثرهما الكبير في توجيه حياة الإنسان واستقراره وفقا لاحتياجاته اليومية وذلك ما أثر سلبا على تخلفه في مسايرة الركب الحضاري والدخول إلى الفترة التاريخية متأخرا إذا ما قيس بمعاصريه في كل من بلاد ما بين النهرين ومصر وكامل الحضارات التي قامت على شواطئ الأنهار وضفاف البحيرات.

هل وجدت هناك حلقة في التركيب الكرونولوجي التاريخي عرفت بفجر التاريخ؟ أم أنها حلقة مكملة للعصر الحجري الحديث؟، أضيف إليها استعمال الإنسان للمعادن مثل النحاس والبرونز قبل اختراع الكتابة التي هي الخط الفاصل بين فترة ما قبل التاريخ والفترة التاريخية وضمن هذا المنظور، فإن مرحلة فجر التاريخ هي عبارة عن فترة قصيرة تفصل بين الفترتين الكبيرتين البارزتين المشار إليهما آنفا.

المشرف عن الموضوع

تمهيد

- مفـــهوم فـــجر التاريخ:

حتى يتسنى لنا تحديد مفهوم فجر التاريخ في بلاد المغرب القديم عامة والشرق الجزائري خاصة، لابد أن نعود إلى الحقبة السابقة والمعروفة بما قبل التاريخ بعصورها، التي هي عبارة عن وضعية حضارية معينة اتصلت بصناعة الحجارة التي شذبت وصقلت بطرق خاصة، وبعض الصناعات الأخرى مثل الفخار والعظام وتدجين الزراعة، ثم استئناس الحيوانات، وقد ازدهرت في هذه المرحلة الرسوم الصخرية أيما ازدهار. إضافة إلى بداية صناعة الأدوات المعدنية التي تدرجت في التسميات كالنحاس والبرونز، ثم الحديد...الخ.

أما مصطلح فجر التاريخ la protohistoire فإنه يعني تحديد معارفنا على ذلك الخيط الرفيع الذي يتوسط نهاية ما قبل التاريخ ممثلة في العصر الحجري الحديث وبداية الفترة التاريخية ممثلة في المرحلة الليبية-الفينيقية وما بعدهما.

حينئذ؛ نحن نيوليتيون عندما نمارس صقل الحجارة وصناعة رؤوس السهام، ونحن تاريخيون عندما نمارس الكتابة ونؤسس القرى والمدن.

أما حلقة الربط التي تجمع ما قبل الكتابة وفترة الكتابة، فهي التي نسميها فجر التاريخ والتحديد في هذا الموضوع صعب للغاية. فقد دخلت سواحل بلاد المغرب الفترة التاريخية بمجئ الفينيقيين وبداية تأسيس المدن وبقي داخل المنطقة المغاربية يساير حياة ما قبل التاريخ حتى الحقبة النوميدية.

وتجدر الإشارة إلى أن صناعة الفخار لأول مرة وممارسة الزراعة البدائية البعلية، ثم تربية الحيوانات لم يتم في وقت واحد، بل جاءت كلها متدرجة، وهناك من عرفها بالثورة النيوليتية[1].

إننا نغادر ما قبل التاريخ إلى فجر التاريخ، وذلك عندما نترك بعض البصمات في تاريخ البشرية التي تعيش التاريخ، ذلك لأن بشرية فترة التاريخ القديم كانت تهتم بأولئك الذين لا يزالون يعيشون على هامش التاريخ وذلك قصد إدخالهم إلى عالم الأبجدية.

---

(1) - رشيد الناضوري، المغرب الكبير، ج.1، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1966، ص. 123.

أعود وأقول ليس سهلا أن نحدد الكرونولوجي التاريخي لفجر التاريخ في بلاد المغرب القديم، ذلك لأن بداياته لا تختلف عن نهاية النيوليتي. كما أن نهايته هي الأخرى غير محددة.

إن نقص الوثائق الهامة المكتوبة الخاصة بالفترة الفينيقية، جعل آثارها لا تعطي نتائج علمية إلا يوم أن طبق المهتمون بهذا الأسلوب العلمي في أبحاثهم الأثرية التاريخية من ذلك نذكر ما قام به ب.سينتاس (P.Cintas) في دراسته للمستقرات الفينيقية —القرطاجية الساحلية في شمال إفريقيا. وقد توصل في أبحاثه تلك إلى أن الفترة البونية لا تمت بصلة إلى فجر التاريخ، بقدر ما تنتمي إلى الفترة التاريخية[1]

أخلص من كل ما سبق إلى أن فجر التاريخ في بلاد المغرب القديم لا يتوقف على الفترة السابقة له والمعبر عنها بما قبل التاريخ، كما أنه لا يتوقف أيضا على الفترة التاريخية اللاحقة له. ولذلك فإن وجوده يطرح إشكالية تبنى على تحديد الفترة التاريخية نفسها. إن فجر التاريخ في شمال إفريقيا يكتسب شخصية خاصة وذلك على أساس الاختلافات الكبيرة التي يتعارض فيها مغرب ما قبل التاريخ مع الفترة التاريخية.

وفي الواقع، فإن شمال إفريقيا المترامية الأطراف. وحتى في فترة النيوليتي مرتبطة إلى حد كبير بما يجري في الصحراء من حيث المناخ وتحرك الإنسان.

غير أنه منذ الفترة الفينيقية في شمال إفريقيا يلاحظ بروز لمسة حضارية بحر متوسطية تعم المنطقة الساحلية دون النفوذ إلى الداخل فيما عدا في بعض المناطق القريبة.

---

(1) - P. Cintas,Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, Paris, 1954, P.9 -



فجر التاريخ في بلاد المغرب القديم

1. كيفيــــة البحـــث في فجـــر التاريخ
2. التـــدرج التـــاريخي
3. الجـــانب الأنثروبولـــوجي

- فجر التاريخ في بلاد المغرب القديم:

يعرف فجر التاريخ بتلك التغيرات الموجهة التي ارتبطت بظاهرتين هامتين، الأولى منهما مرتبطة بالمناخ المتمثل في الجفاف النهائي للمنطقة الصحراوية، حيث ازدهرت الحضارات النيوليتية. وثانيهما تقنية تمثلت في تطور الأخشاب وادخال القار في طلي القوارب والسفن[1].

وتجدر الإشارة إلى أنه منذ عصور ما قبل التاريخ، كان الإنسان في شمال إفريقيا قد استعمل القبور لدفن موتاه، وبالطبع فإنه مارس طقوسا جنائزية لم تكن معروفة في بدايتها، ذلك لأن البقايا المادية للنياندرتاليين التي عثر عليها في شمال إفريقيا لا تعطينا فكرة على كيفية الدفن تلك وعليه فإن معارفنا حولها تبقى واضحة حتى العصر الباليوليتي اللاحق.

إن بقايا مدافن الإيبيرو-مغاربة في كل من افال بوريمال بالجزائر وتافورالت بالمغرب الأقصى تجعلنا نتأكد من وجود بقايا ضمن نفايات تلال الرماديات التي وجدت في المنطقة المغاربية[2].

و لم تظهر معالم الآثار الجنائزية جيدا إلا باقتراب العصر الحجري الحديث. وقد تمثلت لأول مرة في بقايا مقابر كوليمناطة (Columnata) بتيارت وكذا رمادية رشقون المقابلة للجزيرة التي تحمل نفس الاسم. وكانت بقايا العظام الإنسانية في هذه الأخيرة قد وجدت تحت غطاء من الحجارات والأتربة المختلطة بالرماد في الموقع.

غير أنه بعد مرور فترة طويلة بدأ المغاربة القدماء يعتنون بدفن موتاهم ولذلك خصصوا لهم أماكن في أرضية الكهوف التي كانوا يسكنوها. وحول هذا الموضوع يشير س.جزيل (St. Gsell) في الدراسات التي قام بها في أرضية بعض الكهوف المغاربية، إلا أنه في نهاية فترة ما قبل التاريخ كانت بقايا عظام الموتى وبقايا أغذية الإنسان القديم من عظام الحيوانات تبرهن على مدى الامتزاج[3]

---

(1) - G. Camps, Monuments et rites funéraires protohistoriques, Arts et Métiers Graphiques, Paris, P. 29; L. Balout, Découverte d'un squelette humain préhistorique dans la région de Tébessa, bull. de la soc. d'hist. n° 12, P. 181.

(2) - Histoire nat. De l'Afrique de nord, T. XL, 1949, P. 193 - 195.

(3) -St. Gsell, H. A. A. N., T.I, Paris 1921, P.271-272.

كذلك فإن بقايا اللون الأحمر الذي وجد على جمجمة الجثة التي عثر عليها في الداموس الأحمر بالقرب من تبسة تكشف بأن العظام الإنسانية التي عثر عليها في الملاجئ لم تكن قد أهملت هكذا، بل مارس الإنسان عليها طقوسه الجنائزية المستمدة من اعتقاده بأن اللون الأحمر يعوض الدم الذي يجري في العروق[1].

إن تناثر بقايا عظام الموتى في أرضية كهف العقاب بتونس يدل على التغيرات التي حصلت في دفن جثث الموتى على مر العصور، والتي تجعلنا نعتقد بأن دفن الجثة بعد تجردها من اللحم في الهواء الطلق كان يتم في أرضية الكهوف التي يسكنها الأحياء رغم ما يوحيه ذلك من خوف واشمئزاز لديهم[2].

وعليه فإن إعداد وضع القبور خارج كهوف السكن وخلق ما يسمى بالمقابر الواسعة مثل بونوارة وركنية في الشرق الجزائري يشخص لنا نقلة جديدة في دفن جثث الموتى.مما ترتب عنه تزايد المقابر الميجاليتية الجنائزية التي غطت الكثير من مناطق شمال إفريقيا. في حين اختفت بقايا الدعائم ومنازل الطوب والحجارة التي لم تزود بأسس تحفر داخل الأرض وكل أنواع التجمعات السكنية الأخرى.

إن هذه التغيرات في عادات الدفن والمتمثلة في إبعاد جثث الموتى عن سكن الأحياء يجعل الباحث يلمس الفصل النهائي بين الأحياء والأموات وهو الدليل على بداية مرحلة عرفت بفجر التاريخ لدى الباحثين[3].

تبدو آثار ما قبل التاريخ فقيرة من حيث المدلولات التاريخية التي تعطينا فكرة عن نوعية الحياة والتنظيمات الاجتماعية والاقتصادية التي كان يتابعها الإنسان في تلك الفترة.

غير أن النتيجة التي استطاع الباحثون الوصول إليها هي تأكيد وجود جماعات بشرية مستقرة في المناطق الداخلية في شمال إفريقيا التي كانت لا تدور

---

(1) - L. Balout, Préhistoire de l'Algérie, éd. A.M.G. paris, 1958, P. 95-98;
- P.Barbin, la grotte du Kef-el-Agab (Tunisie), Libyca, anthrop. archéol. préhistorique, TI, 1953, P.271.

(2) - Ibid.p308.

(3) - P. Pallary, Instruction pour les recherches préhistoriques dans le n. ouest de l'Afrique, Alger 1909, ch. XIV, PP. 82-91.

في فلك الدولة القرطاجية، وإن تلك الجماعات تمارس الدفن وبعض العادات الجنائزية الأخرى المختلفة[1].

إن آثار فجر التاريخ في بلاد المغرب القديم غالبا ما تتمثل في تلك الآثار الميجاليتية التي وجدت متناثرة في بعض المناطق. وقد أظهرت الحفريات التي جرت في مواقع تلك الآثار الجنائزية بعض اللقى القليلة التي لا يوجد لها تفاسير أحيانا، وحتى إن وجدت فهي واهية.

غاية ما هنالك أن نوعية بناء تلك القبور والأثاث الجنائزي القليل الذي وجد بداخلها، وكذا الطقوس الجنائزية تعكس بصدق حياة أناس تلك الفترة. وحتى نكون صورة تقريبية واضحة على أناس فجر التاريخ لابد من مراقبة النتائج التي توصلت إليها الحفريات في تلك المقابر الجنائزية ومقارنة أثاثها بذلك الذي يوجد في مناطق الاستقرار المعروفة. والعائق الوحيد في هذه الطريقة هوأن أناس فجر التاريخ لا يزالون مجهولين. وغير ممكن أن نكتشفهم من خلال مقابر غير محددة وممتدة تاريخيا تثبت تأكيد أثاث تلك المقابر، الأمر الذي يجعلنا نسلم مع كثير من الباحثين باستمرارية استعمال تلك المقابر منذ فترة زمنية في القدم حتى الفترة الرومانية[2].

كما تدل تقنية بناء المقابر البدائية البسيطة على التلاؤم مع حياة تلك الجماعات البشرية الريفية التي كانت تتقدم ببطء. وقد احتفظ الفخار المغاربي القديم بمواصفات ووحدة صناعية امتدت عبر العصور بحيث بات يصعب التفريق ومعرفة الكسر الفخارية للأواني التي صنعت في فترة ماسينيسا وبين تلك التي صنعت منذ أزمنة قريبة. وليس بغريب مثلا أن نعثر على صناعة فخارية حديثة في المناطق الجبلية المشابهة لتلك التي توفرت في الماضي سواء أكان ذلك في مقابر البازيناس والدولمن والحوانيت مثل تلك التي عثر عليها في كل من قصطل (Gastel) ومنطقة الأوراس، ثم نقرين (Négrine) وبعض قبور ركنية بونوارة والمواقع القسنطينية الأخرى التي عثر فيها على فخار محلي.

---

(1) - G. Camps, Massinissa ou les débuts de l'histoire, imprimerie, officielle Alger,1961,PP.93-94.

(2) - G. Camps, Monuments et rites funéraires protohistoriques, PP.37-44.

إن الآنية الفخارية العائدة إلى "الفخار النموذجي" (La Céramique modelée) التي قد يعثر عليها مثلا في مناطق أخرى صنفت أدواتها تاريخيا.

بمثل هذه الشروط فشلت كل المحاولات التي ترمي إلى تثبيت تأريخ مقابر فجر التاريخ في بلاد المغرب القديم اعتمادا على الأثاث الجنائزي الذي استخرج منها.

إن المؤشر الذي يجعل الأثاث الجنائزي العائد إلى الفترة السابقة للقرن الثالث ق.م منعدم في القبور الدولمينية يؤكد في نفس الوقت أن البضائع القرطاجية المصنعة لم تنفذ إلى داخل بلاد المغرب القديم إلا ببطء شديد. وبذلك يمكن أن نقول أنه مرت عدة قرون بين فترة وصول البحارة الفينيقيين واستقرارهم على السواحل الإفريقية وبين إقبال المغاربة القدماء المستقرين في داخل المنطقة على اقتناء بضائعهم المصنعة عن طريق المبادلة[1].

وعليه يمكن أن نميل إلى الرأي القائل بأن تركيبة المجتمع المغاربي القديم كانت ريفية ذات طابع بدوي. وقد استمرت على ذلك أثناء فترة التاريخ القديم إلى درجة أن نسبة المتحضرين كانت ضعيفة بين السكان المحليين الخارجيين على المجال القرطاجي.

كما يلاحظ أيضا بأنه خارج المدن الفينيقية وتلك التي أسسها القرطاجيون على السواحل الإفريقية وبعض الجزر القريبة منها، كان يسود هناك نوع من الفراغ العمراني فيما عدا بعض المدن النوميدية التي أشارت إليها نصوص المؤرخين القدماء وذلك منذ القرن الثالث ق.م[2].غير أن تلك المدن التي أسسها السكان المحليون، لم تكن في الواقع سوى تجمعات وحصون يلتجئون إليها وقت الحاجة، ولم يبق من آثارها إلاّ المدن الرومانية التي بنيت واستمرت في نفس المواقع وذلك مثل مدينة دوجة ومكثر وتبسة وقالمة، ثم سيرتا التي تعتبر كلها ذات نشأة محلية نوميدية.

---

(1) - Dr. P. Roffo, Sépultures indigènes préislamiques en pierres sèches étude sur trois nécropoles de l'Algérie centrale, rev. Afri., T.82, 1938, PP. 197- 240.

(2) - M. Euzennat, L'archéologie marocaine en 1955-1957, bull. d'archéol. marocaines, T. II. 1957, PP. 99-229.

مهما كان غموض فترة ما قبل التاريخ، يبقى الأثاث الجنائزي هو الوثيقة الوحيدة الأثرية الدالة على تلك الفترة. غير أن الإشكالية تكمن في أن ذلك الأثاث كان مكونا من أدوات تتصف بالظرفية و لم تستعمل بصفة دائمة، ومن المستحسن حينئذ أن نعرف مميزاتها الأساسية، ذلك لأنها الشواهد الوحيدة التي تشير إلى ذلك الماضي الذي يمكن أن نسمي حضارته بالحضارة الريفية المغاربية.

إن الحقيقة التاريخية تفرض علينا أن نقول بوضوح أنه لم تكن هناك نصوص قديمة تؤكد وجود أواني فخارية في المقابر الميجاليتية القديمة تتمتع بمواصفات أواني المستقرين حاليا في المنطقة وأن المقابر التي احتوت على الفخار كانت قريبة من مناطق الزراعة البعلية في الداخل التي مارس أصحابها فلاحة الأرض، وكانوا يأكلون القمح مثل ما أشار إلى ذلك المؤرخ الإغريقي هيكاتوس المليتي[1].

تجدر الإشارة إلى أنه يمكن التوصل إلى تحديد تاريخ الأثاث الجنائزي لفترة ما قبل القرن الثالث ق.م اعتمادا على فخار دولاب الخزاف الذي يعتبر فخارا مجلوبا وذلك بناء على ما ذهب إليه س.جزيل وب. سنتاس وكامبس. هذا الأخير الذي قارن "إناء الماء الفخاري" (Une gourde) من النوع القبرصي الذي عثر عليه بمتحف سيرتا والذي جلب من دولمن بوشان (Bou chène) بذلك الذي عثر عليه ب. سينتاس بتيبازة والذي تقترب صناعته من القرن الرابع قبل الميلاد[2].

كذلك يمكن أن نؤرخ فخاريات المقابر الجنائزية التي عثر عليها بموقع تل سيدي سليمان وتلك التي عثر عليها أثناء التنقيبات التي جرت في كل من موغادور (Mogador) وبنسا (Banassa) بالمغرب الأقصى، بما قبل القرن الرابع قبل الميلاد. وهو دليل على التبادل التجاري الليبي الفينيقي الذي كان يتم خلال تلك الفترة ونفس الشيء يقال في المقابر الساحلية بالنفيدة بالساحل التونسي التي لم يعثر فيها على فخاريات دولاب الخزاف.

---

(1) - A. Mahjoubi, les cités romaines de Tunisie société tunisienne de diffusion, Tunis, sans date, PP. 9-29.; St. Gsell, H. A. A. N., T. VI, P. 232.

(2) - P. Cintas fouilles puniques à Tipasa, Rev. Afri,. T. XII, 1948, PP. 263-330.

أما عن فخاريات مقابر رشقون بالغرب الجزائري، فإنها تعود إلى القرنين السادس والخامس ق.م، وهي من نوع الفخار النموذجي (Modelés).

وعلى العموم يمكن أن تسمح لنا دراسة الطقوس الجنائزية إلى جانب الفخار معرفة وجود أناس مستقرين وآخرين متنقلين في مناطق مختلفة من بلاد المغرب القديم، لاسيما في المنطقة الشرقية منه والتي كانت تقطنها القبائل النوميدية وتلك السهول الموجودة على المحيط الأطلسي التي كانت تؤمها القبائل المورية. وتبرهن بقايا آثار فجر التاريخ على وجود تركيبة اجتماعية جديرة بالاهتمام. (أنظر الشكل رقم 1 ص. 14)



بازيناس تديس ذات الدفن الجماعي

الشكل رقم 01

عن بناء المعابد والأضرحة الكبرى في بلاد المغرب القديم يجعلنا نفترض أنه كانت هناك تجمعات هامة من اليد العاملة شاركت في بناء تلك الأضرحة الضخمة المشار إليها في حد ذاته يبرهن بما فيه الكفاية على مدى استفادة الحضارة المغاربية

القديمة بفن العمارة المشرقي الإغريقي، وهو دليل قاطع على أن المغرب القديم لم يكن منغلقا على نفسه منذ القرن الثالث ق.م على أقل تقدير[1].

ويستفاد من المدافن القديمة المتوافرة بالقرب من ضريح مدراسن بأن السكان النوميديين القدماء كانوا في بداية الأمر يتجمعون في شكل عائلات كبيرة أو فيديراليات يرأسها أشخاص أقوياء لهم مكانتهم في المجتمع سواء أكان ذلك في شكل رؤساء قبائل أو أغاليد[2].

وبصفة عامة نقول، إنه إذا كانت القرى والمدن خلال فترة فجر التاريخ في داخل بلاد المغرب القديم نادرة، وأن التجارة بين سكان السهول والجبال كانت منحصرة في بعض المبادلات التلقائية البسيطة، فإنه كانت هناك علاقات تمثلت في التعامل مع المدن الفينيقية الساحلية، وعلى ذلك فإن العثور على مدينة تديس على تمثال سفانكس (Sphynx) مصنوع من البرونز عائد من خلال نوعية صناعته إلى القرن السادس ق.م يجعلنا نقر بتلك العلاقات التي كانت بين الداخل والسواحل[3].

كذلك يمكن أن نلمس تلك العلاقات بين سواحل بلاد المغرب القديم وداخله ممثلة في تلك الكسر الفخارية البونية التي عثر عليها في سهل الشلف والعائدة إلى القرن الرابع ق.م.

أما عن وجود الفخاريات البونية بسيرتا، فإنه لا يستبعد أن تكون قد استقرت بها جالية فينيقية تمارس التجارة مع السكان المحليين وتعمل على خدمة عبادة الإلهين بعل حمون والإلهة تانيت بني بعل، وذلك منذ القرن الثالث ق.م. وفي نفس العصر انعكس أسلوب الصناعة الفخارة البونية– الإيبرية على فخاريات مناطق المغرب الأقصى مما

---

(1) يعود تشييد بناء المدراسن إلى القرن الثالث ق.م، وه وعبارة عن تقليد وتطور لقبور البازيناس المحلية، يضاف إليها اللمسات المعمارية الإغريقية (الأعمدة الأيونية) والحلق المصري المشرقي، لمزيد من المعلومات أنظر؛

- G. Camps, Monuments et rites funéraires.. P.209, Pl., XI.

(2) الإغلـــيد: هوحاكم عسكري ومدني في نفس الوقت وهو يقابل السوفيت عند الفينيقين، غاية ما هـــناك أن هذا الأخير هوعبارة عن قاض حاكم وقد كان كل من سيفاقس وماسينيسا يحملان لقب إغليد وملك في نفس الوقت.

- St. Gsell, H. A.A.N., T.IV., P.133 et T. VI, P.83.

(3)

جعله يأخذ طابعا خاصا وجدت بقاياه في الطبقات العميقة في مدينة بنسا (Banassa)، وفولوبليس (Volubilis) بالمغرب الأقصى.

بناء على ما سبق، يمكن أن نقول بأن بلاد المغرب القديم كانت قد بدأت تحضر نفسها منذ فجر التاريخ لأن تلعب دورا في تاريخ البحر المتوسط.

1. كيفية البحث في فجر التاريخ:

تبقى مواصفات وطرق البحث في فجر التاريخ –رغم وجود بعض النصوص النادرة– غير واضحة، ذلك أن الباحثين الأثريين الذين درسوا هذا الميدان كانوا يعطون أهمية للبحث الأثري عن الأدبي التاريخي ومع أن البحث الأثري أيضا لا يفيد في كتاب تاريخ القبائل غير المستقرة والمجموعات البشرية التي هي في طريق التكوين الحضاري، ذلك لأن مخالفتها الحضارية تكاد لا تذكر فإن دراسة فجر التاريخ يمكن معالجتها اعتمادا على الوثائق المادية والكتابية القليلة. وهو الامتياز الذي لا يتوفر في فترة ما قبل التاريخ والذي يعتمد في دراسته إلا على بقايا الحجارة ونوعية تهذيبها، وبذلك فإن دراسته تخضع للبناء التعسفي الذي يعتمد على الفرضيات والمقارنات والتدرج في التشذيب.

بناء على ما سبق، فإن طرق دراسة آثار فجر التاريخ تكون مرنة إذا ما قيست بمثيلتها في ما قبل التاريخ التي تعتمد كما أشرنا إلى ذلك على تشذيب الحجارة ودراسة التطابق الأرضي والأحكام التعسفية. وبالمقابل فإن دراسة آثار فجر التاريخ ليست لها سهولة الآثار الكلاسيكية التي يمكنها الاعتماد على دراسة النصوص الكتابية في شرح كثير من القضايا.

وهكذا يمكن أن نقول أنه بالنسبة للفترة التاريخية، فإن الآثار تكون فيها عبارة عن أداة مراقبة تجعل الباحث في كثير من الأحيان يثري ويعمق معارفه[1].

على غرار البحث في ما قبل التاريخ، فإن الباحث في آثار فجر التاريخ يدرس هوالآخر البقايا المادية مثل الفخار والأدوات المعدنية كالحلي وكذا العظام المتبقية في المقابر الميجاليتية، وكلها أشياء ترشدنا لكيفية ونوعية الحياة والعلاقات التي كانت متوافرة عند أصحاب الموقع الأثري.

---

(1) - St.Gsell, H.A.A.N, T2,P P.213- 282.

كما أن الفترة اللاحقة للنيوليتي والتي عرفت بفجر التاريخ كان الجزء الكبير منها معاصرا للفترة البونية. وقد كان للسكان المغاربة القدماء فيما بعد اللمسات المعمارية ولوأنها كانت بدائية وتمثل ذلك في الأوابد والقبور الجنائزية التي كان البعض منها يحمل لمسة معمارية بدائية. وفي غالب الأحيان كانت تلك المقابر المشار إليها آنفا خالية من الأثاث الجنائزي أو فقيرة منه للغاية[1].

ومن جهته يعد س.جزيل مؤرخا أكثر منه أثريا، لذلك نراه يبحث في المواقع الأثرية عله يعثر على معطى أدبي تاريخي يحدد به الجانب الكرونولوجي أو الترابط الزمني، للعصور التاريخية التي درسها. وبما أنه لم يعثر في المقابر الميجاليتية على بقايا حجارة السيلاكس (Silex) التي تحدد التعامل التجاري، فإنه بقي عليه اللجوء إلى الوثائق البونية والرومانية ولو أن استعمالها كان متأخرا[2].

بناء على ما سبق، فإن فكرة الترتيب التاريخي لفترة فجر التاريخ في شمال إفريقيا تبقى دائما حبسا على ما وجد في المقابر الميجاليتية وعلى نوعية هندسته المعمارية الجنائزية وهي القاعدة الضرورية التي لا تقدم إلا افتراضا نسبيا، ذلك لأنها غير كافية ولذلك فإن المؤرخ يحتاج إلى دراسة شكل تلك المقابر وطريقة بنائها وتنظيمها من حيث الانتشار في المنطقة [3].

وتجدر الملاحظة إلى أن معظم المنقبين الذين باشروا أعمالهم في مقابر الدولمن والبازيناس في شمال إفريقيا كانوا يهتمون بدراسة ما قبل التاريخ سواء أكانوا مختصين أو مهتمين به أكثر من اهتمامهم بالآثار الكلاسيكية. ومن هؤلاء المختصين فيما قبل التاريخ نذكر م. ريجاس ((M. Reygasse وأ. ديبروج (A. Debruge) ورلودي (R. Le Du) وف. لوجار (F. Logeart) وقد اعتمد الباحثون المشار إليهم على آراء س.جزيل وفرضياته، ثم حاولوا دراستها وفي الأخير توصلوا إلى أن تاريخ تشييد واستعمال مقابر دولمن في شمال إفريقيا لا يتجاوز القرن الثالث ق.م[4].

---

(1) - G. et H. Camps, la nécropole mégalithique du djebel Mazelaà Bounouara, éd. A.M. G., Paris, 1964, PP. 7-14.

(2) - St. Gsell, H.A.A.N.,T.VI, 1927, PP. 232 - 235.

(3) - G.Camps, la nécropole de Draria El-Achour, Libyca, archéol. epigraph., T. III, 1955, PP. 225 - 264.

(4) - St. Gsell, H.A.A.N., T. VI, PP. 232 - 236.

وبدوره يشير م. ريجاس إلى أنه بعد أعمال س. جزيل التي توقفت في سنة 1927م، لم يظهر هناك أي تقدم في ميدان معرفة فترة فجر التاريخ في المنطقة[1].

وهنا أود أن أشير إلى أن س. جزيل يرى في أعماله الخاصة بتاريخ المغرب القديم أن هناك هوة تفصل بين المحطات الدولمينية الأوروبية وبين تلك الموجودة في شمال إفريقيا، ثم يركز في رأيه ذلك على الفروق الشاسعة المعتمدة على المظهر الخارجي للأثاث الجنائزي. كما أن هناك فروق أخرى تتمثل في عدم تواجد الماهير (Les Menhirs) والكروملش (Les Cromlechs) الحقيقية.

وعليه، فإن الخلاف غالبا ما يتمثل في أن قبور الدولمن الإفريقية تبدو صغيرة الحجم إذا ما قيست بمثيلتها في أوربا، يضاف إلى ذلك خلوها من الممرات المغطاة، فيما عدا ما وجد في موقع الليز (Ellez) بتونس[2].

2. التدرج التاريخي:

لقد بدأت بحوث فجر التاريخ في الجزائر منذ حوالي بداية القرن العشرين وكانت سابقة لتلك الخاصة بما قبل التاريخ، وعكس هذه الأخيرة، فإن التاريخ لم يتلق الدعم الكاف من قبل علماء ما قبل التاريخ و لم تضم دراسته أو حقبته إلى الفترة التاريخية.

وعليه، فإن ما يطلق عليه فجر التاريخ في شمال إفريقيا لا يزيد على أنه تلاعب ذهني بالمصطلحات أو نظرة خاصة لوقائع متعلقة ببداية الفترة التاريخية، غاية ما هنالك أنها تمثل خط التماس بين فترتين مختلفتين من حيث الطرح والمصادر لكنها تخدم كلا منهما بحثا عن الانسجام التاريخي[3].

إن عدم توفر المختصين والمنهجية وبقاء كثير من الوثائق المادية الأثرية في غرف وأقبية المتاحف دون دراسة هي التي كانت وراء بقاء دراسة فجر التاريخ في المهد، والحال أنها فترة ربط تاريخي هام بين حقبتين مختلفتين في التدرج

---

(1) - M.Reygasse,les âges de la pierre dans l'Afrique du nord (Algérie), Histoire et historiens de l'Algérie, 1931, PP. 37 - 70.

(2) - M.Reygasse, Monuments funéraires préislamiques de l'Afrique du nord, A. M.G., Paris 1950, P. 118.

(3) - A.Ruhlmann, le timulus de Sidi Slimane, bul. de la soc.de préhistoire du Maroc, T. VII, 1939, PP. 37 - 70.

وثانيهما في الفترة التاريخية، ولذلك وجب الاهتمام بها. وقد كان الاهتمام بالتدرج التاريخي من بين المعضلات التي لم تأخذ الاهتمام الكاف للدارسين القدماء الذين جعلوا فترة فجر التاريخ عبارة عن فترة سابقة للفترة التاريخية، لكنهم لم يبينوا بالضبط متى تبتدئ ومتى تنتهي.

وفي المغرب القديم كانت التأثيرات التاريخية قد تضاعفت منذ نهاية الألف الثانية قبل الميلاد تحت سيادة صور أولا ثم قرطاجة ثانيا وروما فيما بعد وهوما يعرف بالتأثيرات الاستعمارية القديمة وذلك ما جعل المغاربة القدماء النيوليتيين ينسحبون إلى الداخل إلى حيث لا يستطاع اللحاق بهم، ومع ذلك فقد غزاهم استعمال المعادن وفخار الدولاب الخزاف[1].

وهناك من الباحثين من يشك في أن المعاصرة الحضارية غير متساوية بين السكان المحليين والتأثيرات الأجنبية تحت ضغط خارجي. يخلص هؤلاء الباحثون إلى أنه لا يوجد هناك ما يسمى بعصر المعادن المحلي. ومقابل ذلك يمكن أن نعثر على النقوش الليبية البسيطة والمزدوجة اللغة (ليبية — بونية). وفي غرف القبور الدولمن توفر الفخار القرطاجي[2].

وهكذا يبدو أنه بالرغم من التشابه المعترف به بين مقابر الدولمن الأوربية والشمال الإفريقية وذلك منذ قرن من الزمن، فإنه يبدو أيضا مستحيلا دمج القبور الميجاليتية الإفريقية في مجموع المقابر الميجاليتية الأوربية بصفة عامة، غاية ما هنالك أن الميجاليت الإفريقي، لم يكن معزولا في منطقة البحر المتوسط، فله ما يشبه في جنوب شرقي إسبانيا وكامل جزر البحر المتوسط وجنوب إيطاليا[3].

وعليه، فإنه يمكننا القول، بأن المقابر الميجاليتية في شمال إفريقيا تلتقي مع تلك البحر متوسطية التي تطورت أثناء عصر البرونز وبداية عصر الحديد. غير أن ما يلاحظ هو أن التطور في شمال إفريقيا كان يتم بطيئا وأحيانا أخرى منعدما، الأمر الذي جعل مقابرها تحتفظ بأشكالها القديمة حتى فترة متأخرة تاريخيا.

---

(1) - G.Camps, céramiques des monuments mégalithiques, collection du musée du Bardo, Alger, 1952, PP. 513 - 550.

(2) - Ibid, P. 526.

(3) - Dr. Bertholon et E. Chantre, recherches anthropologiques dans la Berberie orientale, (Tunisie, Algérie), Lyon, 1931, P. 598.

ووفقا للمنظور السابق، فإن مقابر فجر التاريخ الميجاليتية في منطقة البحر المتوسط، لها شخصيتها وترتيبها الخاص بها ولذلك فإن التدرج التاريخي في المنطقة لا يكون حقيقيا إلا إذا اعتمد على دراسة أثاثها الجنائزي أو مظهرها القزمي من حيث شكل البناء إذا ما قيست بالدولمن الأوربية.

3. الجانب الأنثروبولوجي:

لم تتضح معالم هوية المغاربة القدماء أثناء الفترة التاريخية، بل بقيت تلك الهوية الغامضة بمثل ما كانت عليه قبل ذلك.

إن ضياع الكتابات القرطاجية كانت قد أطالت عهد فجر التاريخ في شمال إفريقيا. كما أن الثقافة الإغريقية في شمال إفريقيا والتي لم تمتد إليها يد الرومان بالتهديم أو التشويه كانت هي الأخرى متأخرة في الدخول إلى المنطقة. إذا تساءلنا عن الشروط التي يمكن بواسطتها تحديد الجانب الأنثربولوجي للإنسان المغاربي القديم لابد أن نعود إلى الوراء ولو قليلا لنتصفح بقايا مخلفات الإنسان القفصي والإيبيروالمغربي ممثلا في إنسان مشتى العربي ثم نتدرج بعد ذلك إلى الإنسان النيوليتي وبقايا فجر التاريخ. وهنا لابد أن نشير إلى أن القفصيين البحر متوسطيين، لم يعرفوا إلا بنسبة قليلة وذلك من خلال بقاياهم الأثرية العظمية، كما أن أحفادهم النيولتيين والفجر تاريخيين لم يتركوا إلا بقايا عظمية متفرقة في المنطقة القفصية، لاسيما في الشمال الشرقي الجزائري وشمال غرب تونس. من ذلك مثلا قابل ب. روايي (P. Royer) بقايا رؤوس القفصيين ذوي الملامح الزنجية الذين عثر عليهم في موقع مساكنه بالشرق الجزائري برؤوس الطوارق[1].

غير أنه ليس هناك ما يثير الإهتمام في بقايا العظام البشرية التي عثر عليها في الداموس الأحمر بالقرب من تبسة[2].

هذا بالنسبة للقفصيين ذوي الملامح الزنجية أما الإيبيرو-مغاربة، فإنه ليست لنا شواهد هامة يعتمد عليها فيما عدا تلك التي عثر عليها في أطراف بلاد

---

(1) - L.Balout, les hommes préhistoriques du Maghreb et du Sahara, 1954, Gisement N°53.

(2) - Ibid, Gisement N° 54.

المغرب القديم مثل البقايا العظمية التي عثر عليها في موقعي كهف العقاب (Kef-El-Agab) بتونس ودار السلطان بالمغرب الأقصى. ففي كهف العقاب يذكر الدكتور فالوا (Dr Vallois) إن مجموعة عظام المواقع البشرية التي تنتمي إلى الجنس الأبيض وذلك اعتمادا على ملامح بقايا جثث أناسها، وليس بينها ما ينتسب إلى الجنس الزنجي. وقد تواصلت أنواع هذا الجنس (الأبيض) ممثلة في المغاربيين البحر متوسطيين الحاليين[1].

أما عن بقايا إنسان مشتى العربي أو ما يعرف بالإيبرو-مغاربة أو "الإنسان المشتوي"، فقد تركزت بقاياهم العظمية في المنطقة الساحلية والتلية وبعض المناطق الداخلية المغاربية. وعلى سبيل المثال فقد وجدت بقايا تلك المجموعات البشرية في كل ملاجئ الضباع وجبل الفرطاس بالأوراس وكدية الخروبة بالقرب من الجزائر العاصمة غير أن الباحثين ليسوا متأكدين من وجود تلك البقايا في موقع علي باشا بالقرب من بجاية. ولا يستبعد أن وجود مثل هذه النوعية البشرية النيوليتية كان قد تواصل حتى فجر التاريخ في بلاد المغرب القديم[2].

ومن جهته يحاول ر.فوفري (R. Vaufrey) أن يربط بين مصر القديمة وبقية شمال إفريقيا أنثروبولوجيا وذلك منذ فترة النيوليتي. وكان الطريق الذي سلكته تلك الروابط البشرية هو منطقة الصحراء المغاربية الشرقية. وأن عبادة قرص الشمس الذي يحمله الكبش آمون على رأسه يعزز تلك العلاقات، لاسيما وقد وجد ما يشابهها في الرسوم الصخرية المغاربية في كل من رسوم كباش الجنوب الوهراني ومنطقة آفلوا بالأغواط[3].

بصفة عامة كانت بقايا العظام الإنسانية التي اكتشفت في المقابر الميجاليتية العائدة إلى فجر التاريخ قريبة من عظام الإنسان الحالي في شمال إفريقيا و لم تظهر عليها علامة ثقب عظام الرأس مثل ما كان يعمل به في فترة النيوليتي، كما أنه

---

(1) - Ibid, Gise, N° 53.

(2) - P.Barbin, la grotte du Kef-El-Agab (Tunisie) Gisement néolitique, Libyca, T. I, 1953, P.30.

(3) - G. Souville, "les grottes à ossements et industries préhistoriques de l'oust d'Alger", Libyca, T. I, 1953, PP. 17 - 53.

يعثر أيضا في مقابر الدولمن تلك على فؤوس حجرية مصقولة أو أي أدوات أخرى معدنية تعود إلى العصر النحاسي أو البرونزي.

وكل الأدوات المعدنية كانت تتمثل في الحلي يضاف إليها الفخار وأشياء أخرى غير معروفة الاستعمال عائدة إلى فترة متأخرة مصقولة أو أي أدوات أخرى معدنية تعود إلى العصر النحاسي أو البرونزي. وكل الأدوات المعدنية كانت تتمثل في الحلي يضاف إليها الفخار وأشياء أخرى غير معروفة الاستعمال عائدة إلى فترة متأخرة وكثيرا ما تظهر عليها تأثيرات حضارات البحر المتوسط التي قد تركت بصماتها ظاهرة للعيان على السكان المحليين[1].

وبدورها تبدو عظام الجثث الإنسانية التي عثر عليها في المقابر الميجاليتية بشمال إفريقيا متطورة إلى حد ما إذا قيست بتلك العائدة إلى العصور الحجرية السابقة. وقد لمس الباحثون في عظام تلك الجثث وجود بقايا عنصر الإنسان الأبيض والإنسان المحلي الليبي الذي امتزجت عظامه في الإنسان الزنجي مما جعلهم يتأكدون من وجود هجين بين هؤلاء السكان.

وعلى هذا الأساس فإنه من الناحية الأنثربوبولوجية والأثرية يوجد فراغ بين الأجيال يمكن أن يتقارب أو ينمحي بتوالي الدراسات الأنثروبولوجية في المنطقة المغاربية[2].

ومن جهته يرى س.جزيل أن القبور الدولمينية في شمال إفريقيا لم تحاك القبور الفينيقية السردابية التي كانت متوافرة على السواحل، بل العكس من ذلك، فإن الفينيقيين هم الذين قلدوا في بعض الأحيان القبور الميجاليتية، لاسيما قبل إشعاع حضارتهم على السكان المحليين[3].

في نهاية هذا الموضوع يمكن أن نتساءل عن الشروط التي يمكن بواسطتها تحديد بصمات انتهاء فجر التاريخ في المنطقة المغاربية، ذلك لأن أدواته الأثرية كانت لا تختلف عن أدوات الآثار الريفية أثناء الفترة التاريخية في منطقة شمال إفريقيا؟ فالآثار التاريخية الريفية كانت تتطور ببطء، ضف إلى ذلك أن الباحثين الأثريين والمؤرخين كانوا قد وجهوا عنايتهم في بداية الأمر إلى النمو، لاسيما

---

(1) - J. Vercoutter, l'Egypte ancienne, Paris, 1947, PP. 56 - 57.

(2) - M.Reygasse, monuments funéraires préislamiques de l'Afrique du nord, éd. Arts et métiers graphiques, Paris 1950, P. 118.

(3) - Ibid, P. 68.

ذلك الذي لم يتفينق أو يترومن، بل بقي أصحابه يعيشون على هامش التاريخ[1].

وعلى هذا الأساس، فإن الحديث عن وضع شروط معالم تحدد فجر التاريخ وفقا للدراسات الحالية يصبح ضربا من الخيال ولا يخضع للمقاييس العلمية. غاية ما هنالك أن التسمية تبقى مستمرة حتى يظهر ما يدعم حلقة الربط تلك التي تقرن بين حقبتين تاريخيتين مختلفتين إحداهما تعتمد على المصادر المادية وتنتمي إلى ما قبل التاريخ (فترة النيوليتي) وثانيهما تاريخية يرتكز البحث فيها على مصادر المادية والنصوص الكتابية وتعرف بالفترة التاريخية.

---

(1) - St.Gsell, H.A.A.N., T. VI, P.175.

الفصـــــل الثاني

- مفهوم المقابر الميجاليتية وأنواعها

1. مفهوم المقابر الميجاليتية
2. أنواع المقابر الميجاليتية

أ- قبور التيميلوس

1. التيميلوس الخالي من الغرفة الجنائزية
2. التيميلوس الذي يحتوي على غرفة جنائزية
3. التيميلوس الذي يحتوي على تابوت حجري

ب- قبور البازيناس.

1. البازيناس المقببة
2. البازيناس المدرجة
3. البازيناس ذات القاعدة الأسطوانية
4. البازيناس المتعددة القبور
5. البازيناس المتطورة

– مفهوم المقابر الميجاليتية وأنواعها:

1.مفهوم المقابر الميجاليتية:

شهد القرن الماضي، ثورة جديدة في ميدان الاهتمام بالآثار وصاحب تلك الثورة ميلاد العديد من المصطلحات الجديدة التي لم تكن معهودة في القرون السابقة.

إن الإنسان الذي بدأ يفكر منذ أواسط العصر الحجري القديم في عملية دفن الميت ومواراة ذلك الجسد الهامد في التراب، معبرا بذلك عن سلوك فكري وبالتالي محققا إنجازا ماديا تمثل في بقايا الدفن، ومنه جاءت أصناف المدافن التي أخذت تتطور مع التطور الحضاري للإنسان بصورة عامة عبر مختلف الأطوار والمراحل التي مر بها منذ العصر الحجري القديم[1] وتعتبر مرحلة فجر التاريخ واحدة من أهم مراحل تطور الإنسان من حيث المنجزات الحضارية، والتي تختلف في تعريفها من باحث لأخر، ومن أهم مميزاتها ظهور المقابر الميجاليتية أو الجلمودية (Nécropoles- Mégalithiques)[2]

ويرى الأستاذ محمد خير أورفلي أن بلدان شمال إفريقيا بدأت تدخل مرحلة فجر التاريخ منذ النصف الثاني من الألف الثانية ق.م[3] ومصطلح الميجاليت

---

[1] عثر على بقايا أشولية تثبت أن إنسان نياندرتال قام بعملية الدفن مبكرا، حيث قام بحفر خندق يوارى فيه الميت واضعا حوله أثاثا جنائزيا، أنظر "محمد حسين فنطر" حول المدافن في المغرب الكبير قبل الغزو الروماني"، مجلة إفريقية، سنة 1985، ص.7.

[2] يطلق المؤرخون الأجانب على ذلك النوع من المقابر بصفة عامة تسمية المقابر الميجاليتية، بينما يسميها بعض الباحثين العرب بالمقابر الجلمودية نظرا لتكون القبر من جلاميد صخرية ضخمة، أنظر محمد حسين فنطر، المقال السابق، ص ص. 7-9.

[3] محمد خير أورفه لي: "وضعية المدينة في بلدان المغرب القديم خلال القرن الأول ق.م"، حوليات وزارة الاتصال والثقافة، مديرية التراث الثقافي، الملتقى الرابع للبحث الأثري والدراسات التاريخية، تندوف من 19 إلى 24 أفريل 1996، ص.26.

(Mégalithe) هو مصطلح إغريقي يتكون من شقين ليتوس (Lithos) وتعني الحجر ومغاس (Megas) وتعني كبيرا بمعنى (الحجر الكبير)[1].

ويرى توينبي: (أن الميجاليت هي تلك الحجارة الضخمة غير المشذبة وهي أطول من الأعمال المحلية التي صنعها الإنسان، ويبدو أنها أقيمت خلال ألاف السنين، لاسيما تلك الفترة الممتدة ما بين 3500- 1500 ق.م.)[2].

ويذهب بعض الباحثين الأوربيين مثل شايلد (Childe)[3] إلى القول أن مقابر الميجاليت ية في شمال أوربا ترجع إلى النيوليثي الأكثر قدما.

في حين يذهب الباحثون والمؤرخون الفرنسيون على وجه الخصوص، والأوروبيون عموما إلى تسمية المدافن التي خلفها إنسان فجر التاريخ سواء بأوربا أو منطقة شمال إفريقيا الميجاليتية متأثرين في ذلك بالمصطلحات اليونانية، أما الباحثين العرب ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر محمد حسين فنطر[4] فيطلقون عليها اسم المدافن الجلمودية، أو المقابر الجلمودية[5].

ويذكر توينبي أن بناة الميجاليت[6] الذين أقاموها لا يعرفون الكتابة ولأن الميجاليت تشهد صامتة على أهميتها في كونها رمزا هاما لعبادة الأجداد.

حينئذ فالمقابر الميجاليتية (Nécropoles Mégalithiques) هي تلك المقابر التي تركها إنسان فجر التاريخ، ففي الوقت الذي اندثرت فيه جل البقايا المادية المتعلقة بالسكن والحياة اليومية نجد مدينة الأموات بقيت حاضرة تشهد على حقبة تاريخية هامة من تطور الإنسان بصفة عامة وإنسان المغرب القديم بصفة خاصة.

ونتيجة لتراكم وتزايد العديد من الدراسات لهذه الحقبة فقد صنفت تلك المعالم تحت تسميات ومصطلحات عديدة، انطلاقا من شكلها الهندسي

---

(1) - F. Raymond, Manuel de préhistoire général, Paris, 1958, P. 376.

(2) أرنولد توينبي: تاريخ البشرية، ت. نقولا زياده، الجزء الأول، بيروت 1981، ص. 58.

(3) - V. G. Childe.,L'Europe préhistorique, Paris, 1962, PP. 125 - 126.

(4) محمد حسين فنطر ، المرجع السابق ، ص. 7.

(5) المقابر ، ج. مفردها قبر والقبر كلمة سامية توجد في العديد من اللغات السامية.

(6) إن مصطلح ميجاليث (Megalith) كان قد ظهر رسميا كمصطلح علمي من طرف الجمعية الدولية للأنثروبولوجـيا وآثار ما قبل التاريخ بباريس سنة 1867م، أنظر: S. Reinach., "Terminologie des Monuments mégalithiques" R. A. R., 3ème série, T. XXXII, 1883, PP. 34 - 48.

وانتشارها الجغرافي وطبيعة دور كل صنف ونظرا لأن الموضوع الذي نتناوله يدور حول المدافن الحجرية الميجاليتية [1] بالشرق الجزائري وبخاصة منطقة قالمة نظرا لتواجد مواقع جد هامة، كموقع الركنية، وقلعة بوعطفان، لذا أشرت في الفصل الأول إلى أهم هذه الأصناف أي أصناف المدافن، مع العلم أنها عديدة ومتنوعة ببلاد المغرب ويصعب إحصاؤها [2].

ومن هنا يمكن القول أن القبور الحجرية هي تلك المقابر تركها أجدادنا المغاربة في مدن الأموات كدليل مادي وتاريخي على ما وصل إليه الفكر المغاربي. في مرحلة من مراحل تطوره، خاصة في الجانب المتعلق بعالم ما بعد الموت، فمقابر الدولمن والحوانيت، والبازيناس والشوشة، والتيملوس...، كلها ألوان من العمارة المغاربية القديمة، التي جسدت لنا جانبا هاما من طبيعة الحياة الجنائزية وإن اختلفت في هندستها وانتشارها الجغرافي حسب المؤثرات الجغرافية والحضارية فإنها تبقى في مجملها، تجسيدا للفكر الجنائزي لدى أجدادنا المغاربة.

لذا يرى ج. كامبس (G. Camps) بأنه مهما تكون أهمية المقابر الميجاليتية عند المغاربة القدماء، فإنه يجب أن نسجل أهميتها من حيث التأثير بالبلدان المتوسطية...)[3].

2. أنواع المقابر الميجاليتية:

أ. قبور التيملوس والبازيناس:

بعد أن دفن الإنسان موتاه في أرضية الكهوف، بدأت تظهر أصناف جديدة من المدافن تعبيرا عما وصل إليه تطوره الفكري وفق احتكاكه بالطبيعة والمحيط الخارجي بصورة عامة.

ولقد عرف هذا النوع من المدافن بالتيملوس (Tumulus)، حيث أطلق هذا المصطلح على نوع من الآثار الجنائزية ذات شكل مختلف مقارنة بباقي الأصناف[4].

---

(1) توينبي، المرجع السابق، ص. 58.

(2) محمد حسين فنطر ، المرجع السابق ، ص. 7.

(3) - G. Camps, Aux origines de la barbarie, Monuments et Rites Funéraires Protohistoriques, Paris 1961, P.220.

(4) - G. Camps, Aux origines..., P. 65.

تتكون هذه القبور من بناء مخروطي الشكل يغطي حفرة الدفن التي تتكون من ركام كبير من التربة والحجارة، وهي ذات قاعدة دائرية يتراوح قطرها من 5 إلى 150 متر[1].

عرف هذا النوع من القبور بعدة أسماء مثل الرجم (Redjems) والكركور (Karkoure)[2].

ويعد الباحث قوتيي (E. F. Gautier) من الذين استعملوا مصطلح الرجم لتعريف التيملوس الذي يعرف غالبا في الأرياف والبوادي باسم الكركور في الغرب الجزائري والمغرب الأقصى والرجم في الشرق الجزائري[3].

ويعد البناء الجنائزي المخروطي الشكل هو النوع المسيطر في بلاد المغرب القديم، كما أنه من مميزات هذا النوع من المدافن عدم اقتصاره على المنطقة الشمالية بل تمتد آثاره إلى المنطقة الصحراوية إلى غاية حدود النيجر جنوبا، ويصل امتداده إلى النيل وجزر الكناري[4].

وعليه فإن التيملوس هو تكديس بسيط للحجارة ذات أشكال مختلفة والشكل المشترك عموما والغالب في بلاد المغرب القديم هو البناء الجنائزي المخروطي الشكل[5]، وتوجد عدة أصناف لهذه القبور المخروطية الشكل تتلخص في الأنواع التالية:

1. التيملوس الخالي من الغرفة الجنائزية.
2. التيملوس الذي يحتوي على غرفة دفن.
3. التيملوس الذي يضم تابوتا حجريا.

---

(1) - M. Reygasse.,Monuments funéraire préislamiques de l'Afrique du nord, Paris, 1950, P. 6.

(2) - J. Campardau, op. cit., PP. 296 - 308.

(3) محمد الصغير غانم، التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، رسالة دكتوراه الدرجة الثالثة، نوقشت سنة 1981. ص. 10

(4) - St. Gsell, H. A. A. N., T. VI, P. 180.

(5) - G. Camps, op. cit., P. 66.

1. التيملوس الخالي من الغرفة الجنائزية:

بعد أن كانت الجثث تترك عرضة للحيوانات أخذ الإنسان يطور عملية الدفن ليواري الجثة في الأرض حتى يخفيها على الذئاب خلال عصور ما قبل التاريخ، أين بدأ هذا النوع من الدفن الذي أصبح يعرف بمدافن التيملوس[1].

ينتشر هذا النوع من القبور المخروطية الشكل في المنطقة الاستبسية وكذا المناطق الصحراوية بصفة عامة، يتميز بفقر أثاثه الجنائزي، وبغياب غرفة أو حفرة مخصصة للدفن وهذا ما تؤكده حفرية الضابط (Dessigny) بمنطقة عين الصفراء حيث أن الجثة كانت ملقاة على الأرض، والعظام كانت في وضعية سيئة، فضلا عن غياب الأثاث الجنائزي[2].

إن غياب غرفة الدفن ووضع الجثة مباشرة على الأرض من العناصر التي أثرت على وضعية هذا النمط من التيملوس، وهذا ما أدى من جهة أخرى إلى اضمحلال هذا النوع من القبور نتيجة عوامل الطبيعة والإنسان معا.

يمكن لنا اعتبار هذا النوع قبر بدائي أين كان الهدف منه تغطية الجسد وحمايته نسبيا بالتراب والحجارة حتى لا يكون عرضة للوحوش والذئاب، وباقي الحيوانات المفترسة إذا أخذنا في عين الاعتبار الظروف المعيشية للإنسان خلال عصور ما قبل التاريخ وفجره.

إن وضع الجثة على الأرض ثم وضع الحجارة عليها حتى تتكرس وتتراكم هو الذي سمح بتكوين هذا النوع البدائي من القبور[3]، فتراكم المواد المشار إليها أدى إلى ظهورها بشكل مخروطي يعكس مظهر البناء[4] وتعتبر حفرية الضابط ديسي (Dessigny) بالصحراء الجزائرية من الحفريات التي توضح لنا جليا شكل هذا القبر حيث وصف هذا الباحث البناء المخروطي الذي يعلو قبور عين الصفراء بأنه عبارة عن ركام كبير من الحجارة الهشة والحصى تغطي تحتها بقايا جثث بشرية كانت قد وضعت فوق الأرض مباشرة في مركز البناء[5].

---

(1) - Ibid., P. 67.

(2) - Capitaine Dessigny "notice sur quelques monuments de la région d'Ain Safra",B. A. C., (1908), PP. 63 -80

(3) - Ibid, PP. 63 - 64.

(4) - Reygasse, op. cit., PP. 6-7.

(5) - Dessigny, op. cit., PP. 63 - 65.

ويرى جزيل (St. Gsell) أن كل قبور التيملوس ليست قبورا حقيقية، وهذا ما يدفع إلى الاعتقاد بأن المغاربة القدماء مارسوا الدفن الثنائي أي وضع الجثة في قبور أولية ثم نقلها إلى أماكن أخرى مع الاحتفاظ بالقبور الوهمية وهذا ما يفسر نسبيا وجود البناءات المقدسة التي لا تحتفظ بأي بقايا جنائزية[1] وإنما الغرض منها التبرك ونبذ الأرواح الشريرة خاصة في الأرياف[2].

كما أنه يستعمل أيضا كإشارات خاصة لتعيين الحدود بين منطقتين متجاورتين مثل هيكل الفلين (Autels des philains) الذي كان يفصل المنطقة القرطاجية غربا وقرينه (Cyrénaique) الإغريقية بليبيا شرقا[3].

---

(1) St. Gsell H.A.A.N.T.VI,P.185

(2) نجد في الأرياف كثيرا من البناءات ذات قداسة تعرف بالمزارة، يعتقد العامة بأن هذا المكان مدفون به ولي صالح، أو هو مكان للتبرك وقد يكون عبارة عن شجرة مقدسة كما هو الحال في الركنية أين نجد مزارة.

(3) St. Gsell,op. cit,P.185

2. التيملوس الذي يحتوي على غرفة جنائزية:

بخلاف النوع السابق من البناء المخروطي الذي تنعدم فيه غرفة الدفن نجد النوع الثاني يحتوي على غرفة أو حفرة كما يسميها بعض الباحثين[1]، كما أن هذا النوع لا يختلف عن سابقه من حيث المظهر الخارجي ويصف م. ريقاس (M. Reygasse) هذا النوع بأن حفرة الدفن فيه قد تكون محمية بأربعة أو خمسة لوحات حجرية فالحفرة تكون مغطاة بحجارة صغيرة[2].

وعليه فالجدران الداخلية مزودة ببلاطات تجعلها قوية، فضلا عن استعمالها في البنية الداخلية تستعمل أيضا في التغطية[3]، وتحتوي منطقة عين الصفراء على نماذج جيدة تمثل هذا النوع (أنظر الشكل رقم 2 ص. 32).

كما توجد نماذج له بمنطقة أرفود (Erfaud) بالمغرب الأقصى[4] هذا وقد أعطت لنا منطقة اتلاغ بالغرب الجزائري قبور تحتوي على حفرة مغطاة ببلاطات في مستوى سطح الأرض ثم يرفع البناء بعد ذلك في شكل ركام مخروطي الشكل، فالغرفة مغطاة بصفين من الألواح الحجرية مركزة بصورة خاصة في مركز الحفرة[5].

ومن مميزات هذا الصنف من قبور التيملوس هو ظاهرة الدفن الجماعي والفردي، كما لا يستعمل القبر أكثر من مرة واحدة، والاختلاف الأساسي بين أشكال هذا النوع تتلخص في الطريقة التي تغط بها الحفرة الكائنة في أسفل البناء[6].

---

(1) - G.Camps , op. cit., P. 71.

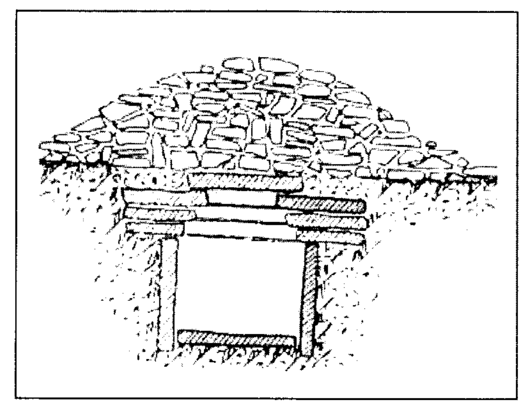
(2) - M.Reygasse, op. cit., P. 6.

(3) - G.Camps, op. cit., P. 69.

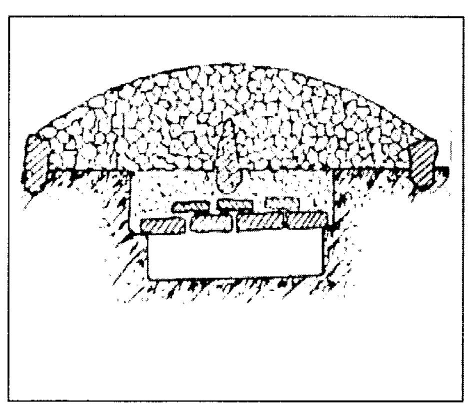
(4) غانم محمد الصغير التواجد الفينيقي البوني... في الجزائر، رسالة دكتوراه الدرجة الثالثة نوقشت سنة 1981، ص. 12.

(5) - St. Gsell, "Les Tumulus de la région de Boghar", B. A. C., 1900, PP. 373 - 375.

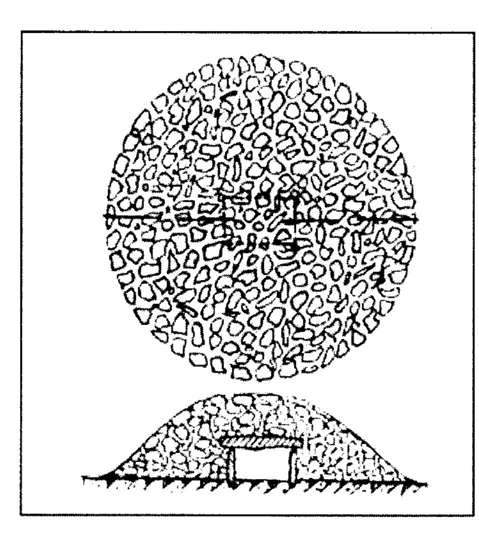
(6) - Dr Pinchon, "Station de surface et Tumulus de la région de Boussuet et du télagh", département d'oran, cong. pré. de France, (1936), P. 402.



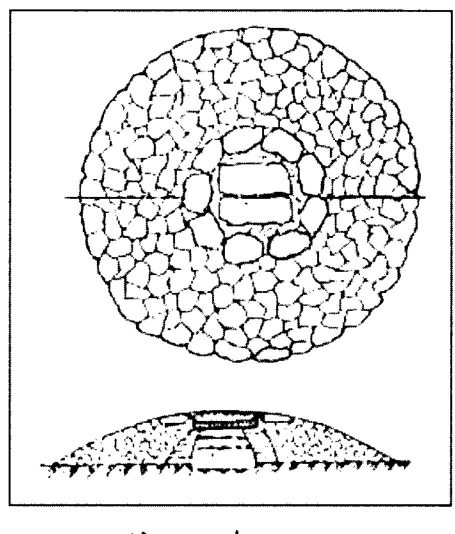
أ- تيملوس عين الصفراء



ب- تيملوس عين الحمارة



جـ- تيملوس أرفود



د- تيملوس بوغار

بعـــض من نمـــاذج التيمـــلوس

الشكل رقم: 02

ويشير جزيل إلى أن قبور بوغار تصنف هذه المجموعة من التيملوس[1]، التي تشبه تيملوس عين الحمام (Ain-El-Hammam) والتي قامت السيدة ج. ألكيي (J.Alquier) بدراستها[2]، أما الأثاث الجنائزي فإنه يتميز عموما بفقره وندرته.

3. التيملوس الذي يحتوي على تابوت حجري:

بعد إنجاز الغرفة الجنائزية التي تعد نقلة نوعية في عملية الدفن، لهذا الصنف من المدافن الحجرية، أصبح البناء الجنائزي يحتوي على تابوت يتوسط في غالب الأحيان البناء المخروطي، حيث يتكون في الغالب من حجرة مستطيلة منحوتة في وسطها ومغطاة ببلاطة حجرية أو عدة بلاطات، ويصف الضابط بتي (L. Petit) البناء المخروطي الذي يعلو قبور عين الصفراء في الصحراء الجزائرية بأنه يتكون من كوم بسيط من الحجارة وجدت بوسط الغرفة الجنائزية التي يتوسطها التابوت[3]، كما نجد نفس هذا النوع من التيملوس بمنطقة عين كرمان شمال بوسعادة [4] وقد أشار السيد جولي (M. Joly) إلى وجود تيملوس بجبل حلوف الذي يبعد بـــ 4 كلم عن مدينة قالمة، دون إعطاء أية توضيحات.

من خلال ما تم استعراضه حول هذا الصنف من القبور نستخلص مجموعة من النتائج تتلخص فيما يلي:

أ– اختلاف قبور التيملوس، من حيث المظهر الخارجي أحيانا، وبنيتها الداخلية دلالة واضحة على تنوع العصور والفترات التي استعملت فيها هذه الأصناف.

ب– اختلاف الأنماط تبعا لاختلاف طرق الدفن في هذا الصنف من المدافن، فهناك الدفن الفردي والجماعي وكذا طريقة الدفن التي تختلف من نمط لآخر.

ج– استمرار الطقوس الجنائزية عن طريق وضع المزهريات وغيرها من الأواني رفقة الجثث، كما هو الحال في باقي المدافن[5].

---

(1) - St. Gsell., op. cit., PP. 373 - 375.

(2) - J. Alquier, "l'âge des tombeaux mégalithiques d'Ain- El- Hammam" A. F. A. S., (1927), PP. 311- 316.

(3) - L. Petit, "Note sur les tumulus d'Ain Safra", B. S. G. O., T. XXVI, 1905, PP. 285- 294.

(4) - G. Camps , op. cit., P. 69, fig. 2.

(5) - Reygasse, op. cit., P. 8.

د- تشابه بعض الأواني التي استخرجت من التيملوس مع أواني أخرى استخرجت من قبور الدولمن[1] دلالة على استعمال المغاربة القدامى لأنماط متعددة من المدافن.

هـ- نلاحظ أنه في بعض أنواع التيملوس يوجد دفن ثاني إذ يحتوي البناء الجنائزي على قبرين كما هو الحال في تلغميت (Tilghemit)، مما يدفع إلى الاعتقاد أن القبرين لشخصين من نفس العائلة[2]، وهذا ما يمكن مقارنته مع مقابر الدولمن المجمعة في نفس السياج كما هو الحال في الركنية وقلعة بوعطفان.

و- إن قبور التيملوس في الجزائر تتواجد بنسبة تفوق قبور الدولمن التي تلتقي معها في نفس الأصول الحضارية المغاربية[3].

بعض مواقع التيملوس بشمال إفريقيا

الجزائر	تونس	المغرب
تيملوس عين الصفراء (Ain- sefra)	تيملوس قابس (Gabes)	تيملوس وجدة (Oujda)
تيملوس جبل مراح (Djebel Merah)	تيملوس جبل تباقة (Djebel Tebaga)	تيملوس أرفود (Erfoud)
تيملوس جبل برج بوعريريج (Bordj-Bouarreridj)	تيملوس قفصة (Gafsa)	تيملوس كودية الماء (Koudiate el-Ma)
تيملوس بوغار (Boughar)		تيملوس فم أرجم (Foum-Rjam)
تيملوس قصطل (Gastel)		

جدول رقم 01

(1) - Ibid.,P.8.
(2) - G. Camps, op. cit., P. 71.
(3) - G. Brunon, "Notice sur les Dolmens et Tumulus de l'Algérie", R. S. A. C., 1867 - 77, P. 332.

ب- قبور. البازيناس:

البازينا أو البزينة (Bazinas) كما عرفت وتعرف عند معظم الباحثين والأثريين بأنها واحدة من نماذج المدافن الحجرية ولفظ البزينة مصطلح اصطفاه بعض علماء الآثار للإشارة إلى نوع القبور التي تعلوها بنايات مستديرة الشكل عامة، وقد تكون مدرجة حيث أنها تتكون من دوائر متتالية شاقوليا مع تقلص القطر حتى تظهر في شكل حلزوني[1] .

ويستعمل في بناء البزينة الحجارة وأحيانا الحجارة والأتربة معا كما أنها تظهر في شكل أكمات مرتفعة[2].

ولقد كان الباحث الفرنسي لوتورنو (A.Letourneaux) من الأوائل الذين درسوا هذا النوع من المدافن سنة 1867 معرفا إياها بأنها تلك القبور المنتشرة حول جبال الأوراس في السهول[3].

تنتشر وتتواجد قبور البازيناس في العديد من المواقع المرتفعة والمسطحات سواء في الجزائر أو المغرب أو تونس[4].

---

(1) محمد حسين فنطر، المرجع السابق ، ص. 16.

(2) غانم محمد الصغير ، المرجع السابق، ص. 16.

(3) - A. Letourneaux, "Sur les monuments funéraires de l'Algérie orientale", archive fur anthropologie, T. II, 1867, PP. 309 - 312.

(4) تعتــبر بزيــنة شمــتو على الحدود التونسية الجزائرية واحدة من أهم البزائن التي بقيت سالمة دون حفريات، قام بدراستها فريق تونسي ألماني والتي تعود إلى القرن الرابع ق.م.، حول هذا الموضوع أنظر: محمد حسين فنطر المقال السابق، ص.ص. 7-8.

نمـــاذج لبعض محطات البازيناس

الجزائر	تونس	المغرب
تديس TIDDIS أشـــــوكان ICHOUKKANE بونـــــوارة BOUNOUARA مســــكانة MESKANA جبل مستيري بتبسة MISTIRI الأوراس AURES عـــين الحمارة Ain EL HAMARA	قفصة GAFSA شتمو SHAMTO برج فج BORDJ FEDJ	سوق القور SOUK EL GOUR

جدول رقم: **02**

والبزينة من المدافن المميزة للوبيين، ولقد بقيت متواجدة إلى ما بعد الغزو الروماني[1]، والبازيناس بصفة عامة تتشابه مع قبور التيملوس، بحيث أنها يمكن أن تضم حفرة للدفن أو تابوتا حجريا، يوجد بداخله جثة الميت ويمكن النفاذ إلى غرفة الدفن بواسطة ممر[2]

أما عن أهم الأصناف التي تميز مدافن البازيناس فيمكن حصرها في خمسة أنواع هي :

أ- البازيناس المقببة

ب- البازيناس ذات القاعدة الأسطوانية

ج- البازيناس المتعدد القبور

د- البازيناس المدرجة

هـ- البازيناس المتطورة

1-. البازينـــــاس المقببــــــة:

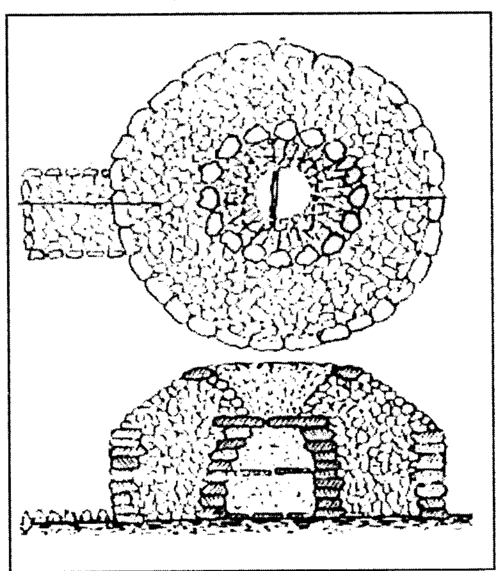
تمتد البازيناس المقببة (Bazina Acarapace) في منطقة المرتفعات العليا للجزائر الوسطى ويصل امتدادها إلى غاية وادي جدي (Oued Djedi) بالقرب من بسكرة، وتتصف من حيث مظهرها الخارجي ببناء مرتفع يعلو قاعدة على شكل مستدير وبيضاوي الشكل. وأحيانا قد تكون تلك البازيناس مستطيلة، يتراوح قطر دائرتها من 9 إلى 10 أمتار أما جزؤها العلوي فقد يغطى ببلاطات مقببة، هدفها وقاية القبر من تسرب الماء والتراب إلى داخله وحفظ الجثة البشرية[3]. (أنظر الشكل رقم03 (أ) ص.38).

---

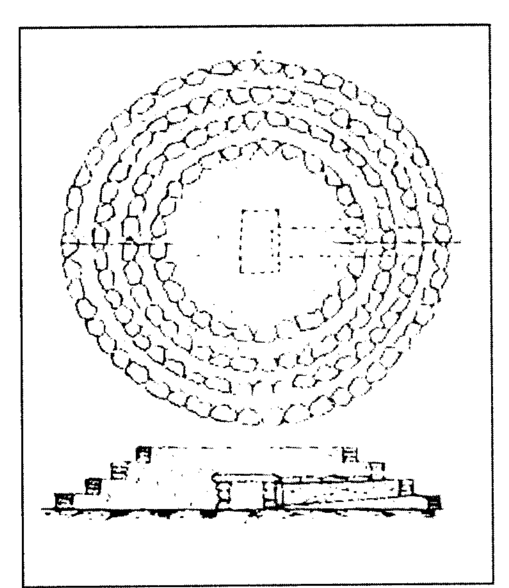
(1) محمد حسين فنطر، المرجع السابق ص.17.

(2) - R. Le Du, "les tombeaux rendus du Djebel Mistiri", R. AF. T. XXXII,1938, PP. 567 - 587.

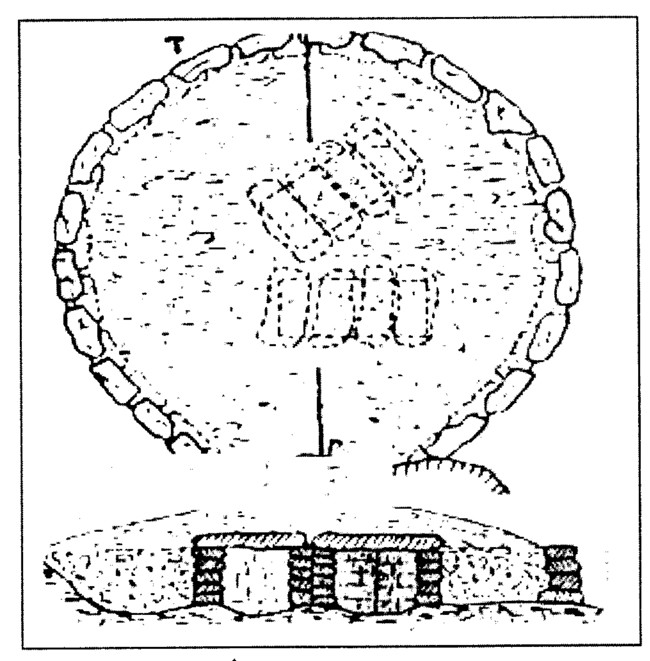
(3) - St. Gsell., H. A. A. N., T. VI, P. 186



أ– بازيناس مقببة (عين الحمارة)



ب– بازيناس مدرجة (جبل مستيري)



ج– بازيـــناس متـــعددة القبـــور

نماذج من أنـــواع قبور البـــازيـــنـــاس

الشكل رقم: 03

عثر على نماذج عديدة للبازيناس المقببة [1]، كتلك التي قام كل من جولي (A. Joly) وروفو (DR Roffd) بدراستها بمنطقة الأوراس، التي تعد النطاق الجغرافي الأساسي لتواجدها [2].

2- البازينـــاس المدرجة:

البازيناس المدرجة (Bazina à degrés) واحدة من أنواع البازيناس السائدة في بلاد المغرب، وينتشر هذا النوع بكثرة في المناطق التلية الممتدة من قسنطينة إلى غاية الحدود التونسية[3] وتعد البازيناس المدرجة من الأنواع المنتشرة بكثرة في الشرق الجزائري كما نجد هذا النوع بالمغرب الأقصى بمنطقة بني سناسن (Beni Senasen) [4].

وتتميز البازيناس المدرجة بكبر حجمها، واتساعها توجد نماذج لها بإشوكان والأوراس ومن أحسن نماذج البازيناس المدرجة تلك التي قام كامبس بدراستها بمقبرة بونوارة[5]. (أنظر الشكل رقم 3 (ب) ص.38).

ويصف كامبس البازيناس التي تقع شمال غرب جبل مزالة بأنها تتربع على مساحة ستة أمتار وهي محاطة بثلاث أسيجة اثنان مركزيان والآخر غير مركزي[6].

كما تتواجد البازيناس المدرجة في مواقع عديدة كجبل مستيري بتبسة والقور بمكناس، ويذهب بعض الباحثين إلى القول بأن البازيناس الصغيرة كانت عبارة عن مدافن أولية بينما البازيناس الضخمة والكبيرة هي المكان الأبدي للموتى.

وكان الباحث (R. Le Du) من الدين أشاروا إلى هذا الرأي، والذي قام بدراسة بازيناس جبل مستيري بتبسة[7]، هذا مع الإشارة أنه عثر في إحدى البازيناس على عدة

---

(1) لقد تم استخراج هياكل غير منتظمة مما يدل على أن الهياكل قد يكون نزع منها اللحم، حيث تم الدفن كمرحلة أولية في البازيناس الكبيرة، ثم في المعالم الصغيرة لمزيد من المعلومات أنظر؛

- G. Camps, "Données Nouvelles sur les Tombeaux du djebel Mistiri", Libyca, T. VI-VII,1958-59, PP. 229 - 24.

(2) - Dr Bertholon et E. Chantre , Recherches anthropologiques dans la barbarie Orientale (Tripoltaine, Tunisie, Algérie), Lyon 1913, P. 598.

(3) - St. Gsell, M. A. A. T. I, P. 17.

(4) - A. Joly, "Vestiges Anciens dans les Beni -Snassen", A. F. A. S., 1909, PP. 879-881.

(5) - G.et H. Camps, la nécropole Mégalithique du Djebel Mazela, mémoire de CRAPE A.M. G., Alger., 1964, P.34.

(6) - Ibid., P. 43.

(7) - R. Le Du, op. cit., PP. 565 - 587.

بقايا عظمية، يبدو أنها دفنت دفنا أوليا في مكان غير مكانها الأصلي، وأدخلت إلى الغرفة الجنائزية عن طريق ممر خاص يوصل إليها[1] وهذا ما يدفعنا إلى التساؤل حول ممارسة المغاربة القدامى للدفن الثنائي أي الدفن النهائي.

3-. البازيناس ذات القاعدة الأسطوانية:

يتواجد هذا النوع من البازيناس (Bazina à base cylindrique) بكثرة في أطراف الصحراء، يتميز بقاعدته الأسطوانية الشكل، ويصف فروبينيوس (Frobinius) هذا النوع بأنه حالة وسطية بين البازيناس المقببة، والمدرجة[2].

ومن أحسن أمثلة هذا النوع مقبرة عين الحمارة بأولاد جلال (Ain El Hamara)، حيث نجد البازيناس في شكل مجموعات صغيرة تتكون من عدة قبور[3]، كما تتواجد في جبل مستيري وعين الصفراء وكذا جنان بورزق (Bourzek)، وعليه فإن هذا النوع يتواجد بكثرة على أطراف الصحراء عكس البازيناس المدرجة التي نجد لها نماذج جيدة بالشرق الجزائري، إلى غاية الحدود التونسية.

كما يرى الضابط بتي (Petit) بأنه في بعض الأحيان تزود البازيناس الأسطوانية القاعدة بممر مبلط يوصل إلى الداخل، كما أن هذا الممر قد يكون أستعمل لأغراض أخرى مجهولة [4].

4-. البازيناس المتعددة القبور:

يختلف هذا النوع من البازيناس المتعددة القبور(Bazina à sépultures multiples) عن الأصناف السابقة، من حيث تميزه بتعدد القبور في حين يبقى الشكل العام غير مختلف عن سابقيه. (أنظر شكل رقم 3 (ج)ص.38).

وتعد بازيناس تديس من أحسن النماذج التي تمثل هذا النوع[5].

وتوجد العديد من النماذج لهذا النوع من البازيناس في مواقع عديدة مثل بازيناس مشرع الصفا (Mechrasfa) بتيارت، والزوارين (Zouarine) بتونس وكذا سيجوس (Sigus) بالشرق الجزائري. ويجمع أغلب الدارسين لهذا النمط على كون هذا الأخير

---

(1) - G. Camps "Données nouvelles sur les tombeaux du djebel Mistiri", PP. 224 - 229.
(2) - Goutier, "Les premiers résultats de la mission Frobenius", R. Af. , T. LXII, 1921, PP. 47-61.
(3) - St. Gsell, A. A. A..., Feuilles 46, n°169, et. 178.
(4) - L. Petit, op. cit., PP. 285 - 295.
(5) - A. Berthier, "Les Bazinas de Tiddis", Libyca, T. IV, 1956, PP. 147 - 153.

استعمل للدفن الجماعي وهذا انطلاقا من تعدد القبور. وإلى جانب هذه الأنواع نجد نوعا آخر والذي يسميه الأستاذ فنطر بالبازيناس المتطورة.

5-. البازيناس المتطورة:

إلى جانب البزائن البسيطة التي تطرقنا إليها، نجد هناك بزائن أخرى متطورة من حيث طرق البناء والزخرفة، مثل قبر الرومية والمدراسن، الذي يعد من روائع العمارة النوميدية ويعد من حيث الشكل العام بزينة تتميز بمميزات العمارة البونية بكل ما أخذته عن الحضارات المتوسطية كالمصرية والبونية وغيرها[1].

والمدراسن ضريح يعود إلى فصيلة البزائن (شكله مستدير ويمتد على 59 متر، وهو بزينة نوميدية لوجوده في ربوع القبائل النوميدية)[2].

(1) محمد حسين فنطر ، المرجع السابق، ص ص. 11-12.

(2) نفسه ، ص. 12.

الفصل الثالث

- المقابر الميجاليتية ذات اللمسات المعمارية البدائية

1. مقابر الشوشة

أ. الشوشة وحيدة القبر

ب.الشوشة المتعددة القبور

ج. الشوشة ذات الغرفة الجنائزية الدائرية الشكل

2. مقابر الدولمن

أ. التوزيع الجغرافي لمقابر الدولمن

ب. الجذور التاريخية لمقابر الدولمن

المقابر المشيدة والمحفورة في الصخر:

1. مقابر الشوشة:

قبور الشوشة هي نوع من القبور الحجرية التي عرفها المغاربة القدامى خلال مسيرتهم الحضارية، وهي قبور تأخذ شكل أبراج مستديرة[1].

ويرى ريقاس: "أن الشوشة عبارة عن برج جنائزي صغير تعلوه بلاطة في غالب الأحيان يتراوح ارتفاعه من 2 إلى 3 أمتار، جدرانه الخارجية مبنية بدقة وعناية كبيرة، تسميته نابعة من شكله العام الذي يعلوه برج يشبه (الششية) عند السكان المحليين"[2].

إنطلقت الدراسات الأولى حول هذا النوع من المدافن سنة 1859، أين قام الضابط باين (Payen) بحفرية شملت 60 قبرا بالمكان المسمى أرميلة، كما قام بحفريات في مدافن الشوشة بالأوراس، وجبل بودريسن[3].

يتركز هذا النوع من المدافن في إقليم الحضنة والأوراس، وجبل بودريسن، أما بتونس فيوجد موقع هام يحتوي على عدد كبير من الشوشة ضواحي غاردماو[4].

الشوشة عموما عبارة عن برج جنائزي رملي صغير تعلوه بلاطة، وغالبا ما يتراوح ارتفاعه بين 2.5 إلى 3 أمتار، يتميز بمتانة جدرانه الخارجية[5]، والشوشة يمكن أن نصنفها إلى عدة أنواع:

أ. الشوشة وحيدة القبر:

يتميز هذا النوع بأنه يضم بين جدرانه قبر واحد يأخذ شكل مستطيل أو مربع، ولا يسمح شكله بدفن الجثة في شكل ممدد مما جعلها تطوى[6]،

---

(1) محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1995، ص. 151.

(2) - M. Reygasse, op. cit., P. 8.

(3) - Commandant Payen, "Lettres sur les tombeaux circulaires de la province de Constantine

(4) - Reygasse, op. cit., P. 8.

(5) - Ibid, P. 8, Fig. 1.

(6) - St. Gsell, M. A. A., T. I, p.17.

والحفريات التي جرت في بودريسن والحضنة وإشوكان تؤكد في مجموعها استحالة دفن الجثة ممددة، حيث يؤكد الضابط باين (Payen) أن الأرجل كانت مثنية إلى حد ملامستها الجمجمة، مع فقر الأثاث الجنائزي[1].

والشوشة معظمها مزودة بممرات تفتح نحو الجنوب أو الشرق، حيث يستطيع الداخل عبر هذه الممرات الترجل دون عناء، نظرا لارتفاعها المتدرج حتى يصل إلى الغرفة الجنائزية التي تأخذ في الغالب شكل مستطيل[2].

ب. الشوشة المتعددة القبور:

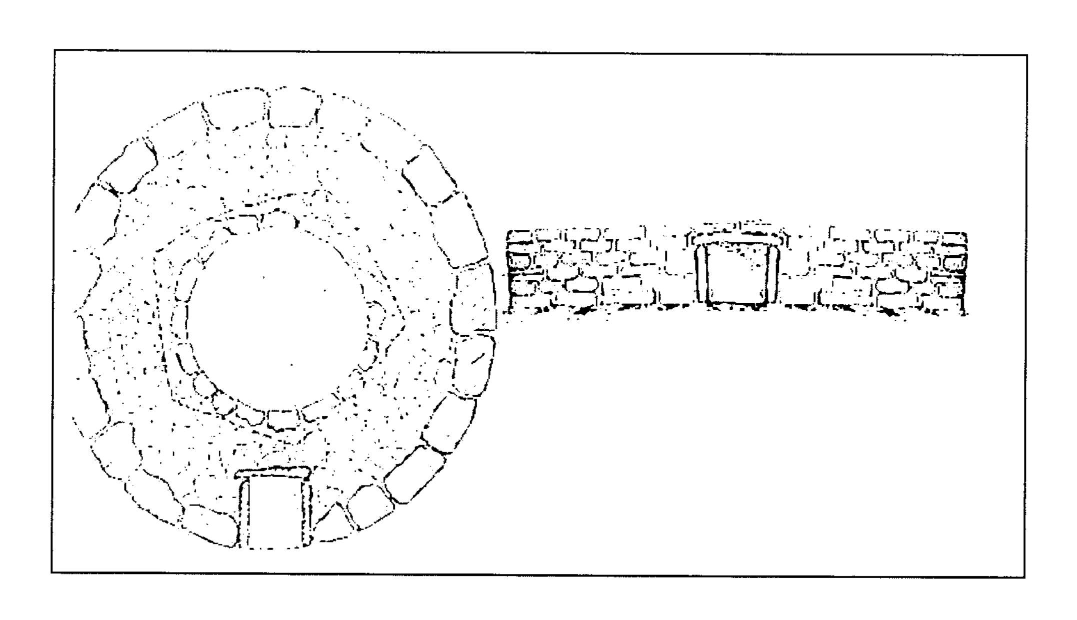
ويعد هذا النوع من الحالات النادرة نجد نماذج له في إقليم الحضنة أين نجد الشوشة المتعددة القبور حيث كل قبر مغطى ببلاطة خاصة[3] (أنظر الشكل رقم:4 ص.45).

---

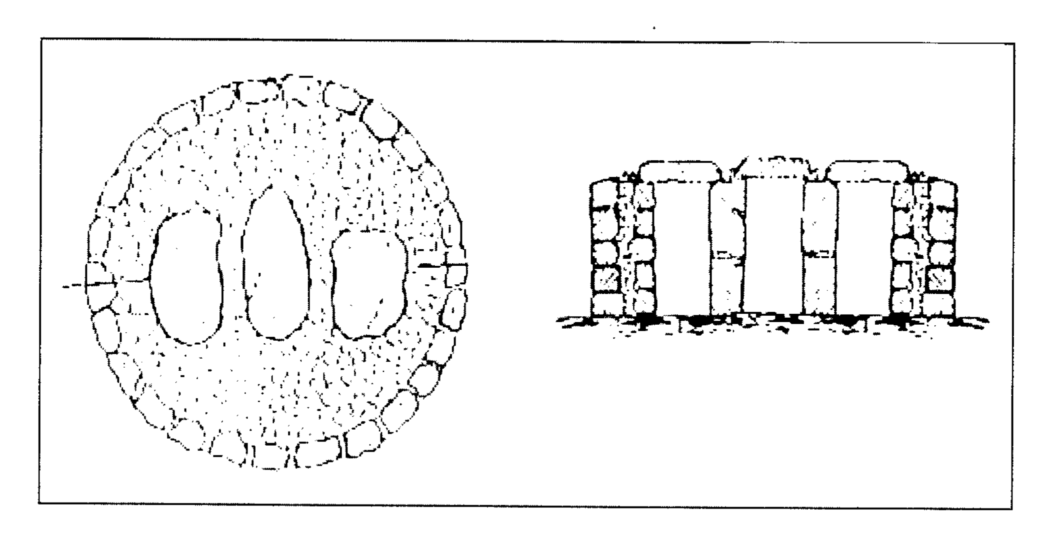
(1) - Payen, op. cit., PP. 259- 269.

(2) - A. Goyt, "Dolmens et mégalithiques des Ouled Hannech", R. S. A. C., T. XIII, 1886, PP. 621- 636.

(3) - Ibid, PP. 69 - 85, fig. 1. 2 et 3.



أ) – شوشة ذات غرفة دائرية



ب– شوشة متعددة القبور بأولاد أحنش

نماذج من قبور الشوشة

الشكل رقم: 04

ج. الشوشة ذات الغرفة الجنائزية الدائرية الشكل:

نجد هذا النوع في موقع إشوكان وهو نادر مقارنة بباقي الأصناف[1] (انظر الشكل رقم 4 (أ) ص. 45).

والملاحظ أن بعض قبور الشوشة تحتوي من ناحية القاعدة على جدار ثاني[2]، فما هي علة وجود هذا الجدار هل يكون:

1– بهدف حماية القبر من الإنهيار وبالتالي تزعزع جدران المبني مما يسهل اندثاره بسرعة فيعمل هذا الجدار على حماية القبر وصموده في وجه الظروف الطبيعية[3].

2– له علاقة بالشخص المدفون أي علامة مميزة سواء للعائلة التي دفنت في هذا القبر، أو زيادة لقداسة الميت[4].

وتتركز الشوشة بصورة خاصة في الأماكن المذكورة سابقا في الوقت الذي تنعدم فيه في معظم بلاد المغرب القديم[5]، حيث تشكل حدا جنوبيا لقبور الدولمن الداخلية. مما جعل بعض الباحثين يخلطون بين الدولمن والشوشة[6] وعليه فإن قبور الشوشة هي من ألوان العمارة الدينية (الجنائزية) التي تركها المغاربة القدماء وهي لون من ألوان الحضارة الميجاليتية التي سادت شمال إفريقيا.

2. مقابر الدولمن

تكتسي قبور الدولمن (Les Dolmens) بشمال إفريقيا أهمية كبيرة من حيث تواجدها الجغرافي، فضلا عن كونها لونا من ألوان المدافن الحجرية، فهي تشكل حلقة هامة في تاريخ العمارة الجنائزية المغاربية، وإن كان أجدادنا المغاربة لم يتركوا لنا قرى ومساكن بعينها فقد تركوا لنا مدن الأموات بما حوته من آلاف

---

(1) - G. Camps, Aux origines ..., P. 178, fig. 63.

(2) - Payen, op. cit., PP. 159 - 169,Sépulture N° 39.

(3) نجد ظاهرة تدعيم القبر بجدار ثاني تتكرر في العديد من المقابر كما هو الحال في الركنية بعض القبور مزودة بسلك حجري ثاني مدعم.

(4) في موقع قلعة بوعطفان بعين العربي نجد الدولمن الضخمة ، محاطة بجدارين ضخمين.

(5) - St. Gsell, H. A. A. N., T. VI, P. 202.

(6) - Ibid., P. 203.

المدافن التي تكشف لنا عن جوانب هامة في تاريخ المغرب القديم خلال فجر التاريخ، والذي يمثل فترة نشوء المجتمعات المغاربية المنظمة[1].

لقد اختلفت التعاريف والتسميات من باحث لآخر حسب اختلاف المشارب الثقافية من جانب والمنابع اللغوية من جانب آخر، وكذا التوجهات الإيديولوجية لكل باحث. فيعرفها البعض " على أنها نصب جنائزية مكونة من كتلة أو كتل أفقية مدت على دعائم عمودية"[2].

في حين يعرفها البعض الآخر "على أنها صروح مكونة من ألواح حجرية مستطيلة يسقفها لوح حجري أفقي، وقد تكون المصاطب[3] مغروسة في الأرض بعمق مختلف كما تكون موضوعة في أعلى صف أو صفوف من الحجارة الثابتة"[4]

أما الأستاذ غانم محمد الصغير فيعرفها: "على أنها عبارة عن قبور حجرية تثبت فوق سطح الأرض مكونة من ثلاثة أعمدة حجرية قصيرة تعلوها حجرة أخرى مدت في الشكل الأفقي تمثل السقف"[5].

أ- التوزيع الجغرافي لمقابر الدولمن:

تتواجد قبور الدولمن في كثير من دول العالم فظاهرة الدولمن لم تكن تطورا أو مظهرا خاصا بشعوب دون أخرى، بل شملت كثيرا من مختلف مناطق العالم فنجدها في بريطانيا، وفرنسا والأراضي المنخفضة، وألمانيا وإيطاليا والبلقان وإسبانيا وإفريقيا الشمالية فضلا عن مواقع عديدة [6]، حيث تمتد جغرافيا إلى غاية الأراضي الروسية[7].

---

(1) علي قربابي، العمران والمقابر في فجر التاريخ بنوميديا الجنوبية، حوليات وزارة الثقافة والاتصال، الملتقى الأول للبحث الأثري والدراسات التاريخية، باتنة، سنة 1993، ص. ص. 54- 55.

(2) - F. Raymond, Manuel de préhistoire générale, Paris, 1958, P. 376.

(3) المصطبة: تسمية تطلق على نوع من القبور في مصر والمصطبة كلمة عربية معناها المقعد الطويل أنظر : أ. أ. س. إدوارد، أهرام مصر، ترجمة مصطفى احمد عثمان، لجنة البيان العربي، (القاهرة 1925)، ص. 52.

(4) ك. ابراهيمي تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر، ت. محمد البشير شنيتي ورشيد بورويبة (الجزائر 1982)، ص.122 .

(5) غانم محمد الصغير، المرجع السابق، ص. 29.

(6) - F. Raymond., op. cit., P. 379.

(7) - C. Arambourg., L'homme avant l'écriture, Paris , P. 435.

وبالنسبة لمنطقة المغرب القديم فهي تختلف من حيث توزيعها من بلد لآخر ففي المغرب الأقصى نجد لها مواقع هامة وقليلة في نفس الوقت تتمثل في مقبرة لمريس (El- Mries)، وبني سناسن.

أما بتونس (Tunisie) فنجد لها عدة مواقع هامة مثل: أنفيدة (Enfida) والعليا (Allia) جنوب تونس ودوجة (Dougga)، ومقراوة (Magrais) وتبرسوك (Teboursouk)[1]. (أنظر الشكل رقم 5 ص. 50).

أما بالنسبة للجزائر فنجد مجموعة من المقابر الهامة، سواء تلك التي احتوت على قبور الدولمن والحوانيت التي سيأتي الحديث عنها أو تعددت فيها مختلف أصناف المدافن وقبور الدولمن عموما لا تتجاوز أطراف الصحراء الشمالية جنوبا بل تعد جبال الأطلس الصحراوي ومنطقة الأغواط كحد أقصى لتوزيع الدولمن في بلادنا [2] ولذا فهذه الأخيرة

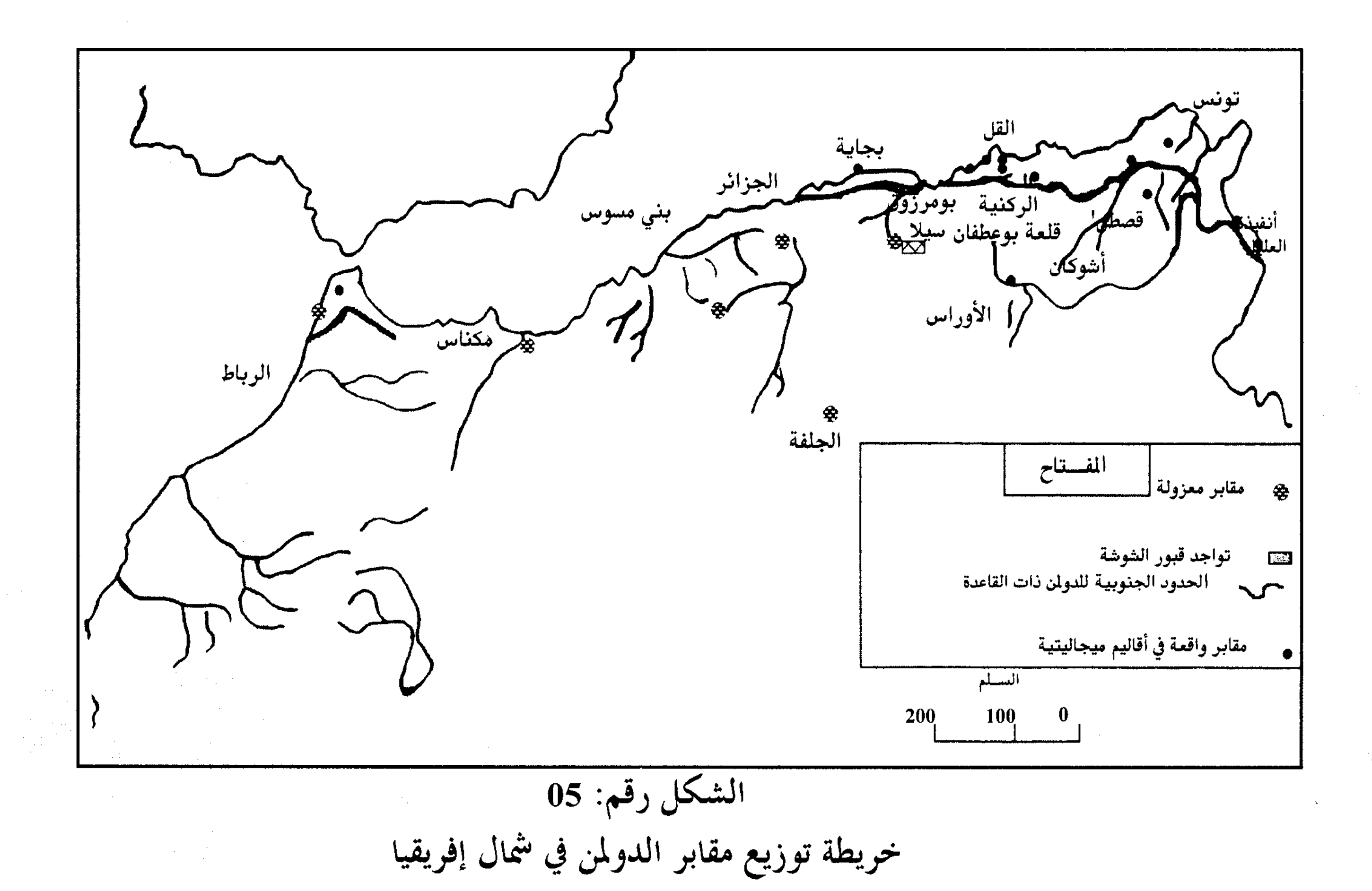
تتركز في شمال شرقي الجزائر وغرب تونس محتلة المساحة الجغرافية الممتدة من سيرتا (Cirta) إلى دوجة (Dougga) فنجد العديد من المحطات مثل سيلا وسيجوس وبونوارة وقصطل ورأس العين وبومرزوق والركنية، ومكثر ودوجة بتونس هذا إذا انطلقنا من الغرب نحو الشرق أما إذا انطلقنا من الشمال نحو الجنوب فنجد قبور الدولمن القل (Collo) إلى غاية منطقة الأوراس جنوبا[3]

---

(1) - G.Camps , "A propose d'une étude sur la protohistoire de la Tunisie", Libyca, T. XI, 1963, Fig.2.

(2) غانم محمد الصغير، المرجع السابق، ص.30.

(3) - St.Gsell, A. A.A. , Feuille 36, aures, N° 94.



الشكل رقم: 05

خريطة توزيع مقابر الدولمن في شمال إفريقيا

الشرق الجزائري Algérie Orientale	الوسط الجزائري Algérie Centrale
رأس العين بومرزوق Ras El- Ain Bou Merzoug.	بجاية Bougie
(Gastel) قصطل	(Ait Raouna) آيت الروان
(Bouchene) بوشان	
(Sigus) سيجوس	
(Ain El Arbi) عين العربي	(Djelfa) جلفة
(Bounouara) بونوارة	
(Raknia) الركنية	(Beni Messous) بني مسوس

جـــــــدول رقـــم: 03

أما إذا رجعنا إلى الشريط الساحلي فتمتد الدولمن في عدة مواقع كالقل وكذا بجاية وتيجزيرت[1] ومن بين المواقع المهمة على الشريط الساحلي دولمن بني مسوس ضواحي الجزائر العاصمة[2].

ومما سبق يمكن أن نستنتج ما يلي:

(1) - Viré, "Archéologique du canton de Borj Menail", R. S. A. C., T. XXXII, 1898, PP. 6-70

(2) - G. Camps, Les dolmens de Beni Messous, Libyca, T. 1, 1953,PP. 329 - 372.

أ- قبور الدولمن هي واحدة من اللمسات الحضارية التي تعبر عن الفكر البشري في مرحلة من مراحل تطوره وهذا الإنجاز الحضاري لم يكن مقتصرا جغرافيا على شعوب معينة دون أخرى مما يعطي لهذا النوع من القبر عالمية التواجد الجغرافي، دلالة على التطور الحضاري للإنسان في معظم مناطق العالم.

ب- تعد منطقة المغرب القديم من المناطق الرئيسية التي شهدت حضارة الدولمن مع ملاحظة اختلاف التوزيع الجغرافي لهذا البناء الجنائزي من منطقة لأخرى، حيث يعد الشمال وبخاصة الشمال الشرقي من أغنى المناطق بالمحطات الدولمنية.

ج- إن تركز مجموعة كبيرة من محطات الدولمن بالشرق الجزائري (رأس العين وبومرزوق ثم قصطل والركنية وسيجوس وبونوارة...) يدل دلالة واضحة على استقرار بشري كبير بهذه المناطق صاحبه تطور في البنية الاجتماعية والاقتصادية التي نلمسها من خلال ما حفظته لنا هذه القبور من لقى أثرية.

ويرى فرون (L. Feround): "أن قبور الدولمن تركزت حول المدن النوميدية القديمة بعد استقرارهم في هذه المراكز العمرانية"[1]

د-إنه بالرغم من التقارب الجغرافي بين كثير من المحطات الدولمنية إلا أننا نجد هناك تنوعا تزخر به هذه الأخيرة سواء من حيث الشكل العام أو التنميط مع بقاء الإطار الحضاري العام المشترك بين كل موقع وآخر.

أما الأستاذ فنطر فيذهب إلى تسميتها بالأضرحة الجلمودية فيعرفها: "الضريح الجلمودي أو الدولمن[2] ضريح شيد بواسطة جلاميد صخرية كأنها من نحت العمالقة، تتميز بأحجامها وأوزانها واحد يكفي لإقامة جدار من جدران

(1) - L. Ferand, "Recherches sur les monuments dits celtiques dans la province de Constantine",R.S.A.C., T. VII, 1863, PP. 214 - 234

(2) الدولمـــن (Dolmen): كلمة مركبة من شقين (Dol).بمعنى الطاولة و (Men).بمعنى الحجر أي حجر الطاولة وقـــد ظهر مصطلح الدولمن في القرن 19، سنة 1856 من طرف روبو (Dr Rebou) وتواصل استعماله من قبل الباحثين بربرجي (A. Berbruger) ولوتورنو (Letourneau) لمزيد من المعلومات أنظر؛

F. Raymond, op. cit., P. 377; Dr Reboud, "chronique", R. Af., T. I, PP. 1856, PP. 25 - 31

الضريح وكثيرا ما يكتفي البناء بجلمود واحد لتسقيف الضريح ويتركب الضريح الجلمودي من عناصر عديدة متداخلة حسب تربية لوبية "[1].

وانطلاقا من التعاريف السابقة نقف على عدة ملاحظات من أهمها:

– اختلاف التسمية التي تطلق على هذا النوع من المدافن بين (دولمن – مصطبة – منضدة – جلمود صخر)، وتبقى التسميات باختلافها تدل على واحد من أهم المدافن والأكثر انتشارا وهي قبور الدولمن ويعد مصطلح الدولمن الأكثر استعمالا في الدراسات الأثرية خاصة وأن معظم الدراسات التي تمت كانت من قبل أجانب خاصة الفرنسيين منهم . وعليه فقد رأيت ضرورة اعتماد هذا المصطلح في هذا البحث، هذا ليس تقليد بل للضرورة العلمية والتاريخية وتختلف قبور الدولمن من حيث أبعادها وأصنافها، وبنيتها الداخلية والخارجية من موقع لآخر ومن منطقة لأخرى تبعا للتطورات الحضارية الداخلية الخاصة بكل منطقة، والتأثيرات الخارجية عن طريق الهجرة والاحتكاك بين الشعوب باختلاف أجناسها ومواطنها.

وعلى هذا الأساس يرى ريمون (F. Raymond): "إنه يمكننا أن نستنتج وجود تشابه كبير بين النصب في هذه البلدان، ونلاحظ بذلك تشابها مشتركا بين بلد وآخر وهذا ما يجعلنا نقول بوجود اتصال ثقافي بينهما على الأقل وبين شعب وآخر"[2].

والملاحظ أن قبور الدولمن تتميز بإحاطتها بسياج من الحجارة المتوسطة الحجم كما اشتهرت قبور الدولمن في بلاد المغرب بصغر حجمها إذا ما قورنت بمثيلتها الأوروبية فضلا عن كثرتها وتنوعها[3]، ويرى ج. كامبس أن الدولمن الأوروبية أعدت للدفن الجماعي بينما الدولمن المغاربية أعدت في البداية للدفن الفردي، ثم تطورت فصارت جماعية[4] والشكل العام لدولمن الشمال الإفريقي

---

(1) محمد حسين فنطر ، المرجع السابق ، ص. ص. 7 – 21.

(2) - F. Raymond, op. cit., P. 371.

(3) - J. Boscoe et M. Solignac, Notice sur les vestiges préhistoriques de commune de Khroubs, R.S. A. C., T. XLV, 1911, PP. 316 - 319.

(4) - G.Camps , Aux origines, P. 136.

مستطيل وهي متغيره ففي مقبرة محجيبة نجد المائدة بلغ طولها خمسة أمتار وعرضها ثلاثة أمتار[1].

ب. الجذور التاريخية لمقابر الدولمن:

إن أول ما يلفت انتباه الدارس لتاريخ منطقة شمال إفريقيا خلال عصور ما قبل التاريخ وفجره، ذلك الكم الهائل من الدراسات الأثرية والتاريخية التي قام بها الباحثون الأوروبيون سواء كانوا من ذوي الاختصاص، أو من الهواة العسكريين والباحثين عن الكنوز في بعض الأحيان.

غير أن التمعن في هذه الدراسات، لاسيما تلك المتعلقة بفجر التاريخ من تاريخ شمال إفريقيا عامة والجزائر بصفة خاصة، فإنه على ذلك التوجه الواضح للدراسات الأثرية والتاريخية التي تناولت كثيرا من الجوانب الحضارية، وتعد المدافن الحجرية بمختلف ألوانها وبخاصة قبور الدولمن واحدة من العناصر التي تناولتها مختلف الأقلام بالدراسة والتحليل. وباستعراض الأزمنة الكرونولوجية أراء بعض الأثريين والمؤرخين يمكن أن نستخلص بعض الجوانب الهامة المتعلقة بجذور هذا النوع من القبور، حيث يرى سنتاس (P. Cintas) أن قبور الدولمن في شمال إفريقيا تعود إلى النصف الثاني من الألف الثانية ق.م[2]، هذا في الوقت الذي يرى فيه شايلد (V. G. Child) أن الدولمن في أوربا تعود إلى العصر النيوليثي [3].

أما ريجاس (M.Reygasse) فإنه يرى أن الدولمن الإفريقية شبيهة بالنماذج المتوسطية وهي تعود إلى العصر الكاكوليثي (Chalcolithique) أي الحجري المعدني بينما تأخرت الدولمن المغربية في الظهور، مما يدل على التأثيرات الأوروبية الواضحة[4].

(1) - J. Boscoe, et M. Solignac, op. cit., P. 329.

(2) - G. Camps, "A Propose d'une étude sur la protohistoire de la Tunisie", Libyca, T. XI, 1963, P. 301.

(3) - V.G. Child, l'etude préhistorique, Paris, 1962, PP. 125 - 126.

(4) - M. Reygasse, op. cit., PP. 16 - 20.

ونفس الاتجاه يـــراه كل مـــن هـــنري مارطـــان (Henri Martin) وبـــرتراند (Dr Bertrand) بأنه حدثت هجرات كبيرة نحو شمال إفريقيا[1]. ولقد ظهر هذا التأثير في السواحل المغربية ثم انتقل إلى الداخل عبر المرتفعات التلية وكانت شبه جزيرة ايبيريا الممر الحضاري لذلك[2].

ومما سلف ذكره من آراء نستخلص أن هناك رأيا شبه موحد ومتجانس بين المؤرخين والأثريين الأجانب وبخاصة الفرنسيين منهم على اعتبار أن قبور الدولمن تعد لونا من ألوان المظاهر الحضارية التي انتقلت من أوروبا إلى شمال إفريقيا، وهي محاولة لربط التراث الأثري في شمال إفريقيا بصورة خاصة بما حصل من تطورات وتغيرات في أوروبا.

وإن هذه الدراسات التي إنصبت على البقايا المادية للإنسان المغاربي لم تتوقف عند هذا الحد فلقد أوحت الدراسات الأنثروبولوجية للباحثين كجزيل وبالوا (L. Balout) وج. كامبس بالبحث عن أصول السكان وجذورهم التاريخية خارج موطنهم إفريقيا الشمالية[3].

ومن هذا المنطلق فإن تلك النخبة من الباحثين، يعرفون من منطلق واحد، بهدف إبراز مدى الارتباط الحضاري الموجود بين شمال إفريقيا وأوربا عموما. ويرى بعض الباحثين العرب أن مرحلة فجر التاريخ ببلاد المغرب يمكن أن تحدد في الفترة ما بين الألف الثانية ق.م. ومنتصف القرن الثاني ق.م، أي في حدود سقوط قرطاج عام 146 ق.م[4].

هذا ويجمع كثير من الباحثين على وجود تشابه كبير بين قبور الدولمن في الجزائر وتونس مقارنة بسردينيا وإيطاليا[5] والدراسات الأجنبية حاولت جعل

---

(1) - H. Martin, de l'origine des monuments mégalithiques, R. Af. 2ème série , T. XVI, 1867.

(2) - G. Camps, Aux origines..., P. 140.

(3) محمد البشير شنيتي، "تاريخ الجزائر في القديم من خلال المصادر الفرنسية"، مجلة التاريخ، عدد رقم 20، سنة 1985 الجزائر، ص. 14.

(4) محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص. 2.

(5) - G.Mokhtar, Histoire Générale de l'Afrique , T. II, Afrique Ancienne Unesco, Paris 1984, P. 457.

الجغرافيا السياسية لشمال إفريقيا جزء لا يتجزأ من أوربا الغربية متجاهلة التباين الواضح بين ضفتي المتوسط، الشمالية والجنوبية، ومن هذا المبدأ اتجه المؤرخون إلى إبراز الحقبة الرومانية المسيحية في شمال إفريقيا، متجاوزين باقي الفترات وكذا محاولين ربط التطور الحضاري في الضفة الجنوبية بالشمالية في تاريخه القديم خاصة فجر التاريخ[1].

لذا إنقاد هؤلاء المؤرخون أمثال كامبس وغيره نحو الفرضية القائلة بانحدار سكان المغرب القديم من أوروبا عن طريق إسبانيا وصقلية وبالتالي اعتبار قبور الدولمن المغاربية جزء لا يتجزأ حضاريا عن الدولمن الأوروبية ولكن إذا تتبعنا انتشار أساليب الدفن بالمغرب القديم عبر الصحراء فإن هذا يؤكد لنا طبيعة المدافن التي في الحقيقة ذات أصول إفريقية[2].

كما أن تركز انتشار قبور المدن النوميدية القديمة يؤكد الاعتقاد بأن النوميديين بعد استقرارهم في هذه المراكز العمرانية دفنوا موتاهم[3].

وقد استمر الدفن في قبور الدولمن في بعض المواقع إلى فترات متأخرة كما هو الحال في دولمن محجيبة (Mahidjiba) أين عثر على كنيسة وسط القبور[4].

هذا ويعد جزيل من الذين يعتمدون على الفخار المغربي ودراسته وإلحاقه بالفخار الأوروبي إلى جانب كامبس الذي وضع مجموعة من التصانيف لدراسة أصل كل نوع من الأنواع الفخارية محاولا في نفس الوقت ربطها بما حدث من تطور وإنجاز في هذا الميدان في الشمالية وإن الاعتماد على الفخار المصنوع بالدولاب والذي أحرق في الأفران وأثبتت الدراسات بأنه يعود إلى القرن 3 ق.م. فمعظمه كان من صنع بوني إغريقي[5].

والخلاصة التي يمكن أن نخرج بها هو أن الكم الهائل من الدراسات الأثرية للتنقيبات التي جرت بمختلف المواقع العائدة إلى فجر التاريخ ببلادنا، يبق مجرد كما تاريخيا بحاجة إلى إعادة النظر ذلك لأن المدافن الحجرية بصفة عامة هي

---

(1) شنيتي، المرجع السابق، ص. 8.

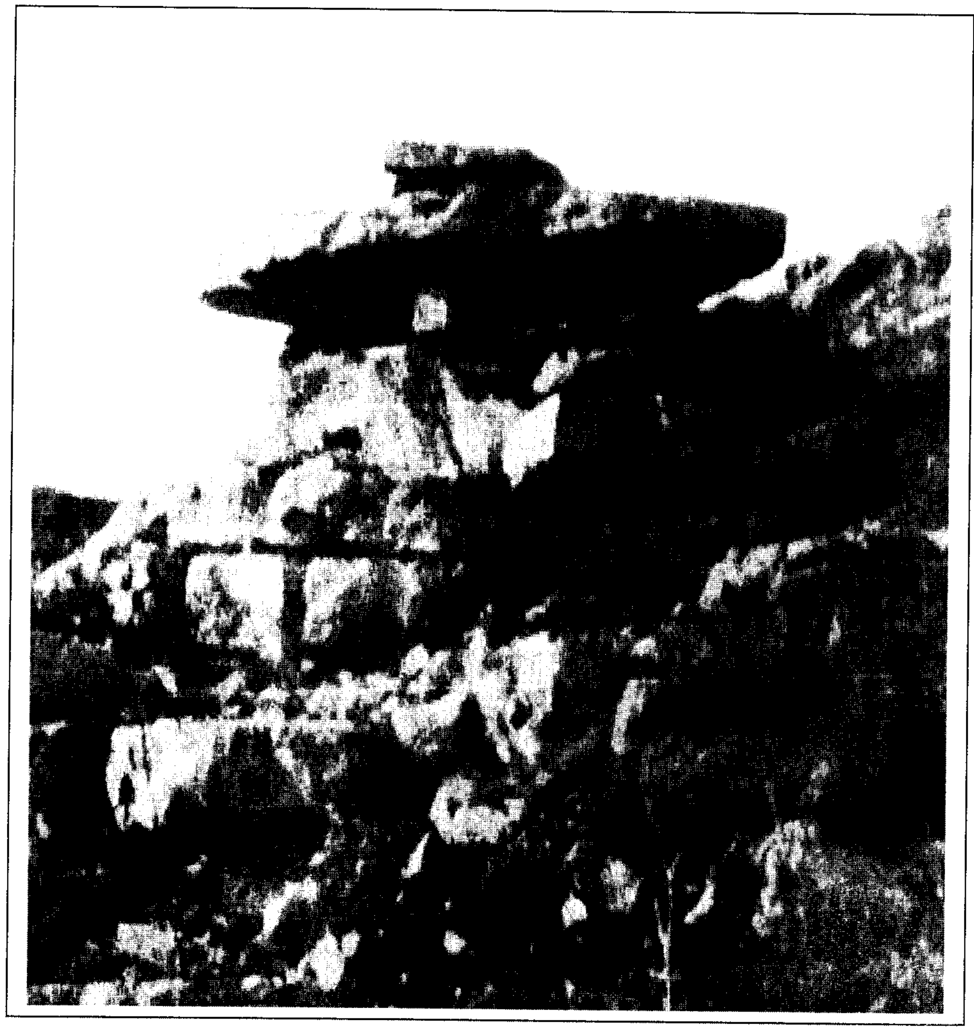
(2) نفس المرجع، ص. 18.

(3) - L. Ferand, op. cit., PP. 214 - 234.

(4) - A.Berthier, "la chapelle aux dolmens de Mahidjiba", R. Af., 1956, PP. 333 - 338.

(5) غانم محمد الصغير، المرجع السابق، ص. 43.

واحدة من المنجزات الحضارية الواسعة الانتشار ولا يمكن لنا بأي حال من الأحوال إلحاقها بجهة دون أخـــرى وهذا ما ذهب إليه فنطر من أنه من الصعب تحديد مصدر الدولمن فالثابت هي عناصر حضارية متوسطية توجد في العديد من الأقطار التي تطل على المتوسط[1]، (أنظر الشكل رقم: 06 ص. 56).



قبور من نوع الدولمن.(مقبرة سيجوس)
الـــشكل رقم: 06

---

[1] محمـــد حســـين فنطر، تونس أرض اللقاء – أرض الحضارة، دليل المعرض الأثري اشبيلية، الوكالة القومية للتراث، (المعهد القومي للآثار والفنون 1992)، ص.3.

الفصل الرابع

- المقبرة الميجاليتية بقلعة بوعطفان

1. التعريف بالموقع
2. الأبحاث الأثرية التي جرت في الموقع
3. تقسيم الموقع

أ. موقع ظهربية والسواقع

ب. موقع حوض بسباس

ج. موقع النقيب

د. موقع مشتى رمضاني

المقـــبرة الميجـــاليتية بقلعــــة بوعطفان:

1. التعريف بالموقع:

عرف موقع عين العربي (قونو سابقا) تحت اسم قلعة بوعطفان[1]، نسبة إلى سكان المنطقة الذين يعرفون باسم (اعشاش اعطاطفة)، وهي قبيلة كانت ولازالت تقيم بالمنطقة إلى اليوم، حيث يعرف الحيز الجغرافي الذي تتواجد فيه باسم مدودة. ومنه فإن الأثريين الذين زاروا الموقع خلال القرن الماضي اصطلحوا عليه التسمية السالفة الذكر، انطلاقا من تسمية السكان يقع الموقع حاليا ضمن إقليم بلدية عين العربي (أنظر الشكل رقم 7ص. 59)، التي تتبع إداريا دائرة عين مخلوف، يحدها من الغرب بلدية عين مخلوف ومن الشمال الغربي بلدية سلاوة عنونة (تبليس القديمة) وجنوبا بلدية عين سلطان، ومن الشمال الشرقي بلدية لخزارة.

تتميز بتوفرها على حمامين معدنيين هما حمام قرفة وحمام بلحشاني. يمتد الموقع على هضبة صخرية يزيد ارتفاعها على 900 متر فوق سطح البحر[2] تمتد آثار قلعة بوعطفان حسب بارنال (Barnelle) على مساحة تقدر بـــ 20 هكتار جزء هام منها يحتل الموقع الصخري[3] لكن في حقيقة الأمر تمتد آثارقلعة بوعطفان على عشرات الهكتارات التي تمتد من وادي شنيور لتصل شرقا إلى رأس مدودة وجنوبا أقصى مشتة أولاد بري عثر بالموقع على نقوش ليبية ورومات رومانية[4] أما اليوم فإننا لا نجد أثرا لهذه النقوش نظرا لوقوع الموقع في منحدر شديد، خاصة ناحية القلعة الرومانية.

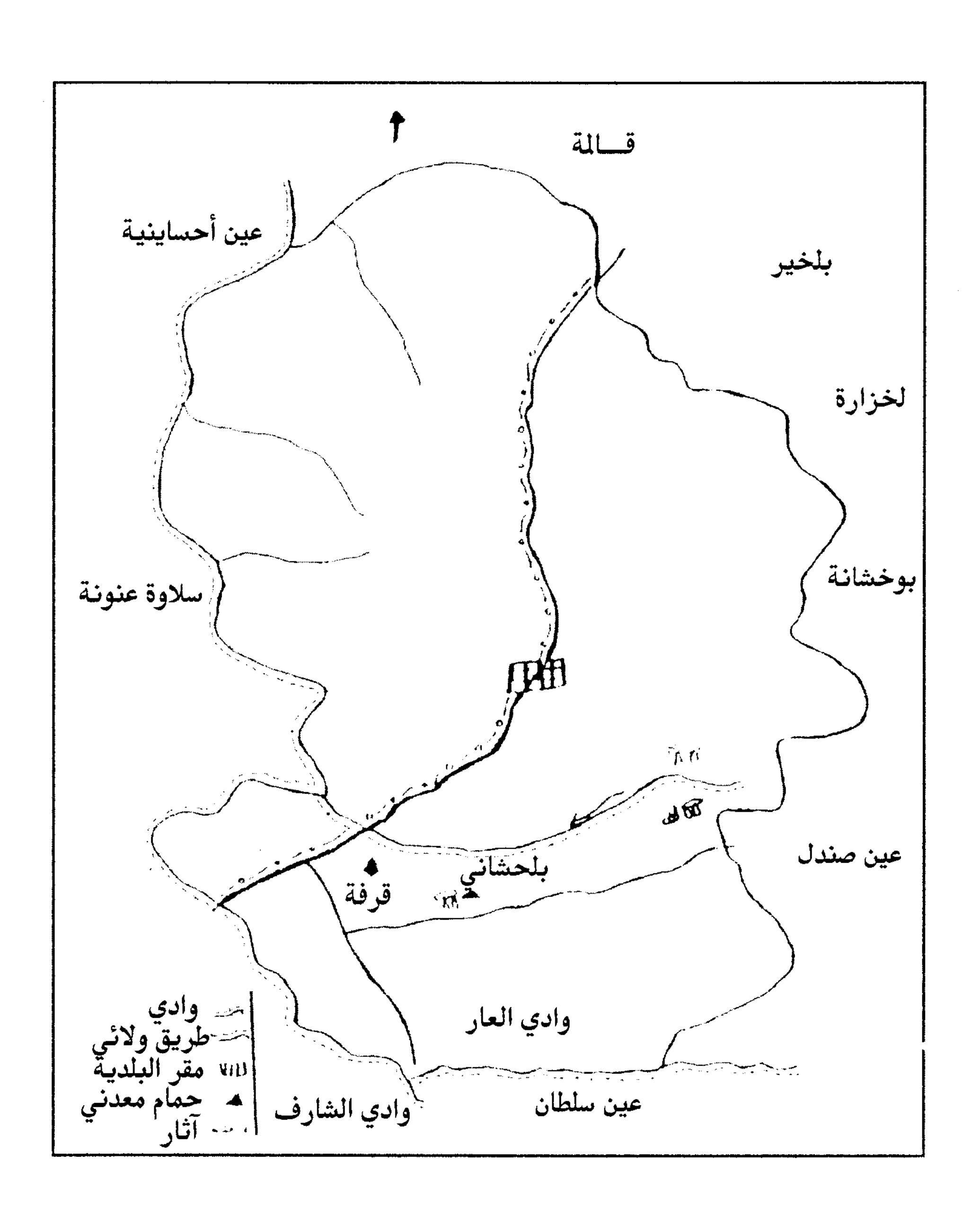
---

(1) - St. Gsell, M. A. A.,T. 1 P,. 26.

(2) خريطة طبوغرافية، رقم 99 سم 1 /5000.

(3) - R. Bernelle, "Vestiges antiques de L'oued-Cherf", R. S. A. C., 1892, PP. 93 - 94.

(4) - Ibid., P.94.



خريطة بلدية عين العربي

الشكل رقم: 07

2. الأبحاث الأثرية التي جرت في الموقع:

يعد موقع قلعة بوعطاف كما أسلفنا أحد المواقع الهامة بمنطقة قالمة خصوصا والشرق الجزائري عموما، كما هو الشأن لموقع الركنية وعين رقادة، وغيرها من المواقع المتواجدة بالعديد من مناطق الشرق الجزائري.كبونوارة، وسيجوس[1] وقصطل.

و لم يحظ هذا الموقع بالدراسة الكافية والتنقيب الأثري الذي شهدته معظم المواقع الأثرية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، خاصة المواقع الرومانية ومواقع فجر التاريخ، عدا زيارات بعض الأثريين التي تخلوا في مجموعها من الحفريات الأثرية المنظمة كتلك التي قام بها بورقينا وفيدارب بموقع الركنية، وبونوارة على سبيل المثال لا الحصر.

يمكن لنا إيجاز هذه الاستطلاعات الأثرية في النقاط التالية:

1. يعد الباحث فينرال (Ch. De Vigneral) من الأوائل الذين حطوا رحالهم بقلعة بوعطفان، إلا أن هذا الأخير كان إهتمامه واضحا بالآثار الرومانية المتواجدة عند مدخل القلعة وعلى جانبي وادي شنيور[2] .

2. يذكر روبو (Dr. Reboud) بأن السيد كارطوارد (Cartoirde) أثناء قيامه بحفر القبور عثر خلالها على قطع من حديد وعظام، وجماجم سنة 1878م، وكان الهدف من تنقيبه ذلك هوالبحث عن الكنوز وقد عثر على أواني تحتوي على عظام نصف محروقة[3].

3. زار س. جزيل الموقع ووصفه: "تقع قلعة بوعطفان على وادي شنيور، 24 كلم جنوب قالمة، يوجد بها أكبر عدد من المقابر المحلية، تحيط بها آثار رومانية تعود إلى القرون الأولى الميلادية[4].

ولقد تضمن كتابه حول الآثار القديمة بالجزائر صورة لدولمن من موقع أنقيب التي لازالت باقية إلى اليوم مع بعض الإنهيار الذي حدث بها.

---

(1) سيجوس: موقع أثري هام يقع على بعد خمسين كيلومتر غرب ولاية أم البواقي يحتوي على واحدة من أهم المحطات الأثرية.

(2) - Dr. Reboud,"Excursion dans la Maouna et ses contreforts", R. S. A. C., 1884, PP. 27 - 28.

(3) - Ibid, PP. 26 - 28.

(4) - St. Gsell, M. A. A...., PP. 33-34.

4. تطرق موجال (Abbé Mougel) إلى موقع بوعطفان مبينا بأن حجارة الموقع استعملت خلال فترة الاحتلال الفرنسي في تهيئة طريق السكة الحديدية بين قالمة وسوق أهراس[1]، كما نقلت بعض الآثار إلى متحف قالمة [2].

3. تقسيم الموقع:

أ- موقع ظهربية والسواقع:

يتوفر هذا الموقع الذي يضم موقعين متجاورين بحيث أنه لا يوجد حاجز طبيعي بينهما ولا يستطيع أن تفرق بينهما عدا تسمية لكل منها بتسمية خاصة.

يبدأ الموقع من رأس شنيور أين نجد النبع المائي الذي يعرف باسم عواج والذي يزود وادي شنيور بالمياه وكذا قرية عين العربي وهوشبيه بينبوع عين السر بالركنية الذي يزود القرية بالمياه[3] (أنظرالشكل رقم 8 ص.61).



منظـــر عـــام لموقـــع الســـواقع

الشكل رقم: 08

(1) - Abbé Mougel, "4Km de promenades archéologiques sur la vie droite de L'oued Mela", B. A.H., T. XIL, 1881, PP. 45- 50.

(2) - F. G. Depachtere, Muses et collection archéologique de l'Algérie et de La Tunise, musée de Guelma, Paris, 1909, P.39.

(3) يلاحـــظ وجود تشابه كبير في الخصائص الطبيعية بين منطقة عين العربي والركنية، مما أنتج عناصر تاريخية متشابهة إن لم نقل متطابقة.

تتميز الدولمن في موقع ظهربية بصفة عامة بصغر حجمها نسبيا، وبدائيتها حيث أنها أقل إتقانا مقارنة بدولمن حوض البسباس ودولمن مشتة رمضاني.

ونجد في كثير من الدولمن بهذا الموقع نفس الخصائص التي نجدها في الركنية من حيث الشكل العام، والسلك الحجري البسيط، وكذا الحجارة الطبيعية التي لم تتعرض في غالب الأحيان إلى الصقل عدا ما نجده في بعض النماذج، حيث أن الحجارة تبقى كما هي من الخارج لكنها تصقل من الداخل.

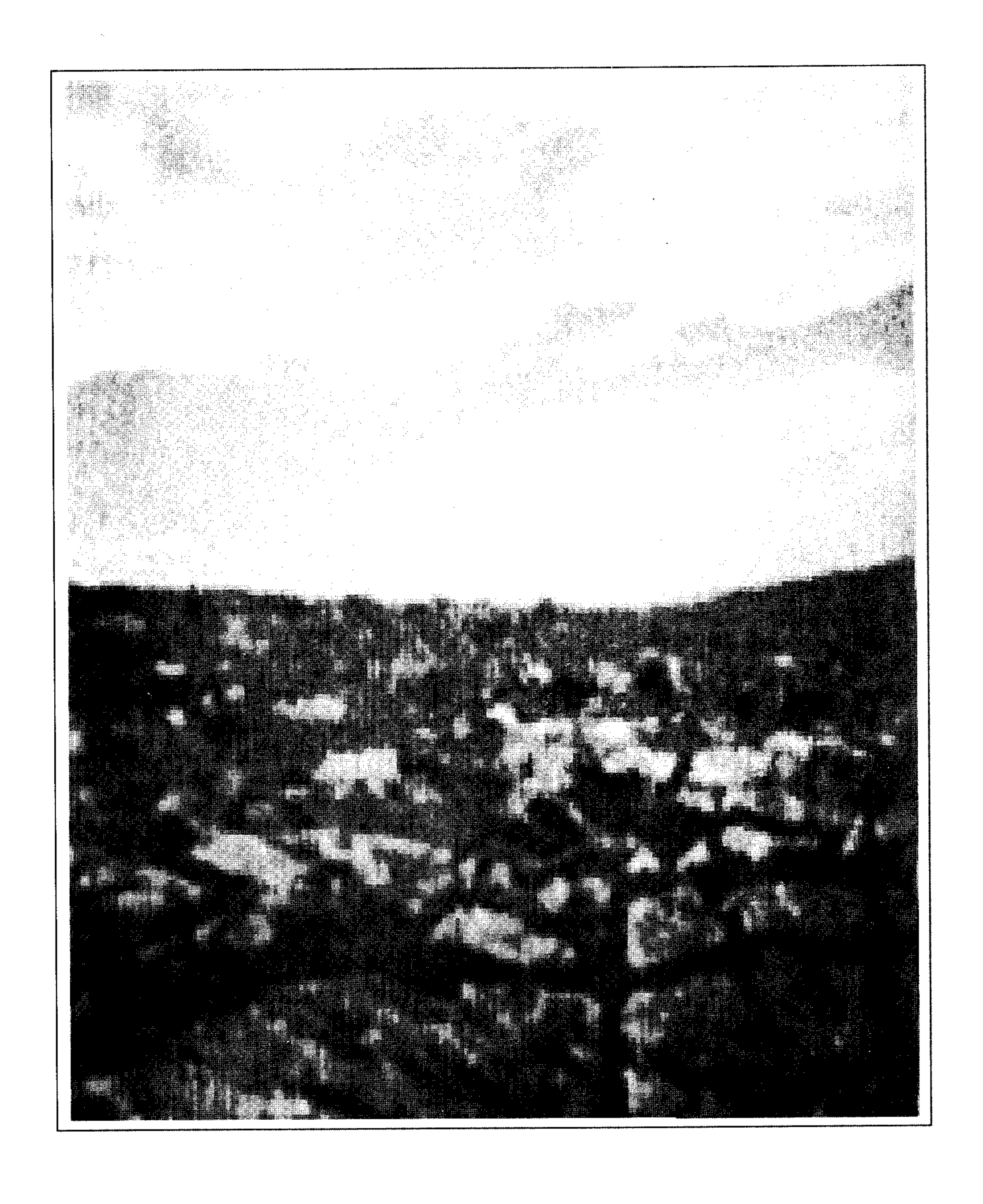
يصل طول المائدة بهذا الموقع إلى خمسة أمتار و1.66 متر عرض هذا ونلاحظ بأنه كلما انطلقنا من الشرق نحو الغرب أي من موقع ظهربية نحو الصواقع التطور في نوعية البناء وكذا ضخامة القبر والسلك، فهل يكون موقع ظهرية هو المكان الذي ظهرت فيه القبور الأولى للدولمن بهذه المنطقة؟ أم أنه لعشيرة متوسطة الحال، أما موقع الصواقع فإنه يحتوي على نماذج جيدة للبناء وأشكال مختلفة للدولمن الفردية المتعددة.

ب- موقع حوض البسباس:

يظل موقع حوض البسباس على وادي شنيور والملاحظ أنه عند الإنتقال إلى موقع البسباس نلاحظ أن الحجارة تؤخذ من المكان ذاته بحيث لا فرق بين الحجارة المستعملة في إنجاز القبور وتلك الموجودة في الطبيعة وما يميز هذا الموقع وجود نوع من الدولمن الضخمة سيأتي الحديث عنه في التصنيف فضلا عن تواجد مجموعة من الكهوف منها ما يعرف بالداموس الأحمر على حافة الوادي شمالا أين يعرف المكان بسبعة عيون أوالبزخة أين يتواجد النبع الذي يزود وادي شنيور بالمياه بعد نبع عواج[1]. (أنظر الشكل رقم 9 ص.63).

---

(1) تـــتواجد عبر وادي شنيور مجموعة من الينابيع المائية الدائمة الجريان، والتي تزود الوادي بالمياه مما يعمل على استمرارية تواجد المياه بالمنطقة.



منظر عام لحوض البسباس

الشكل رقم: 09

أما موقع القلعة الذي يميزه وجود بقايا آثار منازل ذات طابع روماني وكذا

شواهد قبور فضلا عن وجود بعض الكهوف المعدلة مثل داموس القلعة هو شبيه ببعض كهوف الركنية، وإلى جانب هذا نجد عدد قليل من الدولمن المتطورة ذات سدادة مترجلة والتي سيأتي الحديث عنها وهي قليلة ونادرة بالموقع كما أن هذا النوع يكاد ينعدم ويندر بمدافن شمال إفريقيا.

-ج مـــوقع أنقيب:

يقع هذا الموقع الأثري على مرتفعات وادي شنيور على الجهة الشمالية، يحده شرقا مشتة ابن ضاوية، جنوبا مشتة الكرمة، وشمالا مرتفعات ادخالي وغربا مقر بلدية عين العربي تواجد به العديد من الدولمن المختلفة الأحجام زاره س. جزيل[1].

د مـــوقع مشتة رمضاني:

سمي بهذه التسمية نسبة إلى عائلة أو قبيلة مقيمة في إقليم البلدية بمشتة رمضاني، فعند الانتقال من موقع أولاد بري الذي يحمل هو الآخر تسمية العائلة المقيمة به نحو الشرق نجد موقع رمضاني وهو أحد المواقع الهامة في منطقة عين العربي (قلعة بوعطفان) يمتد على هضاب حجرية تتخللها شعاب تتميز بجريان المياه فيها شتاء وجفافها صيفا، فضلا عن قلة الأشجار والغطاء النباتي بصفة عامة يتميز هذا الموقع بصخوره الطباشيرية المنضدة فوق بعضها البعض في شكل طبقات صخرية، ويتواجد به المئات من الدولمن بمختلف أحجامها، وبخاصة ظاهرة الدولمن المصحوبة بمنهير، في حين لا نجد هذا الصنف من الدولمن في المواقع الأخرى، كما نجد مجموعة من الموائد الضخمة التي يتجاوز طول مائدتها أكثر من 5 أمتار كما نجد بقايا الأماكن والمقالع الحجرية جد واضحة، (أنظر الشكل رقم 10، ص. 65).

---

(1) يـــبدو أن جزيل لم يزر كامل الموقع حيث تحدث على منطقة انقيب دون الإشارة إلى باقي المواقع، كما التقط صورة لقبر موقع انقيب.



منظر عام لموقع مشتة رمضاني
الشكل رقم: 10

الفصل الخامس

- المقبرة الميجاليتية بموقع الركنية

1. التعريف بموقع الركنية
2. كرونولوجيا الموقع
3. توالي التنقيبات الأثرية
   - أ. حفرية بورقينة
   - ب. حفرية الجينرال فدراب
   - ج. حفرية السيدة الكي
   - د. الدراسات التاريخية والمقالات الوصفية
     1. دراسة بروني بي
     2. دراسة ج. كامبس
4. توجيه المعالم الأثرية في المنطقة
5. أنواع الأسيجة الحجرية
6. خصائص الغرفة الجنائزية
7. الأواني الفخارية
   - أ- الأواني الصغيرة الحجم
     1. الجفان الصغيرة
     2. القوارير

المقبرة الميجاليتية بالركنية:

1. التعريف بموقع الركنية:

تقع المقبرة الميجاليتية بالركنية شمال غرب مدينة قالمة[1] على بعد 35كلم شمال حمام دباغ (حمام المسخوطين سابقا) على مسافة 12كلم[2]، ويمكن الوصول إلى المقبرة من طريق ثاني وهو الذي يربط عزابة بالركنية على مسافة 45كلم يحدها من الناحية الشرقيةجبل أدباغ الذي يصل ارتفاعه إلى 1050متر والذي يتربع على مساحة تقدر بـــ 2925 هكتار.

ومن الناحية الجنوبية مشة السطحة ووادي ادواخة، ومن الناحية الشمالية قرية الركنية. أما من الناحية الغربية فيحدها كل من جبل اشعايرية المسمى جبل المنشار وجبل لقرار الذي يصل ارتفاعه إلى 1070متر وهو بذلك يعد أعلى قمة في المنطقة.

أما إذا عدنا إلى الخريطتين الطبوغرافيتين ذات السلم 50000/1 و25000/1، ففي الأولى تقع المقبرة بين خطي 904 و905 شمالا جنوب وخطي 366- 368 شرق غرب وفي الثانية نجدها بين خطي 339- 342 شمالا جنوبا و4042-4044 شرق غرب.

تمتد المقبرة على مساحة تقدر بـــ 3كلم طولا. وما بين 700 إلى 800 متر عرضا بمحاذاة أراضي السطحة.

ويرى بورقينا أن أسباب اختيار هذا الموقع ليكون مكانا أبديا للموتى إلى أنه يعتقد أن الركنية كانت عبارة عن حمام طفئ وبنى القدماء من فوقه معالم جنائزية معتقدين بأنها تكون تحت حماية جهنمية...وفضلوا توجيه المعالم الجنائزية نحو أفران كانت مشتعلة تسرب منها الحرارة. ويبدو من خلال الدراسة التي قام بها بورقينا أنه ربط بين الدراسة الجيولوجية من حيث نشأة وتكون الصخور

---

[1] تقع مدينة قالمة جنوب غرب عنابة على بعد 65 كلم، وعلى بعد 32 كلم شمال شرق المدينة الأثرية تبليس (Tibilis) سلاوة عنونه حاليا، لمزيد من المعلومات أنظر: .St.Gsell, A.A.A.F.9; N146 -

[2] يعد حمام ادباغ (حمام المسخوطين) أحد البوابات الرئيسية المؤدي لموقع الركنية، ولقد عثر به على بقايا أثرية هامة لمزيد من المعلومات أنظر هانريش فون مالتسان ثلاث سنوات في شمال غرب إفريقيا ترجمة أبو العيد دودو، الجزء 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1979، ص. 224.

الرسوبية ويبدو أن اختيار هذا الموقع كان نتيجة عدة عوامل يمكن حصرها في النقاط التالية:

2. طبيعة المنطقة الصخرية التي وفرت المادة الأولية لإنجاز القبور دون عناء البحث عنها في أماكن أخرى وكذا هشاشة بنيتها فهي تتكون أساسا من صخور الترافرتين الهشة والتي يسهل على قلاعي الصخور التحكم فيها دون مشقة.

3. تواجد المقبرة بمحاذاة أراضي خصبة صالحة للزراعة وهي أراضي السطحة والتي تعد من أخصب الأراضي بالمنطقة. فقد تكون هذه الأخيرة قد زرعت في فترات معينة من قبل بناة المقابر هذا بالنظر إلى الاستقرار البشري الضخم الذي كان بالمنطقة من حيث حجم وعدد القبور التي تزيد على 3000 قبر.

4. توفر الينابيع المائية التي تلعب دورا هاما في الاستقرار والتي من أهمها ينبوع عين القصر الذي يعرف بعين لزة وكذا عين دير. ويقع على حافة الوادي بالقرب من المقبرة ومنه فإن اختيار هذا الموقع يكون قد خضع بالضرورة لعوامل عدة متداخلة بين ما توفره الطبيعة وحاجات الإنسان في ذلك الوقت.

تحتوي المقبرة الميجاليتية بالركنية على أكثر من 3000 قبر من نوع الدولمن، مختلفة الأحجام والأنماط[1] هذا في الوقت الذي نجد فيه عددا كبيرا من هذه القبور قد تحطم بفعل عوامل عديدة[2]، كما هو الحال بالنسبة لموقع قلعة بوعطفان وبعض المواقع الأخرى كبونوارة مثلا. (أنظر الشكل رقم 11 ص.70).

تنتشر قبور الدولمن بموقع الركنية عند منحدر واديها بصورة غير منتظمة حيث إذا انطلقنا من مشتة السطحة تبعا لخط توزيع الدولمن نحو نهايته نلاحظ بأن المقبرة تبدأ ببعض القبور الصغيرة الحجم.

يرى ج. كامبس أن الدولمن الشمال الإفريقية ذات أبعاد صغيرة وهي في الأصل مخصصة للدفن الفردي[3]. يضيق الموقع في الناحية الجنوبية ويبدأ الاتساع حيث تنحصر الأراضي الزراعية، وتزداد المقبرة اتساعا كلما اتجهنا شمالا فتمثل كل المنحدر الجبلي وعليه فإن أول ملاحظة نميزها في موقع الركنية هي:

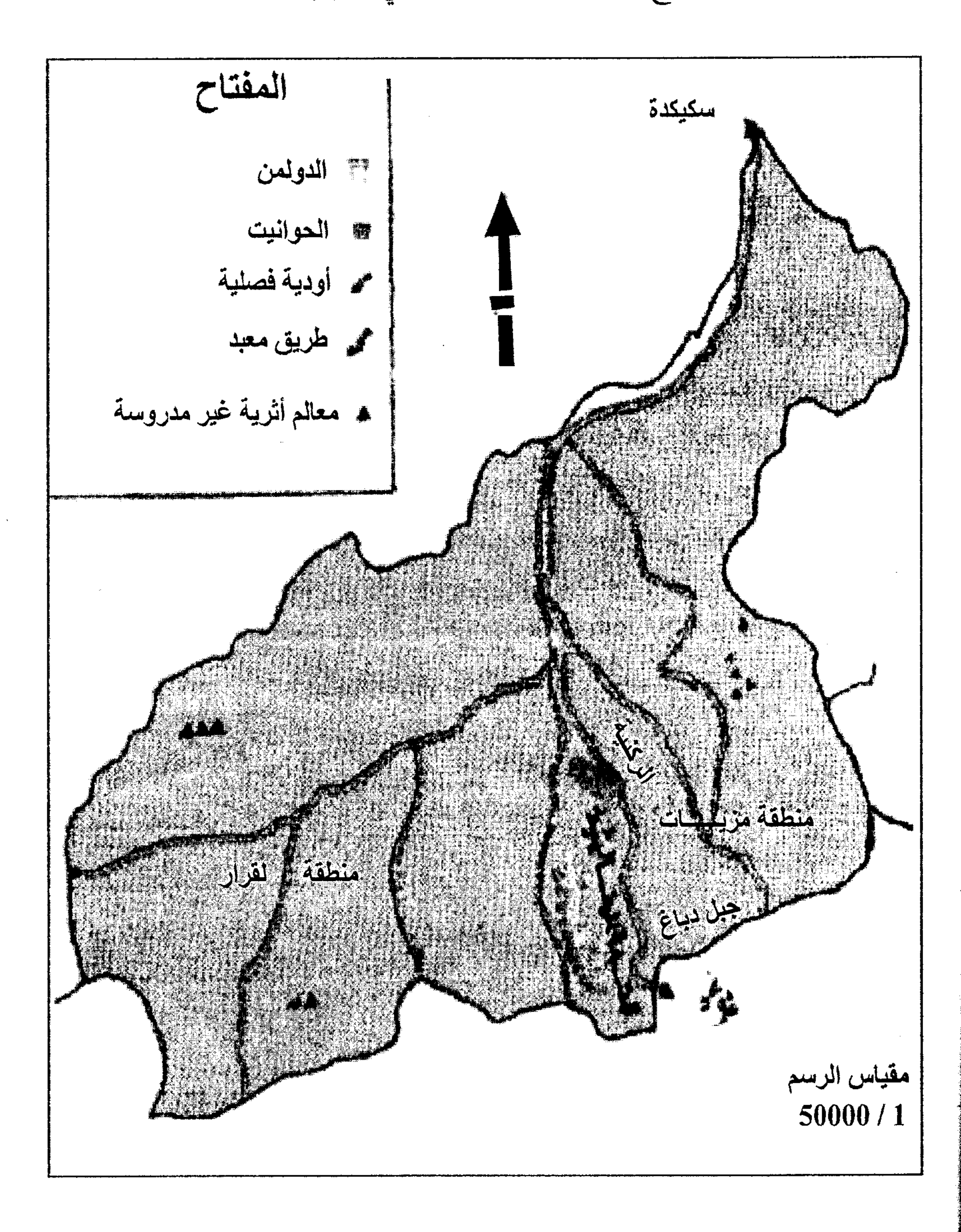
تطور قبور الدولمن من حيث الحجم والشكل كلما اتجهنا من الجنوب نحو الشمال.

---

(1) - Gr.Bourguignat, op. cit., P.18.
(2) - Ibid. P. 19.
(3) - G. Camps, Aux origines..., P.139.

إن هذا التطور الحضاري يدفعنا إلى الاعتقاد بأن المنطقة الجنوبية كانت المكان الأول الذي استغل للدفن.

تزامن هذا التطور مع تطور قبور الحوانيت التي تحتوي عليها مقبرة الركنية.



تتواصل قبور الركنية في شكل خطوط مستمرة مما يدفعنا بأن هذه القبور المتتابعة في خط واحد قد تكون لنفس العائلة التي كانت تدفن موتاها بالتعاقب[1] .

يختلف حجم دولمن الركنية من قبر لآخر وهي تتراوح عموما بين 0.80م إلى 3م طولا و0.55 إلى 1.70م عرضا فهي بذلك أصغر بكثير من دولمن قلعة بوعطفان التي تتميز بالضخامة وكبر حجمها.

2. كرونولوجية الموقع:

يوجد اختلاف وتضارب في تحديد الفترة الزمنية بدقة لإنشاء هذه المقبرة، ويرى بورقينا الذي قام بدراسة الموقع في القرن الماضي اعتمادا على دراسته للقواقع بأن دولمن الركنية تعود إلى 2200 ق.م[2].

أما السيد بروكا (Broca) فإنه يرجعها إلى القرن 14 ق.م[3]، هذا ويرى ريقاس بأن الاعتماد على القواقع في تحديد عمر المقابر طريقة غير مجدية في تحديد تاريخ دقيق لها خاصة بعد تطور العلوم واكتشاف طرق علمية أكثر دقة من تحديد عمر الآثار.

وعليه فإنه يجب علينا تحديد فترة زمنية محددة لعمر دولمن الركنية والملاحظ أن شكل وطبيعة موقع الركنية وكذا الدراسات التي تمت حول الأثاث الجنائزي تعكس قدم الموقع وكذا الفترة الزمنية الطويلة التي استغل فيها من قبل السكان، وقد يكون امتد حتى العهد الروماني ويصنف موقع الركنية ضمن المواقع الليبية البونية.

3. توالي التنقيبات الأثرية:

بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م وبداية التوسع بدأت حمى البحث عن الآثار وعن تاريخ الأجناس فبرزت معهما عمليات التنقيب التي كانت في معظمها تفتقر إلى قواعد البحث والتنقيب كذا الشروط العلمية والموضوعية التي تميز عالم الآثار خاصة وأن علم الآثار لازال يحبوو لم يقف على رجليه كعلم متين الأساس والقواعد فاستغل بذلك العسكري والهاوي والمغامر والباحث عن الكنوز تلك الأوضاع فتمخضت عن ذلك عمليات تنقيب أهم ما

---

(1) - G.Faidherbe, op. cit., P.24.

(2) - Gr. Bourguignat, op. cit., PP. 18-20.

(3) - A. Berthier, op. cit., P. 629.

يميزها الفوضى والعشوائية. ولم تشد المقبرة الميجاليتية بالركنية مثل غيرها من تنقيبات الهواة والعسكريين بين الباحثين عن الكنوز[1].

ولقد تمت الحفريات الأولى باكرا على يد بربرجي (A. Berbruger) سنة 1864 ولوتورنو(A. Letourneau) وشميط (schmit) سنة 1865 غير أن أهم الحفريات هي تلك التي قام بها بورقينا (Bourguignat) وفيدارب (G. Faidherbe) سنة 1867م وكذا حفرية السيدة (Alquier) سنة 1932 والتي لم تترك لنا أي شيء مكتوب عدا ما يوجد بمتحف الباردومن أواني، وتقدر بـــ 50 آنية فخارية و60 قطعة من نوع المصاقل.

أ. حفـــرية بورقينا:

لقد كان بورقينا أحد المهتمين بالآثار فقد قام بالعديد من الأعمال أين قام بحفر بعض التيملوس بالصحراء[2]، كما قام بحفريات أخرى بتونس[3]، ولمساعدة الجنرال فيدارب القائد العسكري لمنطقة بون انتقل بورقينا مع فريق من الهواة والمهتمين بالآثار إلى منطقة قالمة. فقام بحفريات بالمقبرة الميجاليتية بالركنية في شهر جوان من سنة 1867 أين قام بحفر 28 قبرا من نوع الدولمن.

وأقل ما يقال عن حفرية هذا الأخير أنه بغض النظر على الخيال الواسع الذي استعمله في تفسير كثير من القضايا فإن حفريته[4] تبقى واحدة من بين الحفائر الشبه منظمة، أما عن نتائج حفريته فتتمثل فيما يلي:

(1) - Dr. Rebaud "Notes sur la nécropole mégalithique de Roknia", A. F. A. S. , Alger, 1881, P. 125.

(2) - Gr. Bourguignat, Les monuments symboliques de l'Afrique de nord, (Paris 1868), P. 7 - 8.

(3) - G.R. Bourguignat, Histoire malacologie de Régence de Tunis, Paris 1868, P. 7.

(4) - St.Gsell, M. A. A..., T. I., PP. 18 - 23.

اسم الأثري	تاريخ الحفرية	عدد الدولمن المنقب فيها	عدد الأواني الفخارية	عدد الحلي	العظام البشرية
بورقينا Bourguinat J. R.	جوان 1867	28 قبر	45 آنسية مختلفة الأشكال	13 حلية من البرونز 2 حلية من الفضة	48 عظام إنسان تم إثبات 20 رجل 17 إمراة

ب. حفرية الجينرال فيدارب:

لم تتوقف حملات البحث والتنقيب في المقبرة الميجاليتية، بل مباشرة وبعد أن كانت حفرية بورقينا في جوان من سنة 1867م تلتها حفرية فيدارب هذا الأخير الذي كان يعمل بالسينغال والذي عين كقائد عام لقطاع بونة (عنابة الحالية)، وهذا بعد سنتين من ميلاد مجلة هيبون سنة 1865 وقبلها الجمعية التاريخية الجزائرية سنة 1856، ثم الجمعية البيئية سنة 1861[1]. ولقد نصب فيدارب مخيمه بمشتى الركنية التي كانت مركزا هاما من مراكز التجمع السكاني منذ القديم لأن قرية الركنية الحديثة ولدت مع نهاية القرن التاسع عشر، بعد استقرار المستوطنين بها.

يعد فيدارب من المعارضين لأطروحة برتراند الكسندر (Alexandre Bertrand) القائلة بأن بناة الدولمن هم أقوام أوروبية قدموا من بريطانيا وفرنسا وإسبانيا نحو إفريقيا الشمالية[2]. وكان فيدارب أيضا من الذين قاموا بحفريات شبه منظمة بالمقبرة حيث وضع في النهاية مخطط لتوزيع الدولمن بالمقبرة.

كما قام بالتنقيب في مغارة طاية (Taya) رفقة بورقينا أين عثر على كمية معتبرة من العظام[3] ولقد حفر بموقع الركنية مجموعة من الدولمن أسفرت على النتائج التالية: (أنظر الجدول التالي):

---

(1) - G.Camps, Aux origines..., PP. 14 - 15.

(2) - A. Bertrand, "Monuments dits celtiques de la Province de Constantine", R. AR, 2ème série T. VIII, 1863, PP. 519 - 530.

(3) - Bourguignat, Histoire du Djebel Taya..., PP. 20 - 24.

اسم الباحث	تاريخ الحفرية	عدد الدولمن المنقب فيها	عدد الهياكل التي عثر عليها	اللقى الأثرية فخار/حلي
الجينرال فيدارب G. Faidherbe	أكتوبر 1867	15 قبر	مجموعة من الجماجم والعظام	مجموعة من الحلي والفخاريات

ويرى فيدارب بأن " المقابر تتابع في نفس الاتجاه في خط متواصل بحوالي ثلاثين دولمن في كل خط، ويعتقد أن نفس العائلة كانت تدفن أمواتها بالتعاقب[1].

وعليه فإن حفرية الجنرال فيدارب إلى جانب حفرية بورقينا تعد من أهم الحفريات التي جرت في الموقع وتركت لنا رصيدا معروفا وأظهرت بعض اللقى الأثرية.

ج. حفرية السيدة الكي:

بعد أن تمت حفرية كل من فيدارب وبورقينا سنة 1867 لم تجر أية حفائر بالمقبرة عدا بعض المقالات الوصفية التي كانت تظهر من حين لآخر حول المنطقة مثل ما كتبه (Souley) سنة 1869وشارلي (M. Charles Mollet) و(Dr. Reboud) سنة 1881 وكذا فوفال[2]. (Dr. Fauvelle) عام 1869 و(Dr. A. Bloch) الذي درس سنة 1896 الجنس البشري، أما مع مطلع القرن 20 فقد كان من أهم ما كتب ما تركه[3] جاكو (L. Jacquot) سنة 1916 وتعد السيدة الكي (Alquier) من الذين قاموا بحفريات ذات أهمية نظرا لما أسفرت عنه من لقى أثرية (أنظر الجدول التالي)

صاحب الحفرية	السنة	عدد الدولمن المنقب فيها	عدد الفخاريات	الحلي
السيدة ألكي J. Alquier	1932م	؟	52 آنية	60 قطعة من نوع Cyprès محارة مروحية

(1) - G.Faidherbe , "Recherches anthropologiques sur les tombeaux Mégalithiques de Roknia", B. A. H., T. IV, 1868, P.24.

(2) - Dr. Fouvelle, "Quelques considérations sur les tombeaux de Roknia, A. F. A. S.1890, PP. 563 - 565.

(3) - L.Jacquet, "La Nécropole dolmanique de Roknia" R. S. A. C., T. L. 1916, PP. 207 - 218.

د. الدراسات التاريخية والمقالات الوصفية:

لقد كانت المقبرة الميجاليتية بالركنية واحدة من بين المواقع التي جلبت اهتمام المنشغلين بالكتابة في التاريخ القديم وخاصة فجر التاريخ (Protohistoire)، فكانت حملة من الدراسات أهمها.

1. دراسة بروني بي:

لقد أسفرت حفرية بورقينا كما سبق أن اسلفنا عن 37 هيكل عظمي قام دبروني بي بدراستها، أين تعرف على هيكلا لـ 20 رجلا و17 امرأة ويوضح هذا الأخير بأن الهياكل تشمل أجناسا عدة فضلا عن وجود هيكلا لإمرأة مصرية [1] ولقد وردت هذه الدراسة والتحليل رفقة العمل الذي قام به بورقينا[2].

ولقد قام فيما بعد (Dr. Bloch) بدراسة الجنس البشري بالمنطقة والملاحظ أن الدراسات الأنثروبولوجية كانت واحدة من أهم الأعمال التي استهوت المنشغلين بالبحث عن أصول الأجناس لتحقيق أهداف استعمارية.

2. دراسة جبريال كامبس:

يعد الأستاذ كامبس أحد الباحثين البارزين الذين اهتموا بهذه الفترة الهامة في تاريخ منطقة شمال إفريقيا عموما، وكان موقع الركنية (Roknia) أحد المواقع التي اهتم بها في أبحاثه سواء ما تعلق بالمقارنات بين المواقع أو اللقى الأثرية كما قام بدراسة الأواني الفخارية التي عثر عليها كل من فيدراب وألكي لمعرفة الفروقات الموجودة بين كل مجوعة وأخرى[3] .

كما أن كامبس اهتم بمعظم ما كتب حول الموقع من مقالات أو حفريات أثرية.

4. توجيه المعالم الأثرية في المنطقة:

إن ضخامة قبور الدولمن المتواجدة بموقعي قلعة بوعطفان والركنية أدى إلى تنوع هذه الأخيرة من حيث بنية القبر وشكله، وتوجيهه أحيانا، ففي الركنية يرى بورقينا أن التوجيه نحو الشمال الغربي هو الغالب[4].

---

(1) - M.Reygasse, op. cit., P. 22.

(2) - Gr. Bourgignat, Histoire des monuments mégalithiques de Roknia prés de hammam Maskhoutine, Paris, 1870, PP. 38 - 52.

(3) - G. Camps, Aux Origines..., PP. 562 - 563.

(4) - Bourguinat, op. cit., P. 27.

ولقد قام مورال (J. Morel) سنة 1939 بحفر ثلاثة قبور كانت موجهة شمال جنوب[1]. والملاحظ أن قبور الدولمن التي قام بورقينا بحفرها، قبور الرجال فيها كانت موجهة نحو الجنوب الغربي عكس قبور النساء التي كانت موجهة شمال شرق[2]، فهل يكون هذا الاختلاف في التوجيه مصدره.

- التفريق بين الموتى خلال التوجيه وبالتالي معرفة قبر الرجل من المرأة وهل هذا بدوره يخضع لطقوس خاصة؟.
- أم أن الفئة الموجهة توجيها خاصا هي فئة اجتماعية خاصة ارتبطت بحوادث أوبظروف معينة داخل المجتمع الليبي. حيث أنه مثلا وجد في مقبرة بونوارة من بين 23 قبر نجد 14 موجهة شمال جنوب[3]. وعموما فإن بورقينا يرى بأن توجيه دولمن الركنية شبيه بتوجيه الدولمن في بريطانيا[4].

في الوقت الذي نجد فيه التوجيه الغالب في بونوارة هو جنوب شرق.الذي نجده في كثير من قبور قلعة بوعطفان.

5. أنواع السياج الحجري:

يعتبر السياج الحجري أحد العناصر الأساسية المميزة لقبور الدولمن في الركنية يحتل السياج الحجري مساحة تقدر بين 3 إلى 12 متر وهي دائرية الشكل في الغالب عدا واحدة منها مربعة[5].

أما في قلعة بوعطفان فإن السياج الحجري يتميز بعدة خصائص أهمها ضخامة الحجارة المستعملة في إنجاز السياج الحجري الذي يكون في الغالب دائريا والملاحظ أنه في المنحدرات نجد أن السياج الحجري يستعمل إنجازه قبور أضخم كما هو الحال في المنطقة الوسطى بالركنية أو بالدولمن الضخمة بخصوص البسباس، ويمكن لنا أن نحصر مجموعة من الأصناف هي:

1. السياج الحجري الفردي الدائري .
2. السياج الحجري المزدوج الدائري.

---

(1) - G. Camps , Aux origines ..., P. 549.
(2) - Bourguignat, op. cit., PP. 23 - 27.
(3) - G.Camps, op. cit., P. 544.
(4) - M.Reygasse, op. cit., P. 22.
(5) - St.Gsell, M. A. A..., P.21.

3. السياج الحجري الثلاثي المركزي.
4. السياج الحجري الثنائي اللامركزي
5. السياج الحجري المستطيل
6. السلك الحجري المستطيل
7. السلك الحجري النصف الدائري

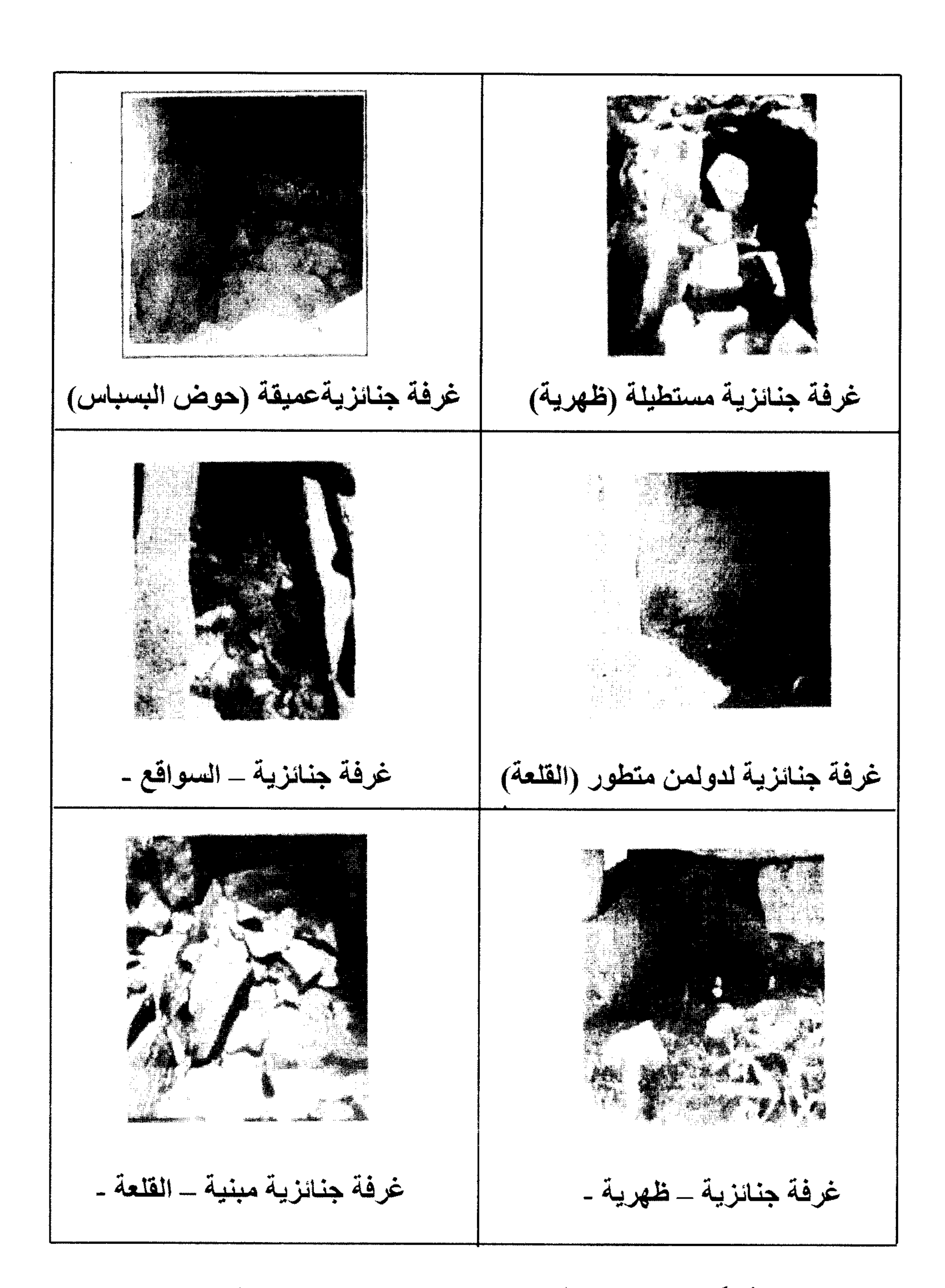
هذا وتتميز السياجات الحجرية بقلعة بوعطفان بتنوعها، وضخامتها كما أن الحجارة معدلة ومنحوتة بكيفية تجعلها متناضدة ومتماسكة لحماية القبر، عكس موقع الركنية أين نجد الحجارة استعملت طبيعية كما وجدت في الطبيعة.

6. خصائص الغرفة الجنائزية:

تخضع مساحة وشكل الغرفة الجنائزية إلى الشكل العام لقبور الدولمن، فمقبرة الركنية تتميز بصغر قبورها التي تصنف ضمن المحطات القديمة بشمال إفريقيا كما أن الغرفة الجنائزية بهذا الموقع، نجدها خالية من أي تعديل عدا ما نجده في الدولمن المتقنة الصنع التي نجد الأرضية فيها قد فرشت ببلاطة حجرية.

أما باقي الدولمن فإنها خالية من أية حجارة على الأرضية أما الأعمدة فإنها عادة تتكون من جلمودين صخريين وقلما نجد الأعمدة في شكل بناء متراص كما هو الحال في الدولمن المذكور آنفا.

أما بقلعة بوعطفان فإن ضخامة قبور الدولمن بها أعطتنا نماذج واسعة للغرفة الجنائزية التي تتجاوز الثلاثة أمتار طولا في بعض الأحيان كما هو الحال في الدولمن الضخمة التي تتجاوز مائدته الخمسة أمتار بمشتة رمضاني (أنظر الشكل رقم 12 ص. 77) .



غرفة جنائزية مستطيلة (ظهرية)

غرفة جنائزيةعميقة (حوض البسباس)

غرفة جنائزية لدولمن متطور (القلعة)

غرفة جنائزية – السواقع -

غرفة جنائزية – ظهرية -

غرفة جنائزية مبنية – القلعة -

أشكـــال الغـــرف الجنـــائزية بقـــلعة بوعـــطفان

الشكل رقم: 12

مما يدفعنا إلى الاعتقاد بممارسة الدفن الممدد، وإلا بماذا نفسر طول الغرفة الجنائزية في قلعة بوعطفان، حيث تأخذ شكل مستطيل كما أن الأعمدة تخضع في غالب الأحيان إلى عملية النحت وبالتالي أن يكون استعمال جلاميد صخرية منحوتة أو حجارة صغيرة منحوتة على شكل جدار متراص، حيث تبلغ صفوف الحجارة أكثر من أربعة صفوف من الحجارة الضخمة التي يبلغ علوها 80 سنتيمتر، كما هو الحال في الدولمن الضخمة بحوض البسباس.

إن تنوع مساحة الغرفة الجنائزية في الموقعين يدل دلالة واضحة على اختلاف طرق الدفن وعاداته الجنائزية من جهة، ومن جهة أخرى تعكس طبيعة البنية الاجتماعية.

7 – مقارنة بين موقع الركنية وقلعة بوعطفان بعين العربي:

عناصر المقارنة	موقع الركنية	موقع قلعة بوعطفان
خصائص الموقع الجغرافي	يقع على وادي الركنية في الواجهة المقابلة لجبل المنشار –توفر ينبوع عين القصر الغني بالمياه الصالحة للشرب. توفر أراضي زراعية خصبة (أراضي مسطحة)	يقع على وادي شنيور/يتزود الوادي بالمياه من نبعين طبيعيين هما نبع 7 عيون والعواج، تواجد مجموعة من الأراضي الزراعية بجوار الوادي. الموقع الأثري يقع على قمة صخرية مرتفعة.
البنية الجيولوجية	يتكون الموقع من صخور الترافرتين الهشة، بنية جيولوجية شبيهة بحمام المسخوطين، مما سهل حفر الحوانيت في الواجهة الصخرية.	تتكون مقابر من صخور طباشيرية (Calcaire) والبنية التضاريسية للموقع سهلت عملية قص الموائد الضخمة والتفنن في استعمال الحجارة.
طبيعة المعالم بكل موقع	يحتوي الموقع على صنفين من القبور أ. قبور الدولمن ب. قبور الحوانيت	يتواجد به الدولمن العادية والمتطورة والمنهير تنعدم به الحوانيت.
الفترة الزمنية	يرجع إلى الفترة الليبية الفينيقية	يعود حسب جزيل وكامبس إلى العهد الروماني.
مميزات	تعد من أقدم الدولمن تتميز بتنوعها	قبور الدولمن تتميز في مجملها

قبور الدولمن	وصغر حجمها في الغالب.	بالقمامة المائدة جد كبيرة سميكة – وجود قبور عميقة أخذت شكل البناء في القبر.
أهم الحفريات بكل موقع	توالي على الموقع مجموعة كبيرة من الباحثين الأثريين	زارها د. روبوسنة 1881 ثم جزيل في مطلع القرن 20
اللقى الأثرية	يعد موقع الركنية من المواقع الغنية بالأثاث الجنائزي المستخرج 18 آنية ومجموعة من الحلي والهياكل العظمية .	لم تجر بالموقع حفريات منظمة،لذا لا تتوفر لدينا معطيات حول الأثاث الجنائزي الذي ضاع مع التنقيبات التي كانت تجرى بهدف البحث عن الكنوز.
طبيعة السياج الحجري	يتميز بصغر حجمه وحجارته الطبيعية المستعملة مباشرة دون تعديل. يتنوع حيث نجد العديد من الأنواع	يتميز السياج الحجري بالضخامة حجارته كبيرة نظرا لطبيعة الموقع. يصعب علينا في بعض الأحيان فرزه، هل هوفردي أم ثنائي أم ثلاثي لأن الحجارة اختلطت به، وهوشبيه بالسياج الحجري لموقع سيجوس.
طبيعة وشكل	اقتلعت الكتل الحجرية واستعملت طبيعة دون تعديل عدا القليل جدا منها كما	المائدة تتميز بالضخامة عموما من حيث سمكها وكذا تعدد

المائدة	هوالحال في الدولمن المتقنة الصنع والتي ترجع إلى فترة متأخرة نسبيا.	أشكالها ـ مائدة مربعة- مستطيلة — شبه منحرف. يتجاوز طول المائدة 5 أمتار في موقع مشتة رمضاني والسواقع.
توجيه المعالم	معظمها موجه شرق غرب. بعض الدولمن الليلة موجهة جنوب شمال.	موجهة نحوالشمال — مثل الركنية
وضعية الموقع الحالية	الموقع تعرض للتقلص نتيجة استعمال سكان مشتة الركنية لصخوره، لكنه على العموم أحسن حال من موقع قلعة بوعطفان	- الموقع يسير نحوالانهيار والاندثار . - الدلامن تكسرت سواء بفعل الطبيعة أوالإنسان. - الموقع بحاجة إلى عملية إحصاء شاملة.
الغرفة الجنائزية	تتميز بضيقها مفرشة ببلاطة حجرية أحيانا. تتنوع حسب حجم القبر ومساحته	-اختلاف الغرفة الجنائزية بين مربعة ومستطيلة. - اتساع حجم الغرفة الجنائزية. - احتوائها على رفوف خاصة الدولمن ذات سدادة مترجلة التي تحتوي على أماكن إما مربعة أومستطيلة خاصة بوضع الهدايا الجنائزية كالمصابيح وغيرها.

8. الأواني الفخـــارية:

يعتبر الفخار أحد البصمات البارزة التي شهدها العالم في مختلف البقاع التي كانت مراكز حضارية خلال العصور الحجرية (عصور ما قبل التاريخ وفجره)، فلقد كان العصر الحجري الحديث (النيوليثي) ثورة جديدة في مجال الصناعة الفخارية، لما صاحبه من إستقرار بشري وتطور فكري، ومن بين ما خلفت لنا مواقع فجر التاريخ بشمال إفريقيا الصناعات الفخارية بمختلف أشكالها وأنماطها وهذا راجع إلى أهمية الفخار خلال مرحلة فجر التاريخ (Protohistoire).

لقد ساهم الفخار في تنمية الحياة الاجتماعية عن طريق التخزين من خلال الأواني الكبيرة الحجم مثل القدور، وإلى جانب هذا فقد كان الفخار ذا أبعاد جنائزية، فتجسدت فيه معظم الهدايا الجنائزية، حيث يذكر الجينرال فيدارب أنه "بمقبرة الركنية نجد في كل قبر معدل آنية لكل جمجمة"[1].

بعد استعراضنا للبقايا العظمية البشرية التي عثر عليها بموقع الركنية هذا في الوقت الذي تكاد تنعدم فيه الدراسات والحفريات حول موقع قلعة بوعطفان، فمن خلال هذا الباب نتعرف على أهم اللقى الفخارية التي عثر عليها بموقع الركنية، مع إبراز المواقع المطابقة لكل صنف، ويمكن تصنيف هذه الفخريات إلى:

1. الأواني الفخارية الصغيرة جدا.
2. الأواني الجنائزية الطقوسية.
3. الأواني ذات الإستعمال اليومي.
4. الأواني ذات اللوازم

أ. الأواني الفخارية الصغيرة الحجم:

تعد هذه المجموعة من أصغر الأواني الفخارية التي استخرجت من معالم فجر التاريخ، والتي يبدو أنها صنعت خصيصا لأغراض جنائزية بحتة، لأن حجمها الصغير ينفي استغلالها في الحياة اليومية.

(1) - G. Faidherbe, op. cit., P. 31.

يعد هذا النوع من الفخار من أقدم الأواني[1]، حيث لا يتجاوز علوه 71 ملم كما لا يتعدى عرضها 90ملم فضلا على أنها خالية من أية نقش أو رسم عليها[2]، والملاحظ أن هذا النوع من الأواني الصغيرة جدا كانت توضع في القبر كهدايا جنائزية حينذاك ولاتزال في وقتنا الحالي تستعمل في بعض المقابر والمزارات التي يعتقد الناس أنها تجلب إليهم السعادة وتدفع عنهم الشقاء، وتحقق لهم الأحلام.[3] ومن هذه الأصناف نذكر:

1. الجفـــان الصغيرة:

وهي أصغر الأواني الفخارية التي عثر عليها في قبور الدولمن والتيملوس بشمال إفريقيا وهي جد مسطحة[4]، جوانبها عمودية ومائلة قليلا تستعمل لوضع العطور، يصل علوها أحيانا إلى 15 ملم[5] .

2. القـــوارير:

وهي على نوعين منها ذات الشكل المخروطي التي لها نفس المميزات التي نجدها في الكؤوس وهي صغيرة الحجم، ونجد هذا النوع بمتحف باردو. أما النوع الثاني[6] فهي القارورة الأمبوبية المسطحة التي تتميز بقلب حافتها نحو الداخل كما أن علوها نادرا ما يتجاوز 50 مم.[7]

هذا النوع من القوارير يعد جد قديم نجده خاصة في قصطل والركية وسيلا[8]، كما وجد هذا النوع في مواقع أخرى.

---

(1) - G.Camps, aux origines... ,P. 276.

(2) - Ibid. P. 276.

(3) لازال الناس إلى يومنا يصنعون مثل هذه الأواني بالمزارات كما هو الحال في مزارة بوشيشية بالركنية.

(4) - G. Camps, op. cit., P. 276.

(5) - G. Camps , Corpus des poteries modelées, A. M. G., Paris, 1964, P.7.

(6) - G. Camps, la céramique... ,PP. 533 - 534.

(7) - G. Camps , Corpus..., P. 10.

(8) - G.Camps, aux origines.. ,.P. 278.



- المقبرة الميجاليتية ببونوارة

1. التسمية والمصطلح
2. موقع المقبرة
3. التنقيبات التي توالت على المقبرة
4. الأقسام التي تتكون منها المقبرة
5. إشكالية التأريخ للمقبرة

-المقبرة الميجاليتية ببونوارة

1. التسمية والمصطلح:

يقصد بمصطلح ميجاليت[1]. (Mégalithe) تلك المقابر الدولمينية (المنضدية) التي وجدت بكثرة في جبل مزيلة بمنطقة بونوارة، وغيرها من المناطق الأخرى المتوافرة في الشرق الجزائري، وذلك مثل سيلا وبومرزوق وسيجوس في المجال القسنطيني وقصطل بالقرب من تبسة وركينة وعين العربي بولاية قالمة، وهناك مناطق أخرى من الجزائر اشتملت على مقابر الدولمن إلا أنها لا تكتسي أهمية مثل هذه التي أشرنا إليها[2].

وهناك نوعين من قبور الدولمن:

أ- القبور ذات الأعمدة الحجرية التي تغرس في الأرض وتعلوها المنضدة.

ب- القبور التي تتكون من جدار حجري ضخم تعلوه بلاطة أو عدة بلاطات.

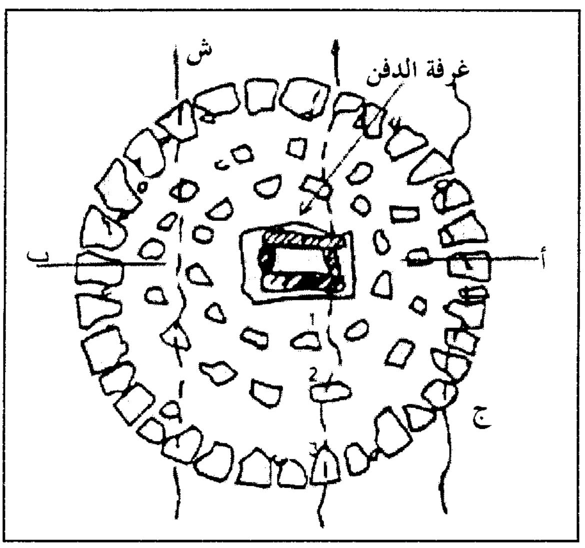
وغالبا ما يزود هذا النوع الأخير بقاعدة مما جعل الباحثين يسمونه بقبور الدولمن القاعدية.

أما عن مظهر قبور الدولمن فهي، إما أن تكون مستطيلة أو رباعية الشكل. وفي كثير من الأحيان تحاط بسياج أو عدة أسيجة مستديرة من الحجارة المتوسطة الحجم. وقد اشتهرت قبور الدولمن في بلاد المغرب القديم بصغر حجمها إذا ما قيست بمثيلتها في أوروبا.(أنظر الشكل رقم 13 (أ، ب، ج) ص. 86).

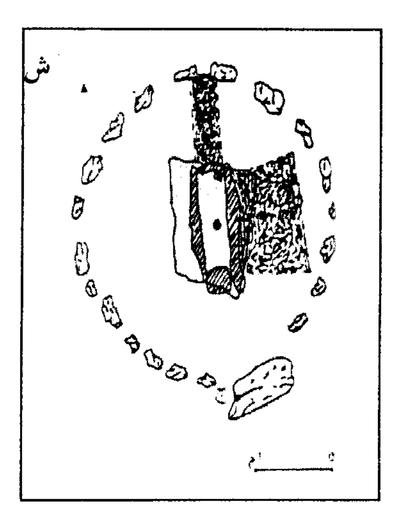
---

(1) تعرف القبور الميجاليتية- الدولمينية في لغتنا العربية بالقبور "المنضدية" . وقد يتعدى اسم ميجاليت إلى أنـــواع أخرى من القبور الحجرية . والقبور المنضدية في مظهرها هي عبارة عن ثلاثة أعمدة حجـــرية غرست في الأرض تعلوها منضدة تغطي غرفة الدفن وغالبا ما تكون تلك القبور محاطة بأســـوار تـــبين مجالها الجنائزي وممر يوصل إلى غرفة الدفن التي تتوسط القبر . ونظرا لاستعمال مصـــطلح الدولمـــن بكثرة وتداوله بين الباحثين في هذا الميدان ، فإننا نستعمل مصطلح الدولمن للإشارة إلى هذا النوع من القبور وذلك تسهيلا للبحث من جهة وشيوع المصطلح بين الباحثين الأثريين المختصين من جهة أخرى.

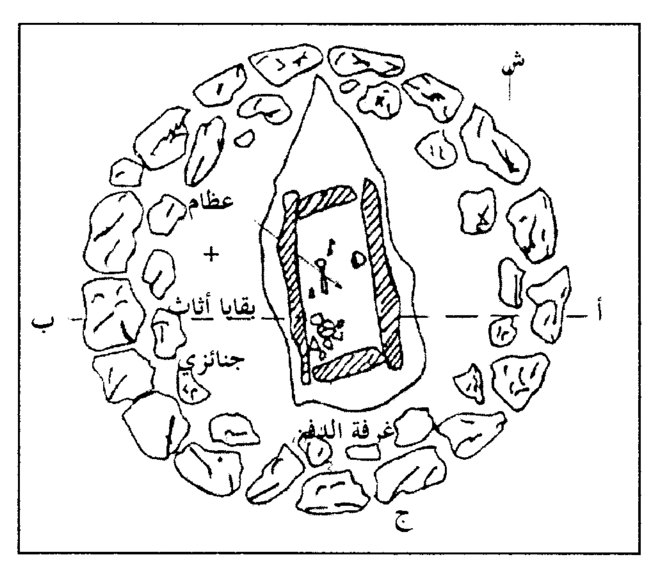
(2) - G. Camps, Aux origines , PP. 125 – 139 et 487 – 490.



أ. قبر دولميني محاط بثلاثة أسيجة



ب. قبر دولميني مزود بسياج بسيط



ج. قبر دولميني محاط بسياجين

نـــمـــاذج مـــن مـــــقابر الدولمن

الشكل رقم: 13

وتجدر الإشارة إلى أن مقبرة بونوارة الدولمينية كانت قد وصفت ودرست لأول مرة من قبل الجينرال فيدراب (Le Général FaidHerbe) وذلك سنة 1868، حيث قام بتنقيب 05 قبور ونشر أعماله في مجلة عنابة تحت عنوان: "المقبرة الميجاليتية بمزيلة (Mazela)"[1].

وقبل ذلك كان الباحث الفرنسي دولامار (Delamare) قد جاب المنطقة سنة 1842، وقام برسم بعض مقابر الدولمن في ألواحه، لاسيما اللوحة 61 التي تظهر بعض قبور الدولمن التي اختيرت من موقع قصر محيجيبة.

أما اللوحة 163 من أعمال دولامار، فإنها تظهر في رسومها قبور الدولمن التي وجدت على ضفاف وادي مهيريس الذي يدخل ضمن امتداد مقبرة بونوارة الدولمينية.

وفي جرده لقبور الدولمن بمنطقة بونوارة فضل جـــ. كامبس تسمية الموقع بمقبرة مزيلة مؤكدا بأن هذه التسمية تغطي كامل منطقة خنيقة الزناد (Khaniguet Ezzenad) الممتدة على وادي البرذعة الذي سيعرف فيما بعد بوادي مهيريس[2].

أما تسمية بونوارة فلم تعرف بها المنطقة إلا بعد شق خط السكك الرابطة بين قسنطينة وعنابة في نهاية القرن التاسع عشر ميلادي وهوما يصادف حوالي (1881).

كذلك تأكدت تسمية المنطقة ببونوارة وذلك بعد زيارتها من قبل عدة مؤرخين وأثريين ينتمون إلى الجمعية الفرنسية من أجل ترقية العلوم[3].

وهناك من الباحثين من لا يزال يحبذ تسمية المنطقة بمقابر جبل مزيلة، يأتي على رأسهم جـــ. كامبس، وم صولينياك (M. Solignac). هذا الأخير الذي

---

(1) - FaidHerbe, Nécropole mégalithique de Mazela, Bull. de l'Acad. D'Hippone, 1868, T. V., PP. 63-65.

(2) - FaidHerbe, Nécropole mégalithique de Mazelz, sur la route de Constantine à Geulmam, Bull. de l'Acad. d'Hippone, T.V., 1868, P. 65.

(3) - Lt. Jullien, Excursion à la nécropole mégalithique de Bou Bouara, XXe congrès de L'A.F.A.S., Alger, 1881, PP. 1135-1137.

يعتقد بأن أصل التسمية مزيلة مأخوذة من جذع كلمة محلية مأخوذة من لغة السكان وهي "إيزلو" (Ezlu) أي (ضحى) أو قدم تضحية للآلهة[1].

ولا نستبعد أن يكون الإسم الحقيقي للمقبرة هو "مزارة" استبدل فيها حرف الراء باللام، ذلك لأن القدماء كانوا يصنفون هالة القداسة على أماكن الدفن ويترددون على زيارة أمواهم.كما أن تلك المقابر تظهر من بعيد تغطي منحدر الجبل وكأها أركمة من الحجارة، مما يعطيها صفة المزارة أي المنطقة التي تزار ثم تقدم فيها القرابين[2].ونلاحظ بأن هناك أساطير كثيرة في أدبيات السكان الذين يقطنون بالقرب من المقابر الميجاليتية نسجت معظمها حول طبيعة وهوية تلك المقابر، فهناك من يوعزها إلى العمالقة وهناك من يصفها بمقابر"الأغوال" أي المتوحشين.

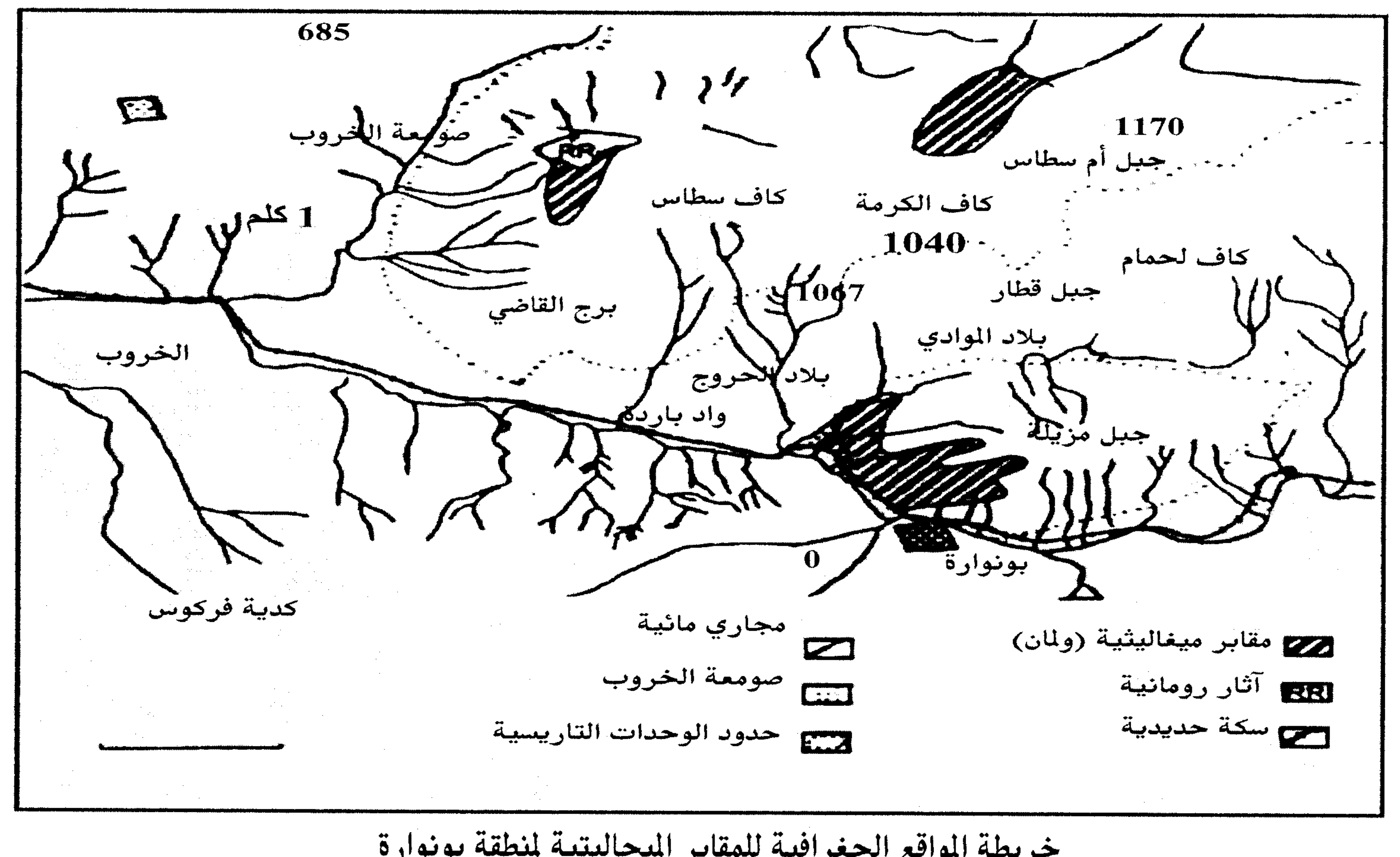
2. موقع المقبرة:

تعد الجزائر الشرقية وشمال غرب تونس من أهم المناطق التي تكثر فيها المقابر الميجاليتية، وداخل هذه المنطقة المتميزة توجد المنطقة الجنوبية والشرقية من مدينة سيرتا قسنطينة الحالية التي تشمل في مجموعتها كامل حوض وادي بومرزوق ورافده البرذعة، حيث تـتوافر المقابر الميجـاليتية الواسعة الموجودة في جبل الفرطاس والمناطق القريبة منه مثل مقابر رأس العين (بومرزوق)، ثم سيلا وسيجوس وبوشان وذراع الغوالي، وكذا تلك المحاذية لجبل أم ستاس الذي تمتد قبوره من محيجيبة شمالا حتى بونوارة جنوبا [3]. (أنظر الشكل رقم 14.ص 89).

(1) - M.Solignac, Les pierres écrites de la berberie orientale, Tunis, 1928, P. 65.

(2) إن من بين الأسماء التي تطلق على المقابر الميجاليتية في الشرق الجزائري نشير إلى تسمية "الرجم" أو"المزارة".

(3) - Faid Herbe, Les dolmens d'Afrique, Congrès international d'anthropologie et d'archéologie préhistorique, 6ème session, Bruxelles 1872, PP. 406–424.



خريطة المواقع الجغرافية للمقابر الميجاليتية لمنطقة بونوارة

الشكل رقم : 14

ولا نبالغ إذا قلنا بأن هذه المواقع المشار إليها آنفا تتضمن في مجموعها أكثر من 10 آلاف قبر دولميني ومقابر أخرى شبيهة بذلك مثل البازينانس وغيرها.

وعلى سبيل المثال، فإن مقبرة جبل مزيلة الأثرية ببونوارة تتسع لما يزيد عن 400 هكتار تغطي كامل سفح جبل أم ستاس الذي يبلغ ارتفاعه حوالي 1040م ويشرف على سهل وادي البرذعة.

وفي الناحية الغربية من المرتفع المشار إليه تمتد قبور الدولمن مع واجهة الجبل حتى تصل إلى القمة بحيث تصبح تشرف على سهل وادي دربال.

أما مقابر الدولمن الواقعة في الواجهة الشرقية من جبل مزيلة، فإن امتدادها مع ارتفاع الجبل يصل حتى 1000م مما يجعل الوصول إليها صعب إذا ما قيست بالواجهة الغربية للجبل الأمر الذي جعلها أقل تهديم مما هوواقع إلى الأسفل منها.

وعن تحديد مركز مقبرة بونوارة، فإنه يمكننا القول بأنه يرتكز في منحدر منطقة كهف أم العمور من خريطة خنيقة الزناد (Kheniguet- Ezzenad)[1]. وفي شعبة أم العمور تلك تظهر كثافة مقابر الدولمن التي تمتد حتى تصل الضفة اليسرى لوادي مهيرس (Oued Mehiris).

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الجزء من مقبرة بونوارة يعد هاما للغاية من حيث بناء القبور الدولمينية، وكثيرا ما يتوقف عنده الباحثون ليأخذوه كنموذج لدراسة المقبرة.

كذلك يعد تعداد قبور الدولمن بجبل مزيلة معتبرا للغاية، مما أدى بالباحثين إلى الاتفاق على أن تعداد تلك القبور يصل إلى عدة آلاف . وقد اعتمد في هذا الموقع على الصور الجوية 1/5000م التي أظهرت معالم تلك المقابر.

علما وأن قبور الدولمن التي تقل مناضدها على 03م لا تظهر معالمها على الصور الجوية، بل تظهر فقط تلك التي تزيد مناضدها على 08م على الأقل وتكون مزودة بقاعدة حتى تظهر في شكل نقطة مستديرة. كما لا تظهر على الصورة الجوية أيضا تلك الدلامن المحيطة بسور بسيط وغير مزودة بقاعدة[2].

---

(1) - G. Camps, La nécropole mégalithique du Djbel Mazela, A.M.G., Paris, 1964, P.9.

(2) - A. Debruge et J.Joleaud, Contribution à l'étude de la nécropole mégalithique de Bou Nouara R.S. A. C., T. L., 1916, PP. 175-186.

ووفقا للمنظور السابق، فإنه يمكن أن نحتمل من دون أي شك بأن تعداد مقابر بونوارة يتراوح ما بين 3000- 4000 قبرا ميجاليتيا.

3. التنقيبات التي توالت على المقبرة

توالت زيارات الباحثين الأثريين والمؤرخين على منطقة بونوارة وذلك منذ سنة 1837م بذلك دخلت أدبيات التاريخ العلمي للاكتشافات الأثرية الجزائرية. وهناك من الباحثين من زار المنطقة ثم دوّن في مذكراته أشياء تشير إلى تلك المقابر الميجاليتية المتوافرة في المنطقة وينطبق ذلك على ما قام به س. فروبينيوس (S. Frobinuis) وماك إيفر (Mac Iver) وغيرهم من هواة الآثار[1].

يلاحظ في هذا الصدد بأن الحفريات التي جرت في مقبرة بونوارة كانت أقل بكثير من الزيارات العلمية التي جاب أصحابها المنطقة يحملهم في ذلك حب الإطلاع.

والملفت للانتباه إن نتائج تلك الحفائر لم ينشر الكثير منها فيما عدا بعض التقارير التي لا تفي بالمطلوب. وهكذا فإنه في سنة 1865م قام الجنرال فيدارب (Faid herbe) بتنقيب 05 قبور[2]. ومنذ ذلك التاريخ توقفت الحفائر حتى سنة 1909 حيث قام بلاري (P.Pallary) بفتح حوالي 12 قبرا دولمينيا في منطقة بونوارة.

ولم يقدم النتائج التي توصل إليها فيما عدا أنه وضع الفخاريات التي أخرجها من بعض تلك القبور في إحدى قاعات متحف باردو بالجزائر العاصمة، ويعتقد جـــ.كامبس بأن "بول بالاري" خلال تنقيباته تلك كان قد عثر على رمادية تمتد حوالي 200م على طول الخندق الذي فتح من أجل مد خط السكة الحديدية التي تربط بين قسنطينة وعنابة[3].

وفي سنة 1913 قام أ.ديبروج (A. Débruge) وجلود (L.Joleaud) بتنقيب 25 قبرا دولمينيا. وقد طبعت نتائج حفائرهما[4]. ومنذ ذلك التاريخ انقطعت أعمال الحفر والتنقيب المنظم وذلك حتى سنة 1954 عندما قام بالحفر في موقع بونوارة جـــ.كامبس صحبة زوجته هنريات (Henriette).وقد توقفت أعمالهما

---

(1) - St. Gsell, Les monuments antiques de l'Algérie. T. 1, 1901, PP. 63-65.

(2) - Faid Herbe, Nécropole mégalithique de Mazela, PP. 63-65.

(3) - G. Camps, Monuments et rites funéraires protohistoriques, Paris, A. M. G., 1962, PP. 125-139.

(4) - A. Debruge et L. Joleaud, op. cit., PP. 175- 182.

بسبب اندلاع ثورة الاستقلال الجزائرية المباركة 1954، ثم عادا بعد الاستقلال أي سنة 1963 ليتحققا من نتائج أعمال الحفر التي قاما بها وكان ذلك تحت رعاية مركز الدراسات ما قبل التاريخ والأنثربولوجيا (C.R.A.P.E) بالجزائر العاصمة. وكانت النتيجة التي توصلت إليها حملة كامبس وزوجته هي فتح اثنين وأربعين قبرا دولمينيا، لم يعثر في الكثير منها على أثاث جنائزي.

وكل الذي قام به كامبس مع زوجته هو لفت الانتباه إلى الطقوس الجنائزية التي مورست في تلك القبور وإعطاء فكرة على هندستها المعمارية، ثم رسم بعض الأشكال وأخذ صور للعديد من القبور. وطبعت نتائج حفريتهما تلك في كتيب تحت عنوان "المقبرة الميجاليتية" بجبل مزيلة (la Nécropole Mégalithique du Djebel Mazel).

4. الأقسام التي تتكون منها المقبرة:

وفقا للدراسات والتنقيبات الأثرية المتوالية التي حاول أصحابها تفحص معظم أجزاء مقبرة منطقة بونوارة الأثرية والاختلافات البسيطة والمعقدة من حيث توجيه غرف الدفن وفقا للجهات الأربعة، وكذا المحتويات الجنائزية لكل منها. فقد قسم جـــ. كامبس مقبرة بونوارة المترامية الأطراف إلى عدة أقسام رئيسية نشير إليها على التوالي:

أ. **القسم الأول**: الواقع على أعلى الجبل والذي كانت غرف دفنه الدولمينية قد وجهت نحو(شمال – جنوب).

وقد أحيطت معظم قبور هذه المجموعة الأولى بأسوار بسيطة وكانت خالية من القاعدة (Sans Socle) التي يرتكز عليها القبر. كما يلاحظ بأن غرف الدفن في هذا النوع من القبور صغيرة الحجم إذا ما قيست بغرف الأقسام الأخرى، وأن الفخار الذي عثر عليه في هذا النوع من القبور كانت الآنية الفخارية فيه مقلوبة على فمها وقاعدتها إلى الأعلى.

ب. **القسم الثاني**: تتجه غرفه نحو الشمال والجنوب وتشد بعض الغرف فيها، حيث تتجه نحو الاتجاهات الأخرى، يضاف إلى ذلك كبر حجم القبور الدولمينية في هذا القسم وتزويدها بقاعدة حجرية.

أما الفخاريات التي عثر عليها في مقابر هذا القسم، فكانت موضوعة في زوايا الغرف الجنائزية.

ج. **القسم الثالث:** كان هذا القسم من المقبرة هو الآخر قد شخص وأعطيت اتجاهات غرفه الجنائزية التي كانت في معظمها تتجه نحو الشمال والجنوب. كما أن مظهر قبورها كانت صغيرة الحجم، وكانت في معظمها خالية من الفخار[1].

د. **القسم الرابع:** أما فيما يخص القسم الرابع من المقبرة، فإن معظم قبوره لا تزال لم تنقب بعد علميا، غير أنه يبدو عليها من حيث المظهر أنها شبيهة بمقابر القسم الأول، وتبدو قبورها متجهة (شمال- جنوب) وغرفها الجنائزية ضيقة.

كما أن بناءات قبورها غائرة داخل التربة ترى وقد ذهبت معالم أسوارها الدائرية. وهي خالية تقريبا من الأثاث الجنائزي، وحتى إن وجد فهو موضوع في زوايا الغرفة الجنائزية للقبر.

هـــ. **القسم الخامس:** اعتبر هذا القسم من المقبرة شبيها بالقسم الثالث من حيث تواجد بعض الأدوات المعدنية ضمن أثاثه الجنائزي الذي كان فقيرا جدا بحيث ينعدم فيها الفخار. ويختلف هذا القسم على الثالث من حيث توجيه غرف الدفن التي لم يحترم فيها التوجيه نحو الشمال والجنوب، يضاف إلى ذلك أن غرف هذا القسم كانت كبيرة الحجم إذا ما قيست بمثيلتها في القسم الثالث. وغالبا ما كانت القبور في هذا القسم مزودة بقاعدة ومحاطة بأسوار[2].

ومهما يكن، فإن الاختلافات الطفيفة المشار إليها بين الأقسام الخمسة في المقبرة لم تكن واضحة للعيان، بل كانت عبارة عن محاولة تقسيم اعتباطي الهدف منه هو تسهيل الدراسة ومحاولة الوصول إلى ضبط الفترة الزمنية التي استمر فيها السكان يدفنون موتاهم في المقبرة، وحسب جـــ. كامبس، فإنه لا يستبعد أن تكون قبور القسم الأول المتواجدة في قمة الجبل هي التي استعملت

---

(1) - Lieutenant Julien, Excursion de Henri Martin aux stations mégalithiques des environs de Constantine, R. S. A. C., T. XXII, 1882, PP. 214 – 221.

(2) - Lieutenant Julien, Excursion de Henri Martin aux stations mégalithiques des environs de Constantine, R. S. A. C., T. XXII, 1882, PP. 214 – 221.

مبكرا وذلك نظرا لكبر حجم مقابرها الدولمينية إذا ما قيسوا بقبور الأقسام الأخرى المتواجدة إلى الأسفل منها على منحدرات الجبل. كما تتميز قبور القسم الأعلى على أنها موزعة على كامل قمة الجبل تاركة مسافة كبيرة بين بناء كل قبر والذي يليه.

ومع ذلك فإن الفروق الطفيفة المشار إليها آنفا بين أقسام المقبرة، لا يمكن أن تلغي الطابع المعماري البدائي العام الذي تلتقي فيه كامل قبور المقبرة الدولمينية التي قاومت ولا تزال تقاوم كل أنواع التهديم والنهب الذي لحق الكثير من أجزائها. وهي مستمسك حضاري هام وشاهد مادي يجسد استقرار الإنسان الجزائري القديم وتمسكه بالأرض وعدم الانصهار والذوبان في الآخرين.

5. إشكاليه التأريخ للمقبرة:

تضم مقبرة بونوارة بضعة آلاف من مقابر الدولمن والبازيناس. وتعد الأكثر اتساعا وأهمية في كامل المقابر الميجاليتية لشمال إفريقيا. وقد كان الباحثون الأثريون يعتقدون أنه نظرا لأهميتها، فإنها ستقدم مساهمة معتبرة للتعرف على تحديد فترة فجر التاريخ في المنطقة، غير أن الحفريات التي جرت في مقابرها كانت مخيبة للآمال، حيث لم يعثر داخلها على أشياء يعتمد عليها في تحديد الفترة الزمنية التي استعملت فيها تلك المقبرة [1].

هل يمكن أن يكون ذلك عائدا إلى فقر وعدم استقرار السكان الذين دفنوا موتاهم في تلك المقابر؟ أم أن المقابر الكبيرة الهامة التي كانت تحتوي على أشياء مفيدة لتاريخنا كانت قد نهبت منذ أزمنة بعيدة؟.

إن الجانب التاريخي للمقابر الدولمينية ببلاد المغرب القديم لا يزال غير محدد وهو ينتظر العثور على أشياء وثائقية مادية تلتمس داخل المقابر تساعد على إمكانية إعطاء تاريخ للفخاريات النموذجية (Les Céramiques Modelèes) التي عثر عليها في بعض القبور وبالتالي إلى تأريخ المقبرة.

كما أنه يمكن القول بأن الفخار النموذجي وزخرفته لم يتطور بطريقة منهجية ثابتة وذلك منذ ألفي سنة ولذلك لا يمكن تخيل الفترة التي دخل فيها هذا الفخار إلى شمال إفريقيا. وكل الذي يمكن أن يقال في هذا الصدد أنه متأخر

---

(1) - Ibid. réf, 5.

عن العصر الحجري الحديث[1]. وحسب التقريب، فإن هذه المساهمة الحضارية البحر متوسطية كانت قد تحققت خلال عصور البرونز ولن تكون سابقة عنه.

وبهذا التلمس التاريخي يمكن أن نحدد بداية الألف الأولى قبل الميلاد كفترة تقريبية لبداية استعمال المقبرة، لكنه لا يعني تحديد الفترة التاريخية لبناء أي قبر في المقبرة الميجاليتية. وبالمقابل، فإننا لا نعلم متى انتقلت فكرة المقابر الميجاليتية من السواحل إلى الداخل على مراحل[2].

ومن جهة أخرى يمكننا أن نتساءل عن استمرار بناء قبور الدولمن والدفن فيها من قبل السكان المحليين؟ ومتى استبدلت بقبور بسيطة؟

إن الإجابة على هذين التساؤلين السابقين تكمن في اللقى الأثرية التي عثر عليها في مقابر الدولمن ذاتها، لاسيما الفخار المحلي ثم البوني والإغريقي وكذا الروماني الذي يكاد يمثل وثائق منفردة وجدت في تلك القبور.

وحتى الآن لا يتجاوز تاريخ توافر الفخار البوني الإغريقي في القبور النوميدية القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد فيما عدا بعض مواقع السواحل التي يمكن تاريخ بعض فخاريتها البونية بأقدم من ذلك الذي عثر عليه في قبور جزيرة رشقون[3].

تجدر الإشارة إلى أنه لم يعثر في بونوارة على وثائق هامة يستند عليها في إعطاء تاريخ لاستعمال مقابر المنطقة فيما عدا تلك المزهرية (Vase) التي عثر عليها أ.ديبروج (A. Debruge) والتي يمكن أن تؤرخ بحوالي نهاية القرن الثالث قبل الميلاد[4].

إن عدم توفر اللقى الأثرية الخاصة بالفترة الرومانية في مقابر بونوارة يجعلنا نطرح عدة أسئلة حول العلاقات التي كانت بين السكان المحليين والغزاة الرومان، لاسيما وأن المنطقة تقع في قلب الإقليم السيرتي- النوميدي الذي شمله التوسع الروماني منذ القرن الأول قبل الميلاد.

---

(1) - G.Camps, Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et Sahara, éd. Dion , 1974, PP. 344- 345.

(2) - Ibid. P. 34 6-

(3) - Philippe Thomas mégalithique de sigus, Matériaux, 1878, PP. 27-32 ; Ch. Fereaud . recherches sur les monuments dits celtiques dans la province de Constantine, R. S.A.C., 1863, T. VII, PP. 214- 234.

(4) - A. Joly et L. Joleaud, ruines et vestiges anciens relevés dans la province de Constantine, R. S.A.C., T. 44, 1910, T1,PP. 29 – 34.

هل أن عدم توفر اللقى الآثرية الرومانية من فخار وعملة في مقابر بونوارة الدولمينية يجعلنا نعتقد بأن تلك المقبرة كانت قد هجرت وعدل عن الدفن فيها منذ بداية التوسع العسكري الروماني في القطاع السيرتي؟ أم أن هناك جفوة تامة وعدم إقبال من قبل السكان المحليين الريفيين على البضائع الرومانية؟.

هل يمكن أيضا أن نعتقد أن الكثير من قبور بونوارة كانت قد تعرضت للنهب من قبل أناس غير مختصين قبل أن يشملها التنقيب العلمي المنظم؟.

ويوافق ما ذهبنا إليه جـــ.كامبس الذي يرى بأن عدم توفر اللقى الأثرية الرومانية في قبور بونوارة يؤكد فكرة العدول عن الدفن فيها وهجرها تماما قبل الفترة الرومانية(1) .

أما فيما يخص الطقوس الجنائزية في بونوارة، فإنها هي الأخرى بسيطة وكل الذي يمكن التأكد منه هوالجثث كانت لا تدفن ممددة ذلك لأن غرف الدفن كانت ضيقة جدا بحيث لا تسمح بدفن الجثة ممددة على حالها، مما يدعونا إلى الاعتقاد بأنها كانت تدفن مطواة في شكل الجنين.

فقد أظهرت بعض القبور التي نقبت مجموعات من العظام متراكمة فوق بعضها وغير منظمة مما يوحي بأن جثت أصحابها كانت قد جردت من اللحم في أماكن أخرى ثم جمعت بعد ذلك هذه العظام ودفنت في غرف الدفن متراكمة، ولم تظهر عليها علامات حرق الجثث، كما يلاحظ من جهة أخرى بأن العظام الآدمية التي عثر عليها في قبور بونوارة لا تدل على أن الدفن كان يتم فيها جماعيا.

وبالعكس من ذلك فإن قبور البازيناس رقم 22 من حفريات كامبس كانت غرفتاه قد حوت جثتين وثلاث جثت في كل واحد منهما في حالة جيدة(2).

وعلى العموم فإن نتائج تنقيبات مقبرة بونوارة الميجاليتية كانت قد أعطت دفعا جديدا لدراسة بناء هذا النوع من المقابر في شمال إفريقيا.

إن تعدد أشكال القبور وكثرتها في بونوارة يجعلها من أحسن المواقع الأثرية الجزائرية ويمكن أن تؤخذ من حيث هندسة بنائها لكامل المقابر المتواجدة في شمال إفريقيا.

---

(1) - G. Camps, Monuments et rites funéraires protohistoriques, A. M. G., Paris, 1962, PP. 125- 139.

(2) - G.H. Camps, Nécropole Mégalithique du Djbel Mazela à Bou Nouara, 1964, PP. 40 – 41.

كما يمكن أخذ مقبرة قصطل كمثال للفخار، وبني مسوس كمثال للأدوات البرونزية، وتؤخذ ركنية هي الأخرى كمثال من حيث توافر العظام البشرية[1].

وهنا لابد أن نتساءل ما إذا كانت الجماعات البشرية التي دفنت موتاها في مقبرة بونوارة تمارس التنقل والبداوة أم الاستقرار؟. أوكانت تجمع بين الاثنين؟ وما إذا كان الدفن الأولي يتم في مناطق أخرى بحيث تترك الجثة في العراء حتى تنهشها الطيور والحيوانات االمفترسة ثم تجمع العظام بعد ذلك ويؤتى بها إلى مقبرة بونوارة حتى تدفن الدفن الأبدي. ويعزز هذا الرأي فقر معظم القبور من الأثاث الجنائزي سواء أكان ذلك ممثلا في الفخار والحلي والأدوات المعدنية.

كما أن عدم توفر بقايا سكنى الأحياء في المجال القريب من المنطقة يجعلنا هو الآخر نتساءل عن مواقع الاستقرار ونوعيته وما إذا كان بعيدا أو قريبا من المقبرة؟ هل لا تزال الكهوف والدعامة (الزريبة) أو الماباليا (Mapalia) هما المقر الأكثر شيوعا[2].

وحول أهمية المقبرة في حياة السكان من حيث الجوانب الدينية والاجتماعية، فإن جــ. كامبس يذهب إلى المقابر الكبرى الميجاليتية في الشرق الجزائري كانت كل واحدة منها تمثل موقع اتصال مقدس وجامع لعدة قبائل مختلفة ومستقرة في المنطقة أوقريبة منها.

ومهما يكن الأمر فالذي لاشك فيه أن ملامح فجر التاريخ في مقبرة بونوارة وغيرها من مناطق بلاد المغرب القديم الأخرى لا تزال تحتاج إلى معالجة معمقة لتوضيح معالمها التاريخية، وسوف لن يتأتى لنا إلا عن طريق الاعتناء بالتنقيبات الأثرية ذات الطابع العلمي الجاد التي تأخذ بعين الاعتبار المحطات الفاصلة بين كل عنصر تاريخي والذي يليه.

---

(1) - A. Berbrugger, Chroniques archéologiques à Roknia, Rev. Afric., T. VIII, 1864, PP. 390- 392.

(2) - F. Decret et M. Fantar, l'Afrique du Nord dans l'Antiquité, Payot, Paris, 1981, PP. 204- 205.

الفصل السابع

- مقابر الحوانيت

1. مفهوم الحوانيت
2. التوزيع الجغرافي للحوانيت
3. وظيفة الحوانيت
4. الأواني ذات الطقوس الجنائزية
   أ. الأواني النصف بيضاوية
   ب. الأواني ذات الأطراف المنحنية
   ج. الأواني ذات الاستعمال العادي
      1. الكؤوس
      2. الصحون
      3. الأقداح
      4. الفناجين
   د. الأواني المصنوعة من الدولاب
5. الفخار وعلاقته بالعادات الجنائزية
6. الأثاث الجنائزي المعدني
7. الحلي
   أ. الحلي المعدنية
   ب. التركيب الكيماوي لحلي الركنية

مقابر الحـــوانـــيـــت:

لم تقتصر المدافن المغاربية على الأنواع السالفة الذكر، بل شهدت نوعا آخر من المدافن التي تعرف غالبا بالحوانيت (Haouanets) جمع حانوت، وهو مصطلح محلي، ويطلق على المتاجر التي توجد في القرى والمداشر.

1. تعريف الحانوت:

الحوانيت (مفردها حانوت (Hanout) يطلق هذا المصطلح على تلك القبور المحفورة في الصخور وواجهات المرتفعات الجبلية، وهي ذات أشكال متعددة تختلف من موقع لآخر، تتميز بمداخلها الضيقة. (أنظر الشكل رقم 15 ص. 100).

ويرى بربرجي (A. Berbruger): "أن سكان الركنية هم أول من أطلق هذه التسمية على هذا النوع من القبور"[1] كما أشار جزيل إلى الحوانيت بأنها ذات حجم صغير مداخلها شبيهة بالنوافذ[2].

كما يصف الأستاذ م.فنطر الحوانيت: "الحانوت تسمية اصطلاحية تشير إلى قبور منقورة أفقيا في جوانب الهضاب والصخور الكبيرة"[3].

أما الباحث ك. ابراهيمي فيعرفها: "أنها عبارة عن حجر مكعبة الشكل محفورة في الصخر وتغلق بواسطة ألواح حجرية مركبة رأسيا كما توحي الحزوز المحفورة في حواف الفتحة[4].

---

(1) - A.Berthier, "Chronique archéologique à Roknia", R. Af. 1864, P.391.

(2) - St. Gsell, H. A. A. N. , T. VI, P. 171.

(3) محمد حسين فنطر، المقال السابق، ص. 14.

(4) ك. إبراهيمي، المرجع السابق، ص. 10



حوانيت ذات ممر

الشكل رقم: 15

كما يتركب الحانوت من عنصر واحد أو عنصرين وقد يتقدم الغرفة بهوا أو معبرا صغيرا، كما تكون الحوانيت متتابعة أحيانا عموديا أو أفقيا.

ويجمع أغلب الدارسين على أن الحوانيت تغلق من الخارج بواسطة بلاطة معدة خصيصا للغلق ويمكن التأكد من ذلك في حوانيت قصطل بالقرب من تبسة[1]، ولقد لوحظ هذه الظاهرة في حوانيت الركنية أين صقلت الحواف بدقة مما يسمح بوضع البلاطة في شكل منسجم مع المدخل، وإن كانت البلاطات غير متواجدة بالمواقع وهذا بسبب ضياع هذه الأخيرة بعد عملية فتح الحوانيت، فضلا عن ذلك فإن ما يميز الحوانيت خلوها من الرسومات عدا ما عثر عليه في تونس بحوانيت جبل مليزة [2].

2. التوزيع الجغرافي للحوانيت:

لقد صاحب انتشار قبور الدولمن العديد من محطات مدافن الحوانيت، ولكن هذا لا يعني بالضرورة أن النوعين يتواجدان دائما معا في نفس الموقع، بل هناك مقابر احتوت على مدافن الحوانيت لوحدها كما هو الحال في موقع كاسبيل[3] (أنظر الشكل رقم 16 ص. 102).

تتركز قبور الحوانيت بالنسبة لبلاد المغرب بصورة خاصة في الناحية الشمالية خاصة الشمال الشرقي للجزائر وشمال تونس أين تصل بامتدادها الجغرافي إلى جزيرة جربة. ويرى م. فنطر: "أن الحوانيت تتواجد في أقطار المغرب الكبير من الجماهيرية إلى المغرب الأقصى ولعل معظمها يوجد في تونس والجزائر والمناطق الساحلية خصوصا. ففي تونس نجد الحوانيت بالوطن القبلي في ضواحي مدينة قليبية في مكان يسمى الحاروري، وجبال الخمير ومقعد بالشمال الغربي" [4].

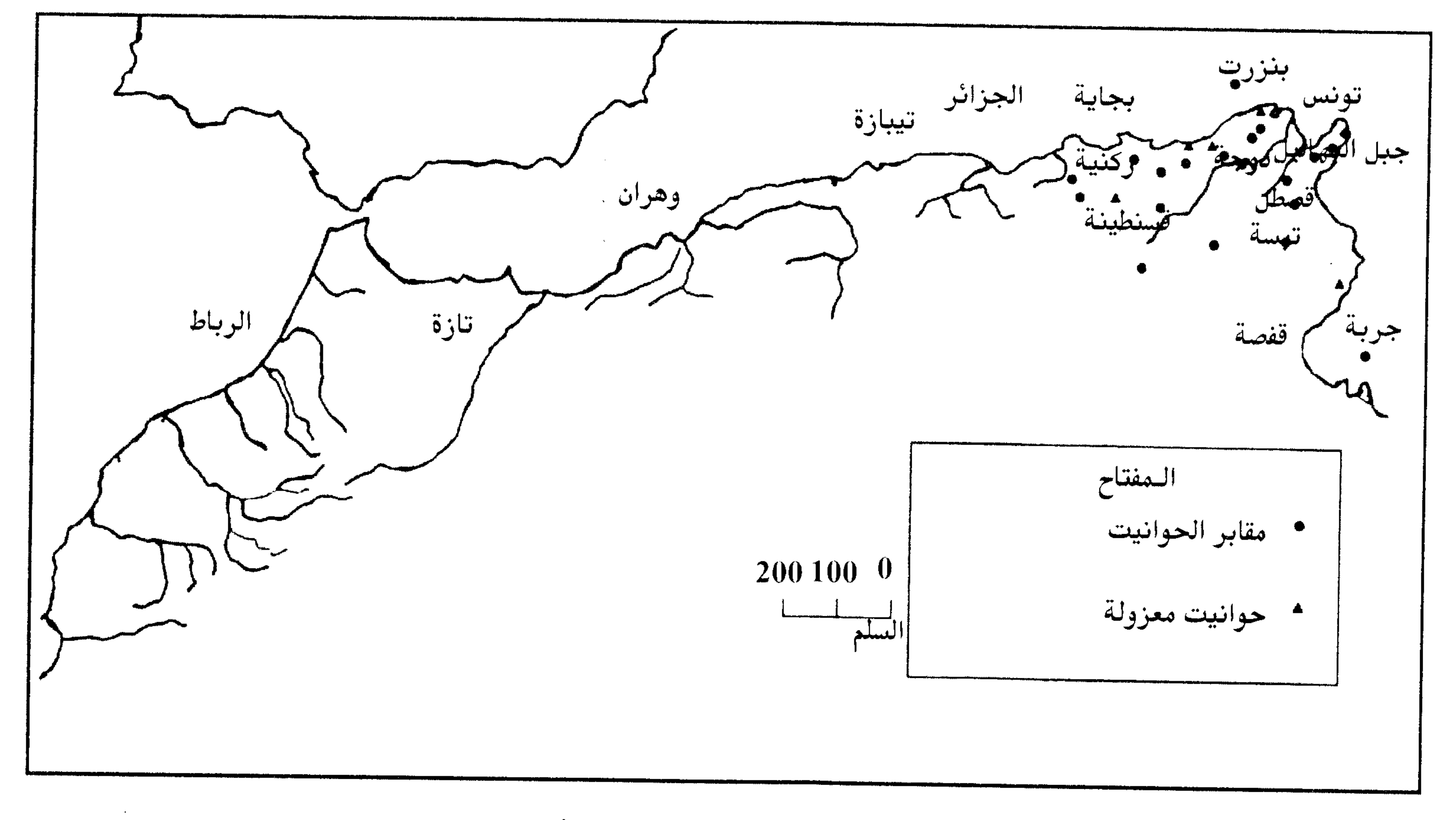
---

(1) - M. Reygasse, op. cit., Fig. 29.

(2) عثر بأحد الحوانيت في تونس على رسم يمثل مركبا يحمل ثمانية رجال مدججين بأسلحة هجومية ودفاعية.

(3) موقع كاسبيل من المواقع التي تحتوي على مدافن الحوانيت فقط، يقع جغرافيا بصقلية.

(4) محمد حسين فنطر ، المرجع السابق، ص. 14.



خريطة توزيع الحوانيت بشمال إفريقيا

الشكل رقم: 16

إلى جانب هذا نجد مجموعة من الحوانيت شبه المعزولة في عدة مواقع كحوانيت تـــيبازة (Tipaza) ومداوروش[1] (Mador) وحوانيت وادي أرهيو بالغرب الجزائري.

3. وظيفة الحوانيت:

اختلف الباحثون في تحديد وظيفة الحوانيت، حيث ذهب فريق من الباحثين إلى القول بأنها كانت عبارة عن مساكن[2] وينطلق هذا الفريق من إشكالية غياب المساكن وعدم اكتشاف بقايا سكنية استعملها الأحياء ترجع إلى هذه الفترة، هذا في حين يذهب فريق آخر من الباحثين على التأكيد على وظيفتها الجنائزية، وأن الحوانيت أنجزت للدفن بغض النظر على الطريقة المتبعة في هذا الصنف من المدافن الحجرية والأدلة المتوفرة والواضحة تؤكد الرأي الثاني وتتمثل هذه الأخيرة في:

أ. إن وجود السدادات الحجرية التي كانت تغلق الحوانيت والتي يؤكد وجودها الحزات المحفورة على جانبي المدخل يدل على وظيفة الحوانيت الجنائزية فمن غير المعقول أن تكون هناك مساكن مغلوقة بهذا الشكل، هذا مع العلم أن السدادة كانت تغلق من الخارج، فكيف يمكن التحكم فيها من الداخل.

ب. يرى بعض الدارسين لهذا الصنف من المدافن أن هذه الأخيرة كانت وظيفتها وقاية الجثة، ومن أصحاب هذا الطرح الجينرال فيدارب[3] الذي قام بحفرية في الركنية. وبونوارة.

ج. وجود ما يسمى بالكوات (ج. مفردها كوة) وهي عبارة عن حفرة صغيرة توجد عند مدخل أو نهاية الحانوت يرى بعض الباحثين أنها وجدت أساسا لوضع القرابين والهدايا[4] فلمن توضع هذه القرابيين إذا لم تكن خاصة بالأموات؟ وهل تكون الحوانيت استعملت كمدافن أولية؟ وهذا ما يبرر خلوها من الهياكل العظمية ومختلف البقايا المادية.

---

(1) - St. Gsell, H. A. A. N., T. VI, P. 176.

(2) - A. Charbonneau, "Excursion dans les ruines de Milév, Sigus, sila", R. S. A. C., T. XII, 1868, PP. 393 - 435.

(3) - G. Faidherbe, op. cit., P. 35.

(4) - L. Berthalon et Chantre, op. cit., P. 594.

د. بعض المقابر تحتوي على قبور الحوانيت، فإذا لم تكن هذه الأخيرة قد استعملت للدفن فأين تم الدفن إذن كما هوالحال في مقبرة كاسبيل (Cassibile) بصقلية.

هـــ. لقد أثبتت حفرية السيدة كاليناط (Calinet) سنة 1860 وجود عظام بشرية هشة جدا بمغارة كانت مسدودة كما عثرت في مغارة ثانية على كمية من عظام الساقين[1].

فضلا على ما عثر عليه في عين مليلة من عظام إنسانية مختلطة "حيث دفن الجسد في وضعية الجلوس مع وضع الركبتين تحت الذقن، كما يكون قد جرد الميت من لحمه قبل الدفن ووضعت عظامه داخل عدة حوانيت"[2]

إن استعراض الأدلة السابقة يؤكد لنا بصورة جلية وظيفة الحوانيت التي لا تخرج في مجملها على الوظيفة الجنائزية.

4. الأواني ذات الطقوس الجنائزية:

لقد أفرزت لنا الحفريات الأثرية عددا كبيرا من أنماط الأواني المنعدمة المقابض والمنقار والتي تنحصر بدورها في الغرض الجنائزي[3] ولقد أضيف للفخار النيوليثي ملحقات نادرة مثل المقابض والمناقر والمصافي وحلمات للمسك[4].

يتجاوز علو هذا النوع من الأواني في الغالب 100مم عدا ما عثر عليه في تديس والذي أشار إليه دوبريج (A. Debruge) ضمن الأواني الطقوسية[5]، ومن بين هذه الأواني النصف بيضاوية وذات الجانب على شكل حرف S.

أ. الأواني النصف بيضاوية الشكل:

وهي عبارة عن كؤوس كبيرة ذات فتحة مسطحة عثر على نماذج لهذا الصنف في مواقع عديدة مثل بيلارجيا[6] وكذا في كل من قصطل وبومرزوق.

---

(1) - Faidherbe, op. cit., P. 35.

(2) - F. Logeart, op. cit., PP. 74 - 105.

(3) - G.Camps, aux origines... ,P. 287.

(4) ك. ابراهيمي، المرجع السابق، ص. ص. 133 – 134.

(5) - A. Debruge, "Bougie compte rendu des familles faites 1904", R. S. A. C., T. XXXIX, 1905, P. 106.

(6) - Dr. Carton, op. cit., PP. 1- 16.

أما الركنية فقد عثر كل من لوتورنو(Letourneux) وبيليتي (Pelletier) على أنية من هذا الصنف[1]، كما عثر بورقينا على أنية أخرى وعثرت السيدة الكي على ثلاثة أوان متواجدة حاليا بمتحف باردو.

ب. الأواني ذات الأطراف المنحنية:

وتعد من الأواني الجنائزية الأكثر عددا، خاصة في موقعي سيلا وتديس[2] أما في الركنية نجدها تشبه الصحون العميقة حيث تبدأ تظهر عليها الحلمات التي تتحول فيما بعد إلى مقابض حقيقية.

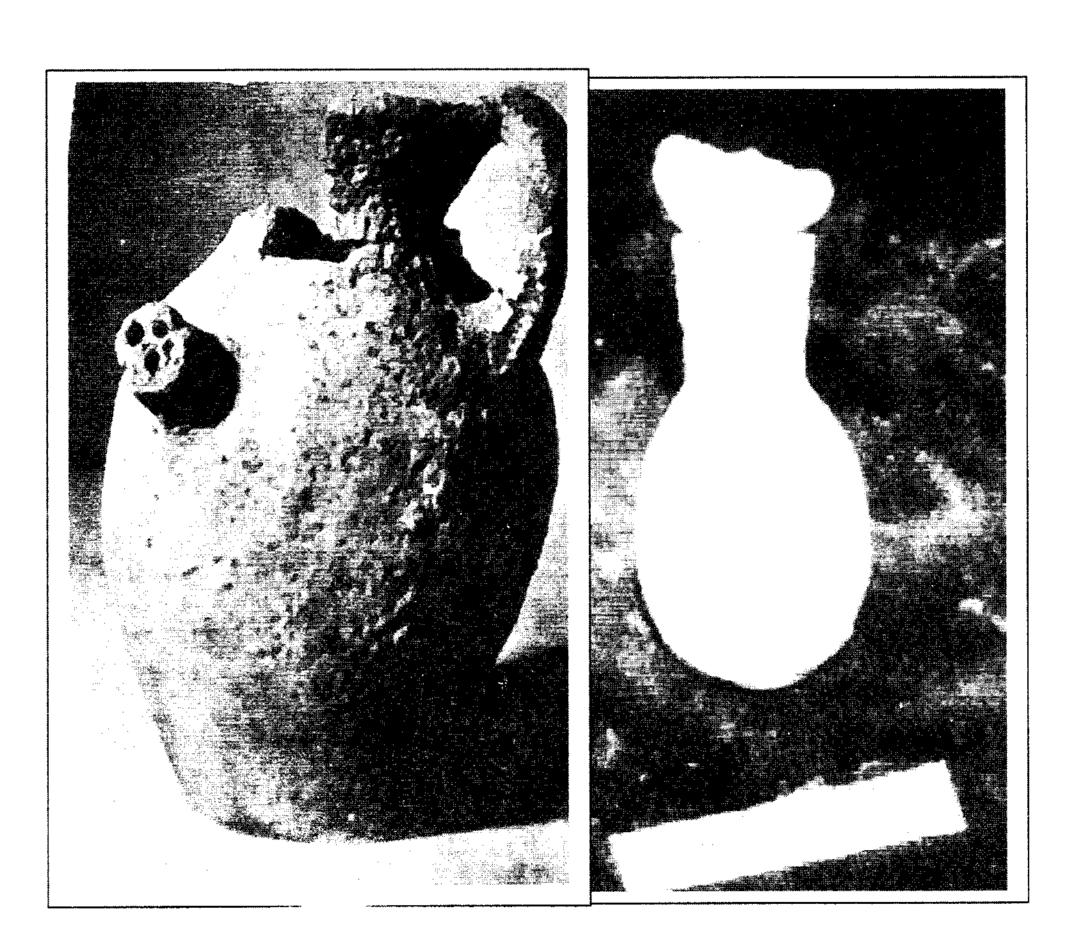
ج. الأواني ذات الاستعمال العادي:

والمقصود بها الأواني ذات الاستعمال اليومي، الخاصة بمختلف أغراض وشؤون الحياة اليومية، عثر على العديد من الأواني في الركنية والتي تنحصر وظيفتها في الشرب ووضع المواد الغذائية والتي قد وضعت كقرابين للميت نظرا للاعتقاد السائد بحاجة هذا الأخير إلى كل لوازمه العادية ومن بين الأواني نذكر من الكؤوس والصحون والأقداح والجفان. (أنظر الشكل رقم 17 ص. 106).

---

(1) - A. Berbrugger," Chronique archéologique, Roknia" R. Afr., T.VII, 1864, PP. 390 - 392.

(2) - G. Camps, aux origines..., P. 285.



أ　　　　　　ب

أوانـــي فخـــارية

الشكل رقم: 17

1. الــكؤوس:

وهي أواني صغيرة تستعمل للشرب، جوانبها مائلة جدا محيطها العلوي يعادل تقريبا ضعف معدلها السفلي ولقد عثر على كؤوس في 12 مقبرة[1]، في الركنية الكؤوس جد مسطحة، كما أن بعض الكؤوس المستخرجة من مقبرة الركنية تتشابه مع أواني الجنوب التونسي[2].

2. الصحون:

الصحون هي أواني صغيرة الحجم نسبيا تستعمل لوضع الغذاء، نجد في الركنية صنفين من الصحون:

- الصحون التي لها قاع عميق وذات جوانب مائلة.
- الصحون التي لها حافة مقلوبة نحو الداخل.

عثر على هذا الصنف من الأواني في العديد من المواقع مثل باقي الأواني الفخارية مما يؤكد على الوحدة الحضارية المغاربية في مجال صناعة الفخار والحلي.

3. الأقداح:

وهي أواني صغيرة تستعمل للشرب مثلها مثل الكؤوس، علوها يتراوح ما بين 60 و100 مم، عثر على هذا الصنف في العديد من المواقع، ففي الركنية عثر على 5 أقداح حيث عثرت السيدة ألكي على قدحين يوجدان حاليا بمتحف باردو، كما عثر الجينرال فيدارب أثناء حفريته على قدح[3]، أما بورقينا فقد عثر على قدحين نقلا إلى متحف سان جارمان بلاي.

هذا وقد عثر على الأقداح في كل من بني مسوس، سيلا، تديس، وبونوارة، وجبل بودرسين الذي عثر فيه الضابط باين (payen) على قدح[4].

وهناك مجموعة من الأواني الفخارية المختلفة الأحجام والأشكال من جملتها الفناجين، القدرات والأواني ذات المنقار والأواني ذات المرضعة والأباريق.

---

(1) - Ibid,P. 297.

(2) - E.G. Gobert, "les poteries modelèes du paysan tunisien, R. T. 1950, fig. 23.

(3) - G. Faidherbe, op. cit., PI. III.

(4) - Payen, "lettre sur les tombeaux circulaires de la province de Constantine R. S. A. C., T. VIII, 1863, P.I-V.

4. الفناجـــين:

هي عبارة عن أواني صغيرة تحتوي مقبض حتى يسهل استعمالها لغرض الشرب وتنقسم بالركنية إلى صنفين:

الصنف الأول: عثرت عليه السيدة الكي في الجهة الوسطى من المقبرة، لها قاعدة مسطحة وجوانب مائلة.

د. الأواني المصنوعة بالدولاب:

لقد احتوت المواقع الميجاليتية ببلاد المغرب القديم، على نمط من الأواني يعرف بالأواني المصنوعة بالدولاب، فلقد وجدت نماذج لهذا النوع بالعديد من المحطات مثل قابس، ومكثر بتونس، وتازا بالمغرب الأقصى وبونوارة وسيقوس وقصطل والركنية بالجزائر. يتميز هذا النوع من الأواني بصناعته الجيدة ويرى الجينرال أن الأواني المصنوعة بالدولاب تعود إلى القرن 3 و1 ق.م.[1].

عثر في مقبرة بوشان على آنيتين من هذا النوع [2]وفي مقبرة قصطل عثر على 23 آنية من هذا النوع من بين 350 آنية[3]، وكذا في سيجوس عثر على 3 آواني مصنوعة بالدولاب[4]، أما بسيلا فقد عثر على آنيتين من بين 150 آنية[5].

كما عثر على أواني مصنوعة بالدولاب في مواقع أخرى مثل عين الباي وتيبازة وركنية [6].

المـــــوقع	نسبة الأواني المصنوعة بالدولاب
قصطل	٪8
سيلا	٪3.3
تديس	٪1.66
الركنية	٪2.75
بونوارة	٪4

(1) - St.Gsell, H. A. A. N., T. VI., P. 225.
(2) - G. Chabacier, "Ruines et dolmens du fartas", R. S. A. C., T. IXIII, PP. 69 - 105.
(3) - G. Camps , Aux origines ,...P,.147.
(4) - G.Chabacier, op. cit., PP. 113 - 128.
(5) - F.Logeart, "Grottes funéraires Hypogées", R. S. A.C., T. IXIII, PP. 69 - 105.
(6) - G. Camps, Aux origines..., P.219.

5. الفخار وعلاقته بالعادات الجنـــائزية:

إن تواجد الفخار داخل مختلف أصناف المدافن، إنما يدل دلالة هامة على أهمية وظيفته الجنائزية فضلا عن استعماله في الحياة العادية، إن تزويد الأموات بمختلف أصناف الفخار هو إيمان قاطع بحاجة هؤلاء إلى الأكل والشرب، وأن هذه الحاجة لا يمكن تحقيقها إلا عن طريق تقديم الأواني الفخارية كهدايا جنائزية سواء أكان الغرض منها وضع الطعام كما هو الحال في الآنية التي عثرت عليها ألكي بالركنية والتي تحتوي على بقايا عظمية قدمت كقربان للميت، كما وجدت بعض الأواني مصحوبة بالطعام بمنطقة جرجرة[1] والأمثلة متعددة ومتكررة في العديد من المواقع.

أما المصابيح فيبدو أن الهدف من وضعها داخل المقابر هوتخفيف الظلام على الميت وجعله ينور الحياة.

لم يكتف إنسان فجر التاريخ بوضع الأواني الفخارية داخل القبر بشكل فوضوي بل وجدت هياكل أين كان الميت يحمل بيده آنية كتلك التي أكتشفها (Dr. Carton) بموقع بيلاريجيا[2].

إن دراسة الفخار المغاربي القديم لا يمكن أن يدرس بمعزل عن العادات والأهداف الجنائزية التي دفعت بالإنسان إلى تزويد معظم المدافن الحجرية خاصة مدافن الدولمن بعدد كبير من الفخاريات وإن كان البعض منه عثر عليه وهو عبارة عن حطام، والذي قد يكون بطبيعة الحال إما لعائلات فقيرة لم تحسن صناعته، أو لتركيبة عجينته غير الحسنة مما جعله لم يصمد طول هذه المدة الزمنية، وعليه فإن دراسة حياة الإنسان المغاربي القديم لابد لها أن تنطلق من أهم عنصر حضاري يدل بشكل مباشر على طبيعة الحياة العادية التي كان يحياها المغاربة القدامى، هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن التمعن في الجداول السالفة الخاصة بأصناف الفخار فإننا نلاحظ النطاق الجغرافي الواسع الذي توجد به مختلف الأشكال من دوجة إلى الركنية ومن الركنية إلى بني مسوس، إن هذا

---

(1) - H. Balfet, "la poterie de Ait Smail du Djurjura" R. Af. T. XCIX, 1955, P. 295.

(2) - Dr. Carton, op. cit., PP. 1 -16.

التطابق الحضاري لا إن يدل على شيء فإنما يدل على الوحدة الاجتماعية ونمط الحياة المغاربية التي عاشها المغاربة القدامى.

6. الأثاث الجنائزي المعدني:

لم تحتو محطات فجر التاريخ بصفة عامة على الأثاث الجنائزي المصنوع من الفخار فقط، بل تركت لنا مجموعة كبيرة من الحلي المعدني بمختلف أشكالها، نظرا للمستوى الحضاري الذي وصلت إليه بلاد المغرب القديم خلال تلك الحقبة، فالبقايا المعدنية من حلي وغيرها لم تقتصر على مواقع ميجاليتية معينة بل نجدها في الكثير من المواقع في بني مسوس والركنية، وعين الباي وبونوارة وغيرها من المحطات التي حفظت لنا اللمسات الحضارية المغاربية في مجال الصناعة المعدنية.

المحطات الميجاليتية	أساور حلق الرجل	خواتم	حلقات الأذن	عقدة	نقود رومانية	نقود بونيقية	نقود نوميدية	رماح	سكاكين
قصطل	22	01	08	01	01				
الركنية	08	04	06	00					
بونوارة	02	01	01						
سيقوس				01	02				
بوشان	02								
سيلا	11	02			02	01	11		
رأس العين بومرزوق		02	01		01	00			
عين الباي	04			01			07		01

لوح خاص باللقى المعدنية في أهم المحطات الميجاليتية [1].

(1) - G.Camps, Aux origines..., P. 440.

7. الــــحلـــي:

تأخذ الحلي مكانة هامة في حياة المجتمع خاصة المرأة التي تعد جزءا هاما في البنية الاجتماعية منذ العصور القديمة، ولقد أخذت هذه الأخيرة مكانتها في المجتمع المغربي القديم ويتجلى هذا من خلال البقايا الأثرية المتمثلة في بقايا الحلي، وتعد مقبرة الركنية واحدة من بين المواقع الهامة التي أعطتنا مجموعة من الحلي المتمثلة أساسا في الأساور والخواتم والتمائم فضلا عن الحلقات المعوجة مع غياب الأسلحة والقطع النقدية التي وجدت في بعض المواقع.

أ الـــــحلي المعدنية:

1. الأساور:

وهي كبيرة من حيث مقارنتها بالحلي الأخرى وتقسم إلى أربعة أنواع:

النوع الأول: وقد عثرت عليه الكي، وهو كبير وثقيل يزن 81 غ، مفتوح ومسطح من البطن ومحدب من الظهر، وهو عبارة عن حلقة توضع في الرجل وهذا النوع من الأساور يكون عادة مفتوحا وكبيرا الحجم وثقيل "[1]

النوع الثاني: وهو عبارة عن سوار ذو حجم ثخين وحافتين رقيقتين.

النوع الثالث: يتكون من حلقة واحدة ذات حافة متقاطعة.

النوع الرابع: مصنوع من خيوط برونزية ملولبة على نفسها[2].

ويرى كامبس: "أن الأساور المفتوحة هي الأكثر عدد وانتشار...، وتعد أساور بني مسوس من أقدم الأنواع[3]، كما أن وزن الأساور متغير من موقع فنج في موقع عين الروا (Ain Roua) يبلغ وزن أحد الأساور 81 غ، هذا مع الإشارة إلى أن بعض هذه الحلي وجدت في حالة سيئة، وقد يعود هذا إلى عادات مارسها المغاربة القدامى كانت تقوم أساسا على تكسير ودفن كل ما يتعلق بالمتوفي داخل القبر[4]، ولقد تحدث بورقينا عن هذا في الركنية.

---

(1) - Ibid,P. 423.

(2) لازال استعمال الأساور الكبيرة متواصلا إلى يومنا خاصة عند المرأة الريفية.

(3) - G.Camps, les dolmens de Beni Messous; dans Libica, T. I., 1953, P. 353 .

(4) - G. Camps, Aux origines... , P. 429.

يعد تواجد هذا النوع من الحلي في محطات فجر التاريخ بشمال إفريقيا قليلا ونادرا، والخواتم عادة تتكون إما من البرونز أو الحديد ولا يتجاوز عدد الخواتم المكتشفة 23 خاتم وتتواجد في عدة محطات[1]. أنظر الجدول التالي:

الموقع	عدد الخواتم المكتشفة
بونوارة	01
الركنية	04
سيلا	02
رأس العين بومرزوق	02

إن الخواتم تتميز بحجمها الصغير وتنقسم في الركنية إلى ثلاثة أنواع.

أ. النوع الأول: مصنوع من خيط برونزي رقيق، حافتيه لم تتقاطعا.

ب.النوع الثاني: عبارة عن خاتم مصنوع من قطعة برونزية عريضة ومسطحة.

ب. التركيب الكيماوي لحلي الركنية:

لقد أجريت العديد من التحاليل المتعلقة بحلي الركنية وبني مسوس وبعض المواقع، فلقد كانت أولى التحاليل تلك التي قام به الكيميائي فيلهول(M. Filho) مدير الجامعة الطبية بتولوز حول نوعين من الحلي الأولى من مكتشفات الجينرال فيدارب والثاني عثر عليه بورقينا ولقد أعطيت النتائج التالية[2]:

المادة	موقع الركنية	
	خلية فيدارب	خلية بورقينا
نحاس	86.80	90.74
قصدير	10.90	08.92
حديد	2.30	0.34

(1) - Ibid., P. 429.

(2) - G.R. Bourguinat, op. cit., P. 34.

كما قدم الجينرال فيدارب إلى السيد ميلي صيدلي في مستشفى بون العسكري قطعة من البرونز أعطت النتائج التالية[1]، نحاس 0.86، قصدير 0.10، مواد أخرى 0.02، وهذه القطعة متكونة من كمية قليلة من الحديد.

هذا والملاحظ أن المادة الأولية في تركيب الحلي متشابهة في عدة مواقع (أنظر الجدول التالي)[2].

المحطات المادة	الركنية	قصطل	بني مسوس
النحاس	٪ 91.2	٪93.8	٪93.1
القصـــدير الحديد الزرنيخ...الخ	٪88.8	٪6.2	٪6.9
	٪100	**٪100**	**٪100**

ومنه نستخلص تقارب مادة البرونز في المواقع الثلاث، فإلى جانب التشابه والتطابق أحيانا في الصناعات الفخارية نلمس مدى التقارب الثقافي والحضاري بصفة عامة بين موقع وآخر من خلال شكل وحجم وبنية الحلي.

(1) - Ibid.,P. 34.

(2) - G.Camps, la céramique..., P. 534.

الفصل الثامن

- البصمات الفكرية من خلال مخلفات الرسوم الصخرية خلال فترة فجر التاريخ في الشرق القسنطيني

مواقع التواجد وتاريخ الإكتشافات

1. موقع خنقة الحجار
2. محطة كهف سيدي صالح
3. محطة كهف تسنقة
4. محطة كهف الغراب
5. محطة كهف مرباح
6. محطة كهف طرفانة
7. محطة جبل الهلسة
8. محطة لومبلاش
9. محطة كهف الداموس
10. محطة قشقش
11. محطة كهف فنطرية
12. محطة كهف مزيلة
13. محطة عين النحاس
14. محطة عين رقادة
15. موقع كهف المصاورة

- **مواقع التواجد وتاريخ الاكتشاف:**

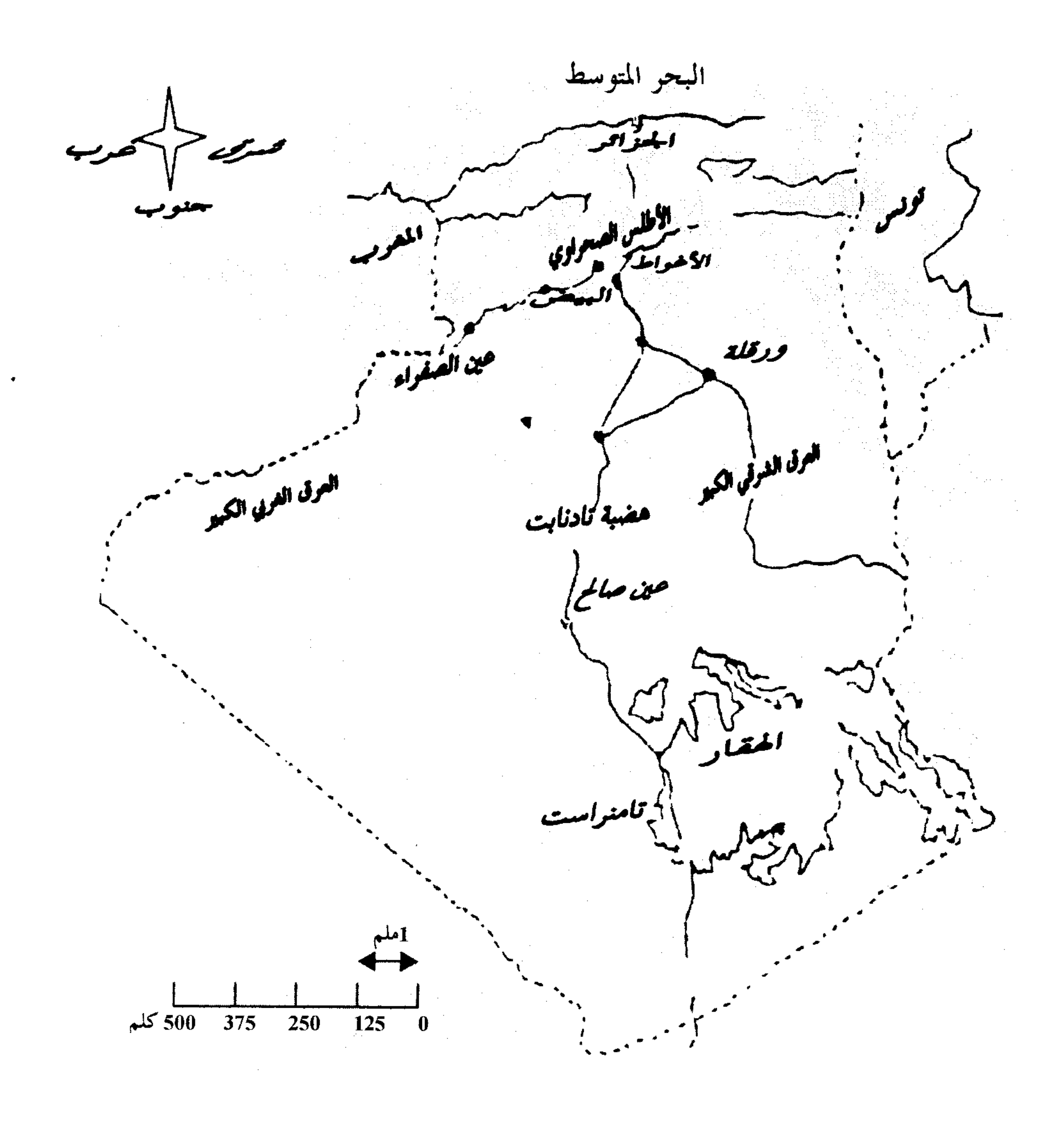
تعد الرسوم الصخرية في منطقة الشرق الجزائري البدايات الأولى للنواة الحضارية الدالة على الاستقرار فيه.

وعليه فقد أعطينا المنطقة المشار إليها كل الاهتمام، ذلك لأنها تمثل خلفية لبداية الانطلاقة الحضارية المعتمدة على الاستقرار في الكهوف والملاجئ الصخرية وبناء الأكواخ المعتمدة على أغصان الأشجار ثم تلك المغطاة بجلود الحيوانات التي كان يصطادها الإنسان، إلى جانب ممارسة الزراعة البدائية البسيطة في السهول القريبة من الرسوم الصخرية.

ولولا الجفاف والمناخ المتقلب لتواصلت الرسوم الصخرية في الجزائر ككل ومنطقة الشرق الجزائري على الخصوص، ثم مالت تلك الرسوم إلى التجريد والرمزية فيما بعد حتى توصل الإنسان إلى اختراع الكتابة محليا. وذلك ليس بغريب لأن الكتابات في منطقة الشرق القديم ومصر كانت قد بدأت صورية، ثم مقطعية، فرمزية، وأخيرا أبجدية، غير أن الذي ساعدها في تلك الرتابة هوتوفر مياه الوديان الجارية (دجلة والفرات في بلاد ما بين النهرين والنيل في مصر)، أضف إلى ذلك استقرار واحتكاك البشر ببعضهم البعض في المنطقة .

حينئذ هل نحمّل مناخ شمال إفريقيا الذي اتسم بالجفاف والميول ونقص الأمطار منذ العصر الحجري الحديث أنه هو الذي كان وراء تأخر بلاد المغرب القديم في مسايرة الركب المتوافرة حينذاك في المناطق ذات الوديان الدائمة الجريان في الاستقرار واختراع الكتابة محليا ثم الدخول إلى الفترة التاريخية؟، ذلك ما سنناقشه في مشروعنا القادم الذي سيكون امتدادا إلى ما نحن بصدد إنجازه وتقديمه في هذا العمل خلال هذه السنة 2003.

ومع ذلك فقد تطور الجانب المادي والفكري لدى الإنسان القديم وذلك منذ نهاية العصر الحجري اللاحق نسبيا، حيث نراه يبدأ في التخلص من الحجارة ثم إدخال أدوات أخرى في صناعته مثل العظام والعاج وبيض النعام، أما تطوره الفكري فيلوح في تلك الرسوم التي مارسها في بداية الأمر على قشور بيض



خريطة تمثل مناطق انتشار الرسوم الصخرية بالجزائر

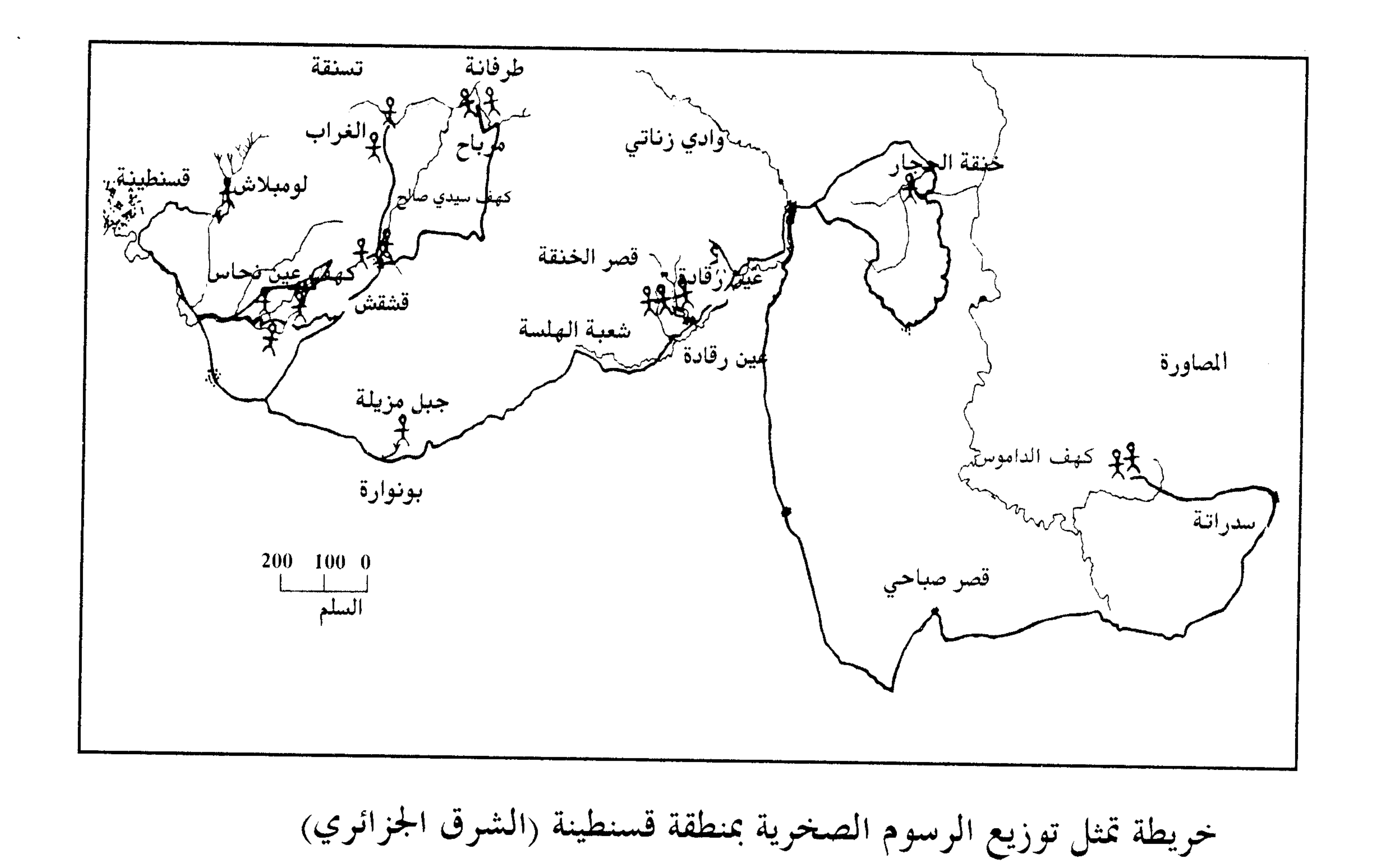
الشكل رقم: **18**

النعام، ثم انتقل فيما بعد إلى واجهات الصخور والكهوف ليترجم اهتماماته ويعبر بها عن مصدره الرئيسي للتفكير مبرزا وقائع حياته اليومية تاركا آثاره التي جعلت منه إنسانا متنقلا تارك بصماته في جهات كثيرة من الوطن، نذكر منها على سبيل المثال الشرق الجزائري الذي امتدت فيه الرسوم الصخرية على مساحة جغرافية واسعة تبدأ من محطة جبل مازيلة بمنطقة بونوارة وتمتد إلى كهف المصاورة بسدراتة (ولاية سوق أهراس).

اعتبارا لما سبق فإننا سنقدم المحطات التالية التي كانت محل تركيز عملنا خلال هذه السنة من مشروعنا هذا.

حتى تأخذ دراستنا إطارها الحقيقي فإننا حاولنا خلال هذه السنة أن نركز عملنا على المحطات الهامة المتبقية والمكملة لتلك التي قدمناها في العمل الفارط الذي قمنا به خلال السنة الماضية. والأعمال التي بين أيدينا تعد في نظرنا ممهدة لتطور الفن لدى الإنسان الجزائري القديم، ولا يتوافر ذلك إلا لمن كانت لديه القدرة على الاستقرار والاطمئنان على كل مستلزمات الحياة الأخرى مثل التفوق على الوسط المعادي وضمان التزود بالأكل والشرب وتلبية كامل الغرائز الأخرى.

من هذا المنطلق جاءت هذه التكملة لتوضيح المعالم الحضارية الباكرة للإنسان الجزائري الذي لا نزال نجهل محور الاستقطاب الذي جعله يستقر في المنطقة التي تمتد من بونوارة الذي يمثل الفضاء القسنطيني حتى كهف المصاورة المنفتح على جبال سوق أهراس. ويترك ذلك الإنسان بصماته التي بقيت تقاوم عاتيات الزمن (أنظر الشكل رقم 19 ص. 118)، ولعل أول محطة تصادفنا عند اتجاهنا من قسنطينة شرقا هي:



خريطة تمثل توزيع الرسوم الصخرية بمنطقة قسنطينة (الشرق الجزائري)

الشكل رقم: 19

- مواقع التواجد وتاريخ الاكتشافات في المنطقة:

1- موقع خنقة الحجار:

تقع محطة خنقة الحجار على بعد 8 كلم من قرية صغيرة بالقرب من مشتى صغير يعرف بمشتى الغربة .

لقد اكتشفت هذه المحطة منذ سنة 1867 بواسطة مجموعة من المعلومات التي قدمها الباحث ديفينرال C.H. Devigneral[1]، حيث كان وصفه قصير في بداية الأمر ومزود بعدة مخططات دفعت من جاء بعده إلى دراسة تلك الرسوم دراسة علمية، وقد تمثل ذلك في ما قام به الباحث روبو Dr Reboud الذي زار محطة خنقة الحجار فيما بعد مسجلا عدة ملاحظات عمل ساعدت على توضيح وثائقه الجديدة المكتشفة وذلك سنة 1882[2]

كما قام الباحث ر. بيرنال R. Bernalle بإعطاء رأيه فيما يخص هذا الموقع وذلك في سنة 1892 [3]

يلي ذلك أنه في سنة 1901 توصل الباحث جزيل St. Gsell إلى العديد من الاستنتاجات حول رسوم محطة خنقة الحجار ضمنها في أطلسه الأثري وكتابه الخاص بالآثار القديمة للجزائر[4].

من جهته قام الباحث ج. ب. م. فلامند G.B. M. Flamand[5] بكتابة ملاحظاته سنة 1921 في بضع صفحات، وهذا اعتمادا على دراسة الذين سبقوه في اكتشاف الموقع، وفي سنة 1928 قام الباحث م. صولينياك M. Solignac بالتحدث عن المحطة المشار إليها آنفا في كتابه الذي عنونه بـــ "الحجارة المكتوبة

---

(1) - Ch. De.Vigneral, ruines romaines de l'Algérie, Paris , Glaye1867, PP.42-43.

(2) - Dr V.Reboud , Excursion dans la Maouna et ses contreforts , rec. des not: et mém. de la soc. archéol. du dép. de Constantine, T. XXII, 1882, PP. 60-63.

(3) - R.Bernalle, Vestiges antiques de la commune mixte de l'oued cherf, rec. des not. Et mém. de la soc. archéol. du dép. de Constantine , T. XXVII, 1892, PP. 54- 113.

(4) - St. Gsell, Les monuments antiques de l'Algérie, T. I, Paris 1901, P.47; Atlas Archéologie, Alger 1911, n° 123, note 9, PP. 220- 221 et PP. 254- 255.

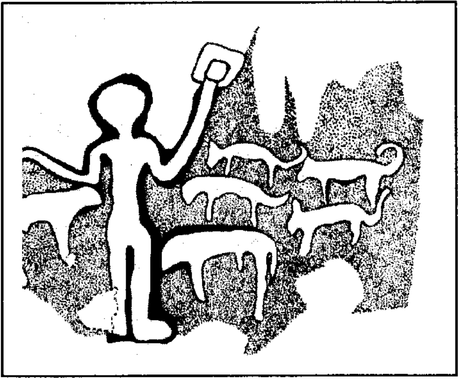
(5) - G. B. M. Flamand , Les pierres écrites (Hadjrat Mektoubat) gravures et inscriptions rupestres du Nord -Africain , Paris , Masson , 1921, PP. 32- 35.

بمنطقة الشرق البربرية" «Les pierres écrites dans l'est de la berberie»، وهذه الدراسة الأخيرة كانت أكثر تفصيل ذلك لأن محطة خنقة الحجار كانت قد احتوت على عدة مخربشات صخرية كانت تمثل : فيلا وأسدا ثم ضبيا ونعامة، إضافة إلى نقوش أخرى تشير إلى رجال ونساء واقفين تارة وتارة أخرى جالسين واليدين مرفوعتين إلى الأعلى، وفي بعض الأحيان تكون اليدين مفتوحة وفارغة، وفي البعض الأخر تكون الأيدي ممسكة بأشياء يصعب التعرف عليها.

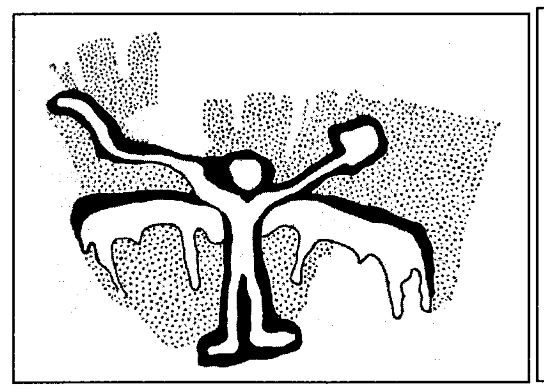
إن ارتفاع قامة هذه الأشخاص المشار إليهم تجعلنا نفكر في حركة التعبد والوقوف أمام المعبود[1] . (أنظر الشكل رقم 20 ص. 121).

---

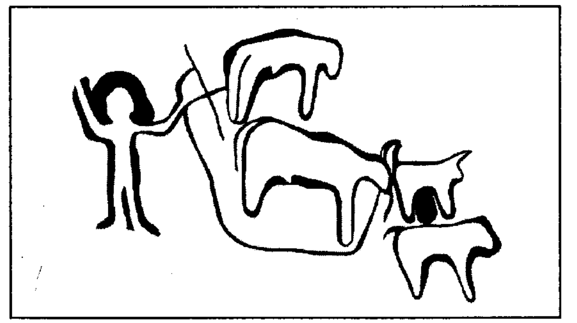
(1). - St Gsell. , Histoire Ancienne de l'Afrique du nord, T.1, Paris 1921., P. 274



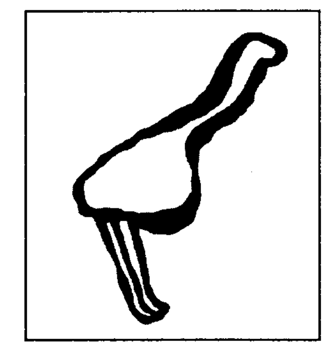
أ– إنسان واقف ويداه للأعلى تحيطه مجموعة من الحيوانات



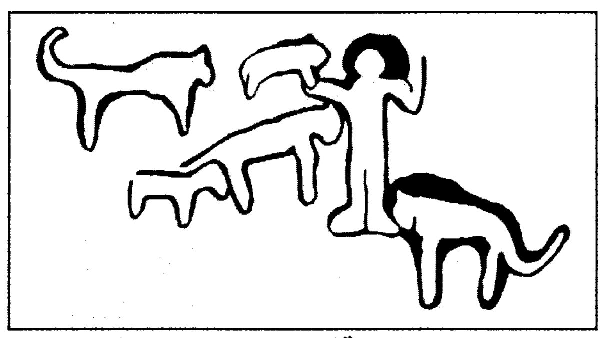
ب – إنسان واقف يتوسط خروفين



ج – إنسان واقف ويداه للأعلى وإلى جانبه بعض الخراف وكلبين



د – نعامة متجهة إلى اليمين



هـ– إنسان واقف وبجانبه مجموعة من الخراف والكلاب

مجموعة الرسوم الصخرية التي عثر عليها بمحطة خنقة الحجار

الشكل رقم: 20

2- محـــطة كهــف سيدي صالح:

تقع محطة كهف سيدي صالح في منطقة الهرية، ولا تبعد إلا بمقدار حوالي 10 كيلومترات عن مدينة الخروب الحالية. لقد اكتشفت هذه المحطة من قبل الباحث د. لابورد Dr Laborde سنة 1901 حيث أشار إلى اكتشافه بصورة مقتضبة سنة 1902 [1]، ثم درس الموقع فيما بعد من قبل الباحثين ج. بوسكو J.Bosco وم. صولينياك، وذلك سنة 1911م [2] وفي نفس السنة الآنفة الذكر أشار الباحث س.جزيل إلى وجود هذه المحطة في مجلده المتكون من جزئين والذي هو تحت عنوان الأطلس الأثري للجزائر « Atlas Archéologique de l'Algérie» [3]

كما قام الباحث فلامند سنة 1914 بالإشارة إلى هذه المحطة وقد أطلق عليها اسم "محطة الهرية" وقد احتوت على مجموعة من النقوش تتمثل في رسوم حيوانات غير أليفة وأشباح تمثل أشخاص خياليين يكادون لا يرون بالعين، ثم حيوان حيرم [4] (أنظر الشكل رقم 21. ص.123).

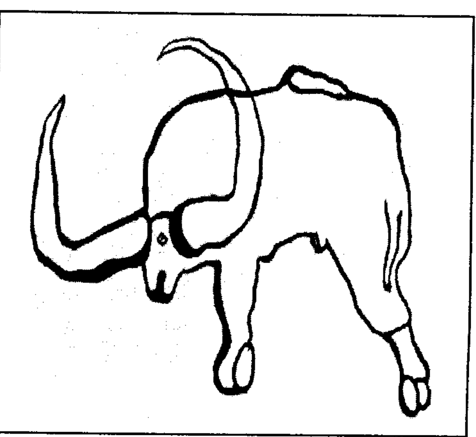
---

(1) - E. de Labord, Fouilles à El- Haria et Mhidjiba, rec. des not. Et mém. De la. soc .archeol. Du dép. de Constantine , T. XXV, 1901, P. 192.

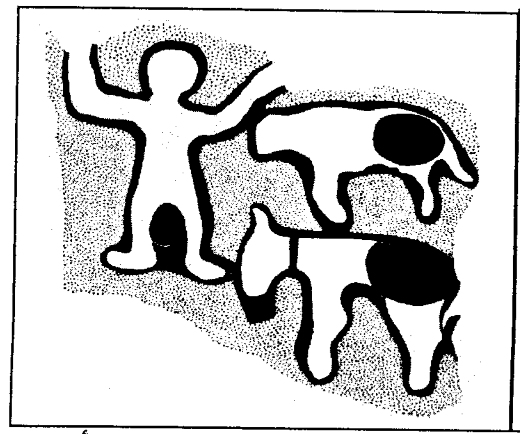
(2) - M. Solignac , et J. Bosco, Les pierres écrites de la Berbérie orientale (est constantinois et Tunisie), Tunis , Barlier, 1928, PP. 100- 113.

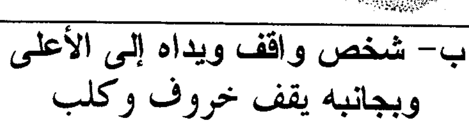
(3) - St Gsell, Atlas Archéologique, Alger 1911, PP. 322- 325.

(4) - G. B. M.Flamand, Deux stations nouvelles de pierres écrites l'anthrop., T. XXV, 1914, P. 434. note 3.

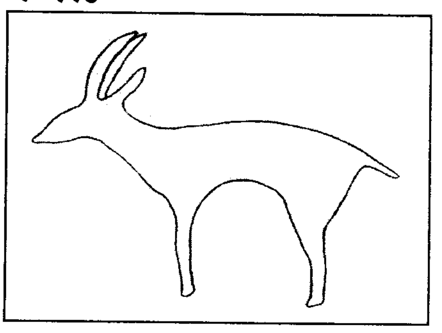


أ- حيوان حيرم قديم

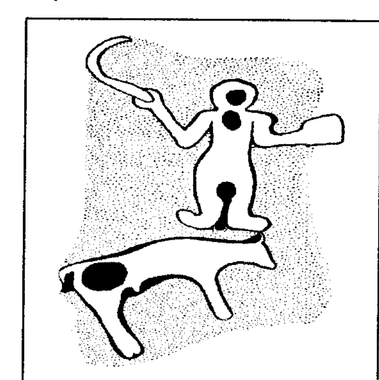




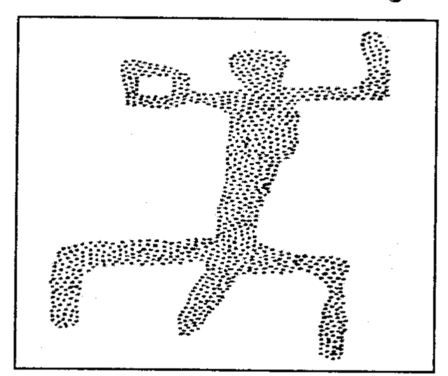
ب- شخص واقف ويداه إلى الأعلى
وبجانبه يقف خروف وكلب



جـــ- رسم لغزال واقف



د- رسم لشخص يمسك بإحدى يديه
ما يشبه العصا



هـــ- شبح شخص رافع يديه للأعلى
يمسك بحلقة ومزود بذنب

مجموعة رسوم صخرية عثر عليها بكهف سيدي صالح
الشكل رقم 21

3- محطة كهف تسنقة:

تقع محطة كهف تسنقة على الضفة اليمنى لوادي تسنقة على بعد كذا كيلومتر شمال شرق الهرية، وهي مكونة من ثلاث محطات صخرية تمثل كهف تسنقة الذي اكتشف سنة 1916 من قبل الباحثين ج.بوسكووصولينياك حيث يوجد الموقع في الكتابات الموجودة بالأطلس الأثري للجزائر وكذا أعمال لوفابر Lefebrere [1]

وفي سنة 1928 أعاد الباحث صولينياك دراسة الموقع في كتابه الذي هوتحت عنوان "**الحجارة المكتوبة**" المشار إليه أنفا لكهف تسنقة، وهي المحطة التي تضم مجوعة من النقوش تمثل: طير ونعامة ثم كبش وبقريات وسنوري ....الخ[2] (أنظر الشكل رقم 22 ص. 125).

محطـــة كهـــف الغـــراب:

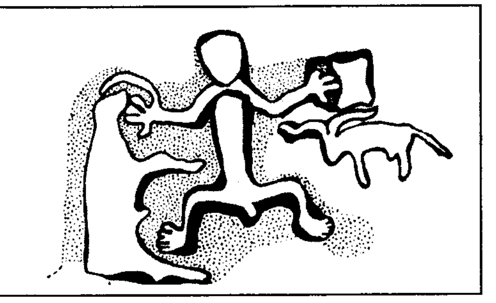
توجد محطة كهف الغراب التي هي عبارة عن صخور تحمل نقوشا، تقع على بعد حوالي 7كلم شمال الهرية. ولقد أشير إلى محطة كهف الغراب لأول مرة في أعمال الباحثين ج.بوسكووم. صولينياك وذلك في حوليات الجمعية الأثرية لقسنطينة [3].

---

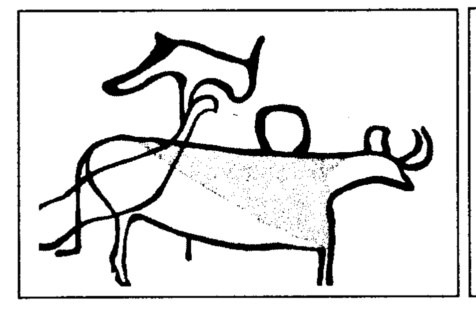
(1) - Lefebrere , Corpus du gravures et peintures rupestres de la région de Constantine , arts et métiers graphiques, Paris 1967, PP. 126 - 127.

(2) - M. Solgnac et J. Bosco, op. cit., P. 330.

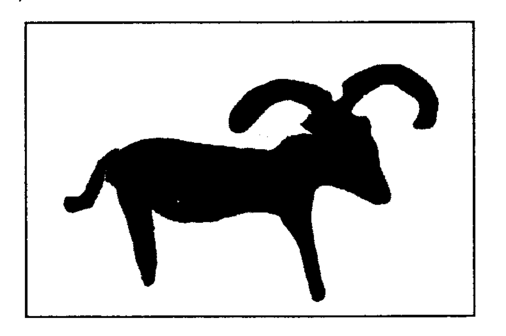
(3) - Ibid, PP. 243 - 249.



أ – شخص واقف يتوسط حيوانين

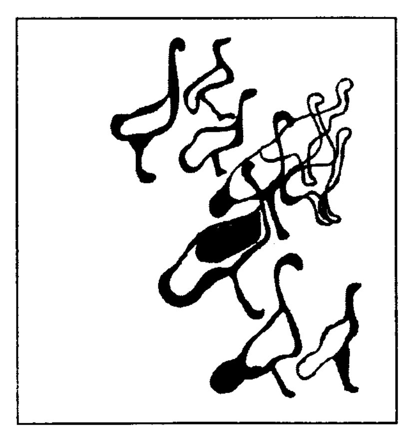


ب – رسم لبقرة ونعامة



ج – صورة كبش

– د– رسم لنعامة واقفة



هـــ – رسم لسرب من طيور النعام

رسوم صخرية عثر عليها بمحطة تاسنقة

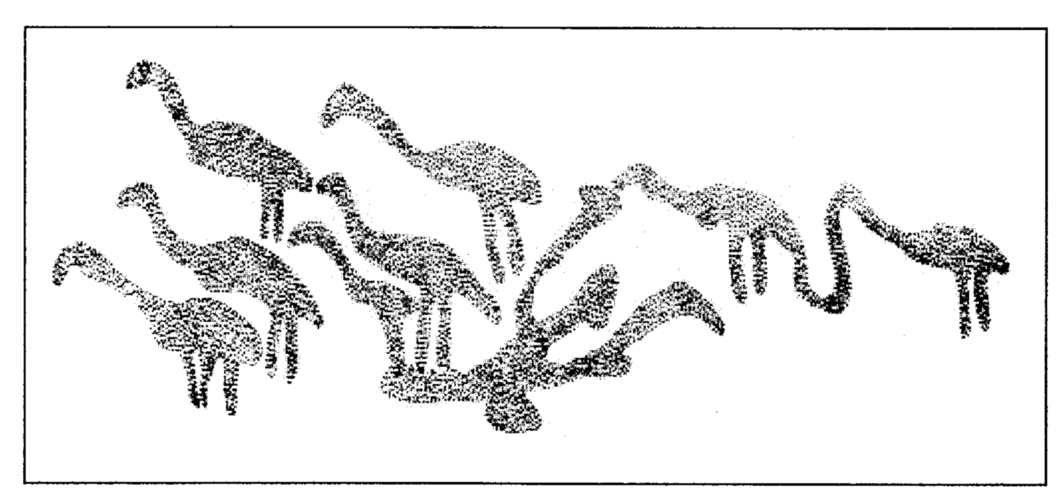
الشكل رقم: 22

أما في سنة 1928 فقد أعاد الباحث صولينياك دراسته للمحطة المشار إليها آنفا حيث أرفقها بمخططات غير دقيقة بشكل كاف وهي تضم مجموعة من النقوش تتمثل في شبح شخصيات وطيور النعام.

وقد كان الإنسان القفصي قد استعمل قشور بيض النعام بمثابة الأواني الأولى في حياته حيث أصبح بواسطتها يحمل السوائل إلى الكهوف التي يسكنها ليروي بها عطشه ليلا، إضافة إلى أنه قد رسم على ظهرها بواسطة السوائل الملونة . (أنظر الشكل رقم 23 ص. 126).

5- محـــطة كهـــف مربـــاح:

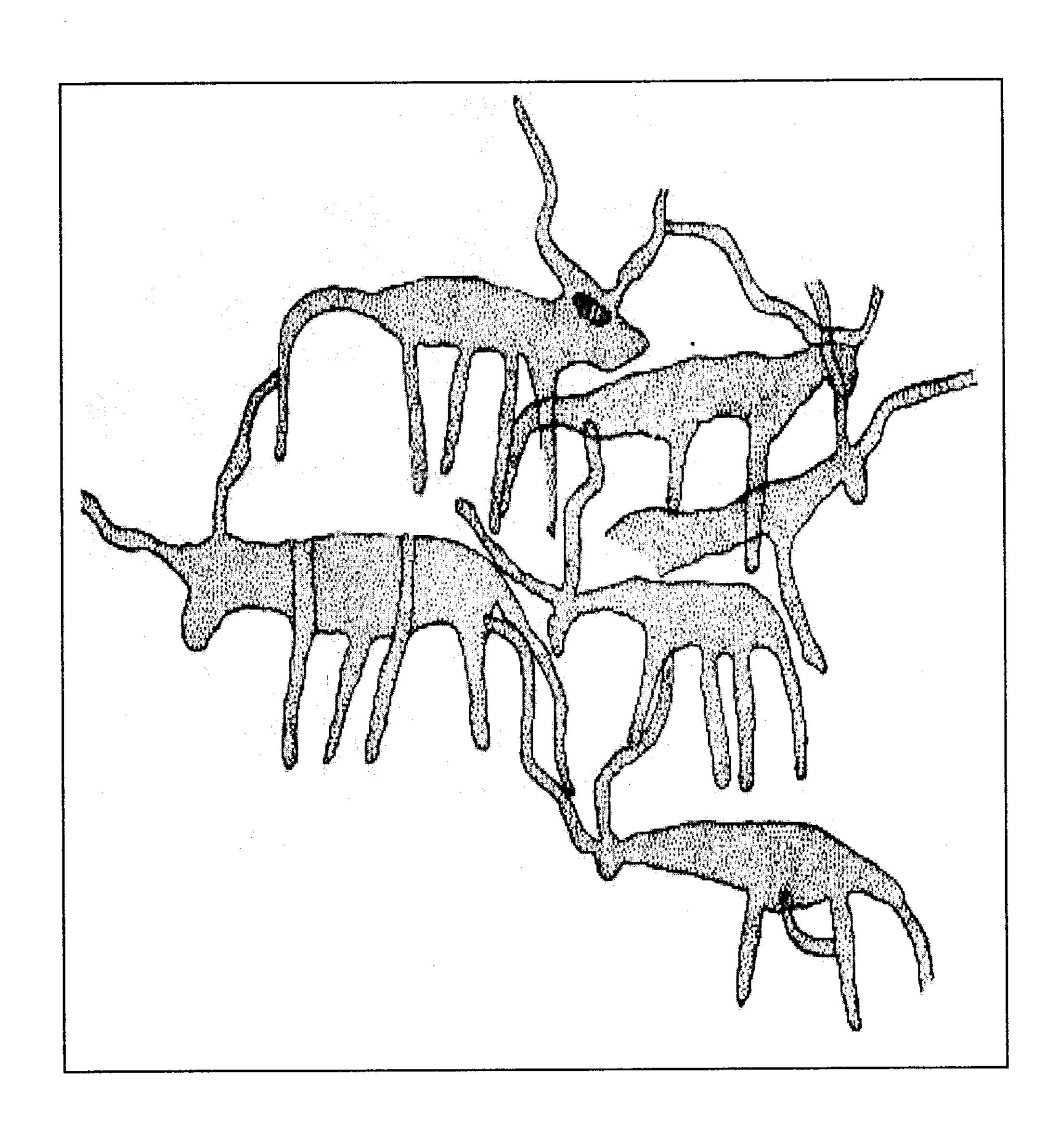
تتوافر محطة كهف مرباح على الضفة اليسرى لوادي طرفانة وهي تمثل أكبر الصخور لية الشرقية منها، غير أن جزء من الصخور المشار إليها قد أتلفت من التي تحمل مجموعتين من النقوش، توجد على الواجهة الشما طرف الإنسان لبناء المقابر الميجاليتية السابقة للفترة الإسلامية. وقد اكتشفت هذه المحطة سنة 1965 من قبل الباحث ج. شوبي J. Choppy وهو مهندس بالمجاري كان يعمل في قسنطينة، والملاحظ أن كهف مرباح تحتوي على مجموعة من النقوش تبرز صور بقريات وأروية، ثم ضبية ونعامة[1] (أنظر الشكل رقم 24 ص. 127)



سرب من النعام متجه كله إلى اليسار وفي الأسفل منه شخص ممتد على الأرض

رسوم صخرية عثر عليها بمحطة كهف الغراب
الشكل رقم: 23

(1) - Get lefebrere , op. cit., P. 190.



رسوم صخرية لمجموعة من الأبقار
رسوم صخرية عثر عليها بمحطة كهف مرباح
الشكل رقم: **24**

محطة كهف طرفانة:

تقع رسوم كهف طرفانة على الضفة اليمنى لوادي طرفانة نفسه وهو معروف بآثاره الرومانية التي أشار إليها كل من الباحثين ج. بوسكو وم.صولينياك سنة 1916 في دراستهما المختصرة[1] إضافة إلى ذلك قام الباحث صولينياك فيما بعد بدراسة المحطة مركزا على ما وجد فيها وقد تم ذلك سنة 1928 وظهرت أعماله تلك في كتابه الذي هو تحت عنوان "الحجارة المكتوبة " المشار إليه آنفا. وهو يضم الكثير من الصفحات المتعلقة بمحطة كهف طرفانة[2] التي تشتمل على ثلاث محطات، احتوت كل منها على مجموعة من الرسوم التي تمثل حيوانات مثل الأروية وبعض الحيوانات الأخرى غير المعروفة إضافة إلى وجود نقشين يعودان تقريبا إلى الفترة الليبية، حيث لاحظ صولينياك في هذه الفترة النقش البارز الذي فرق فيه الباحث بين أرجل الحيوانات والأشخاص الذين وجدهم على واجهة الصخر[3]. (أنظر الشكل رقم 25 ص. 129).

7- محطـــة شعبة الهلســـة:

اكتشفت محطة جبل الهلسة من قبل الباحث م. صولينياك، وقد نشر الباحث ما توصل إليه في كتابه "الحجارة المكتوبة..." حيث أنه لم يشاهد إلا مجموعة واحدة من النقوش[4].

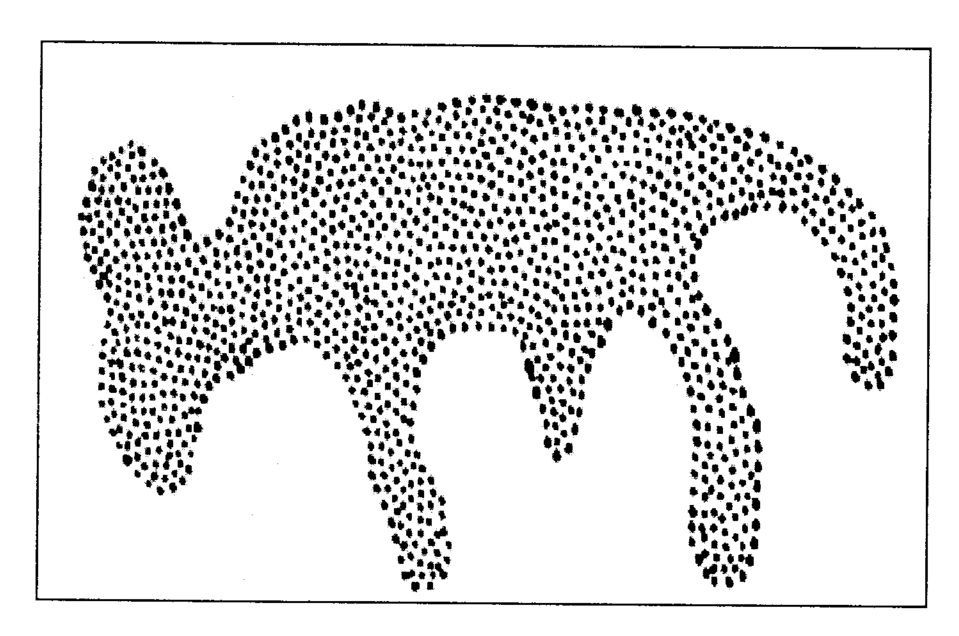
---

(1) -M. Solignac et J.Bosco, op. cit.,P. 242.

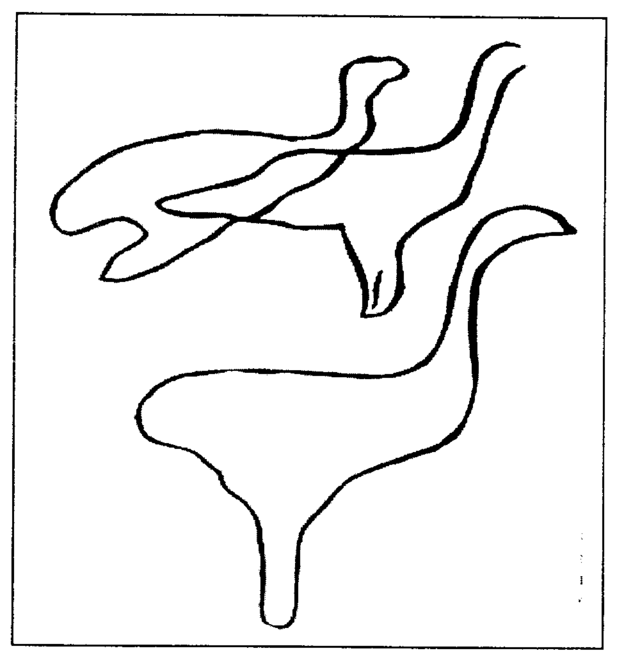
(2) - Ibid, PP. 96 - 99.

(3) - L.Lefbrere,Les prétendues inscriptions de Tarfana, Libyca anthrop. Préhist. Athnogr. , T. XIII, 1965, PP. 195 - 197.

(4) - M Solgnac, op. cit., P.P. 90-100.



أ – رسم لحيوان غير محدد يمكن أن يكون كبش نفذ رسمه بواسطة التنقيط



ب– رســـم صخري لثلاث نعـــامات

رسوم عثر عليها بمحطة طرفانة

الشكل رقم: 25

كما أشار الباحث ج. شوبي وذلك في شهر ماي سنة 1965 إلى وجود قرني ضبي منقوشة على الصخرة وبعض الرسوم الأخرى وفي نفس السنة اكتشف صخورا أخرى منقوشة ومسومة وهي تحتوي كذلك على شخصيتين وأبقار ثم حيوانات ثديية وحيرم وثعبان ونفذت رسومهما بواسطة التنقيط.(أنظر الشكل رقم 26 ص. 131).

8- محطـــة لومبـــلاش:

توجد محطة لومبلاش على الطريق الواقع في الشمال الشرقي من مدينة قسنطينة، والمؤدي إلى وادي قراشة . وقد اكتشفت المحطة المشار إليها من قبل الباحث ج. شوبي يوم 05 ماي 1965[1] وهي تضم مجموعة من النقوش والرسوم نذكر منها بقرة وبعض المخربشات لا نعرف مؤداها، وكانت قد نفذت بالحبر. (أنظر الشكل رقم 27 ص. 132).

9- محطـــة كهـــف الدامـــوس:

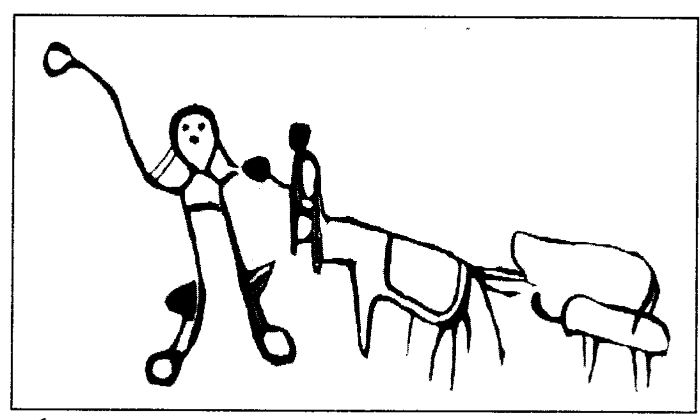
يوجد كهف الداموس على بعد حوالي 2كلم شمال كهف المصاورة الموجود بمنطقة سدراتة، وقد عرفت هذه المنطقة منذ سنة 1892 بواسطة الإشارات التي قدمها الباحث ر. بيرنال التي ظن أنها نصب ليبية، تشير إلى مقبرة [2]، وقد أعاد دراستها فيما بعد الباحث س.جزيل سنة 1911 الذي صرح إلى أن خصائصها لا تعود إلى الفترة التاريخية معتمدا في ذلك على مقارنتها بالمخلفات الليبية التي وجدت في مناطق أخرى متعددة من الشرق الجزائري[3].

---

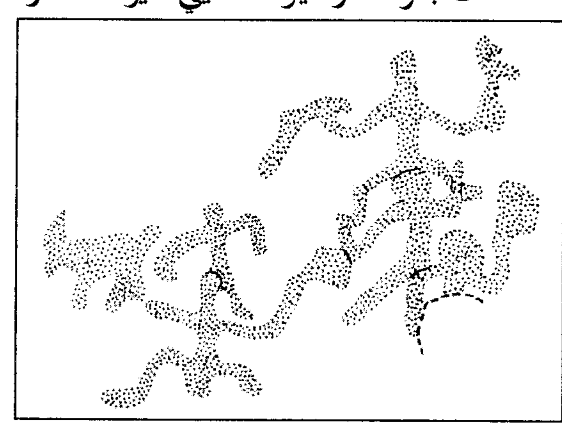
(1) - L.Lefebrere op. cit., P. 206.

(2) - R.Bernalle, op. cit., PP. 54-113.

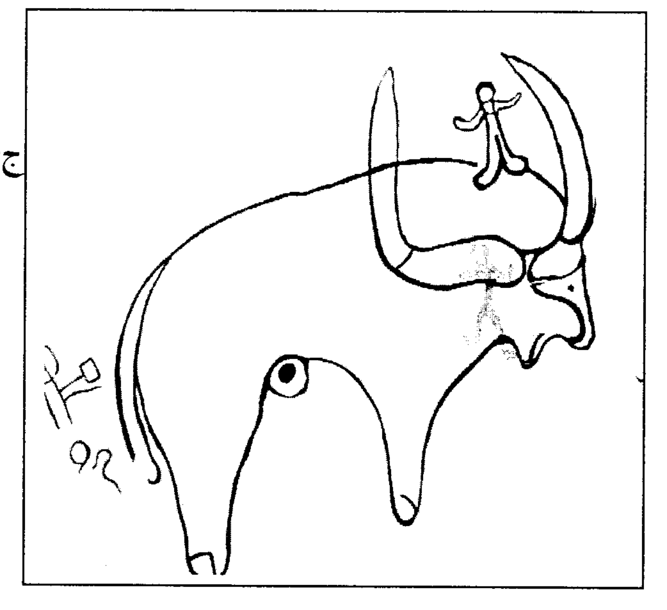
(3) - St.Gsell, Atlas archéologique de l'Algérie , Alger 1911, fouilles de Souk-Ahras, N° (225), 18, P. 12.



أ- رسم لشخصين أحدهما يرفع يده اليمنى ممسكا بحلقة وعلى يسارهما تقف بقرتان وحيوان ثديي غير محدد وقد نفد الرسم بواسطة التنقيط



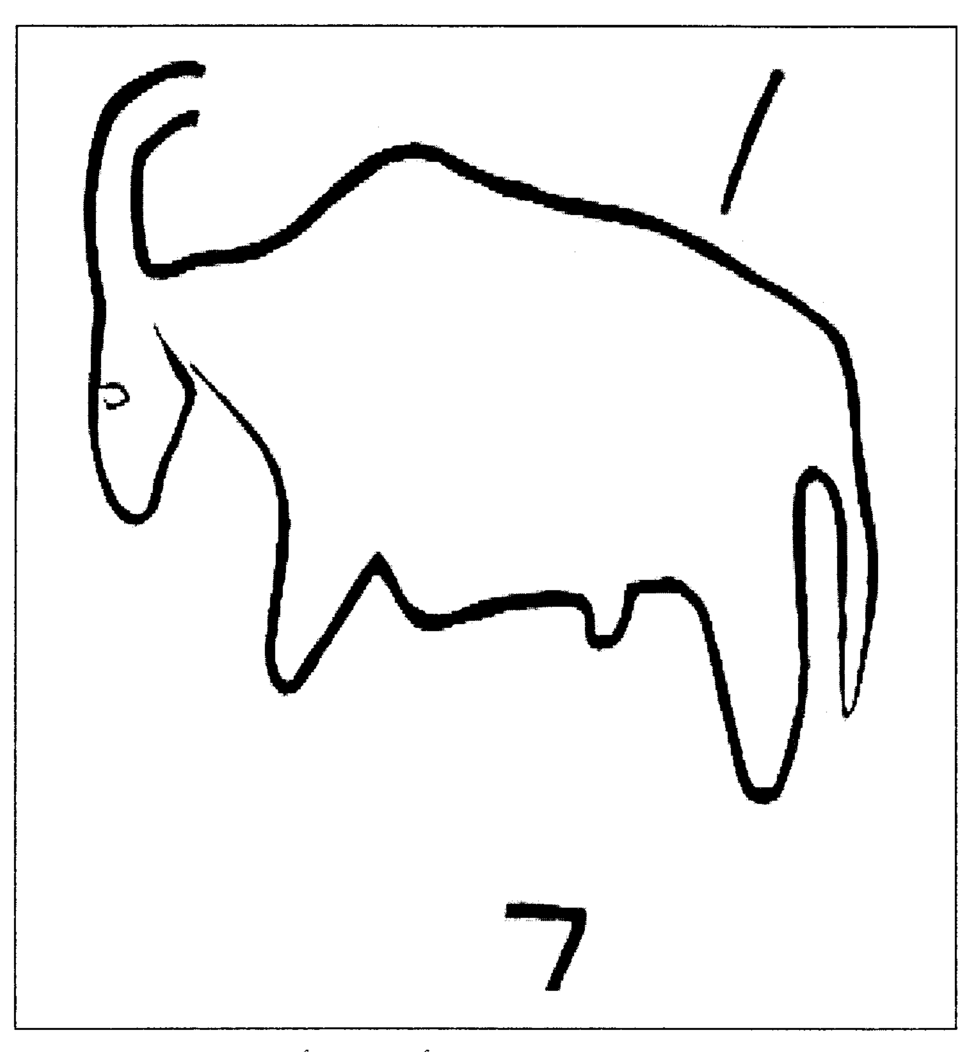
ب-رسم لخمسة أشخاص في حالة وقوف وحيوانات ثديية غير معروفة



ج- حيرم قديم وأربع أشخاص

رسوم صخرية عثر عليها بمحطة الهلسة

الشكل رقم: 26



رسم صخري يمثل بقرة واقفة وفي الأسفل والأعلى منها تظهر بداية
رسمين غير محددين رسوم صخرية عثر عليها بمحطة لومبلاش
الشكل رقم: 27

أما في سنة 1928 فقد أعاد الباحث م. صولينياك دراسته للموقع والملاحظ أن محطة كهف الداموس تتمثل في 13 حيوان من الأروي وقردة غير معروفة إضافة إلى حيوانات أخرى[1] (أنظر الشكل رقم 28 ص. 134) وهي بذلك تجمع بين رسم المشاهد الاقتصادية التي تمثل حيوان الأروي الذي كان يمثل مصدر صيد والقردة التي كانت تدخل في الجانب التعبدي الطقوسي.

10- محطة قشقش:

اكتشفت محطة قشقش من قبل الباحثين ج.بوسكووم. صولينياك وذلك سنة 1928 كما قام الباحث م. فوفري M. Vaufrey سنة 1955 بالإشارة للصخور المنقوشة لهذه المحطة وهي تحتوي على مجموعة من النقوش تمثل أروية ومجموعة من القردة وشكل غير معروف مما يجعل الباحث يدرك مدى تطور الفن لدى الإنسان القديم على درجة انه استطاع أن يجسد حياته اليومية [2] (أنظر الشكل رقم 29 ص. 135).

11- محطة كهف فنطرية:

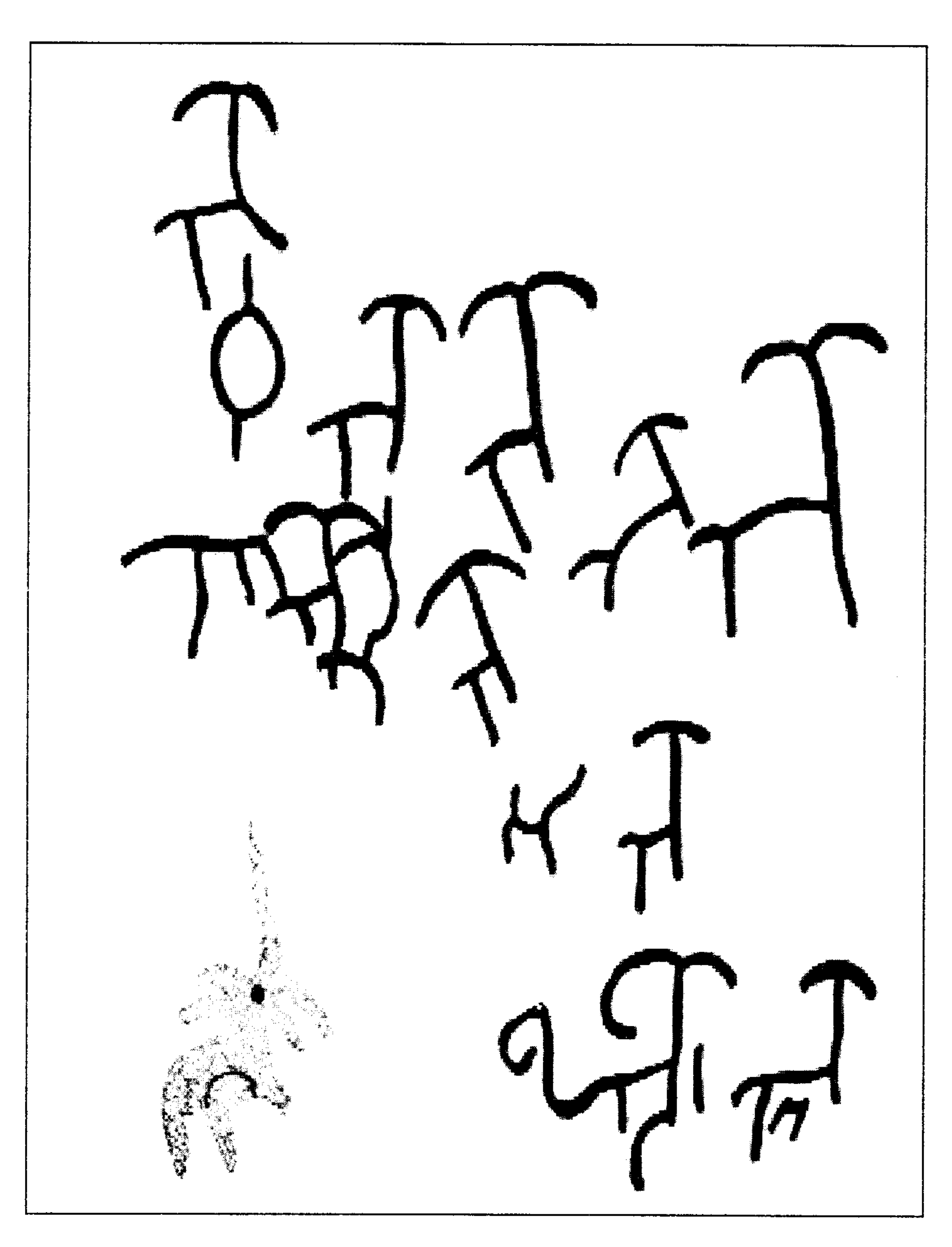
يقع كهف فنطرية على بعد حوالي 15 كلم جنوب شرق مدينة قسنطينة وأيضا حوالي 8 كلم شمال شرق مدينة الخروب، حيث قام الباحث م. صولينياك بإعطاء توضيح لنقوش كهف فنطرية وصنفها ضمن الأسلوب المنحط، والجدير بالذكر أن المحطة تحتوي على مجموعة من الرسوم الصخرية نذكر منها رسم بقريات وأشباح أشخاص، ثم حيوان غير معروف، إضافة إلى كبش وفيل، ثم أروية [3] (أنظر الشكل رقم 30 ص. 136)

---

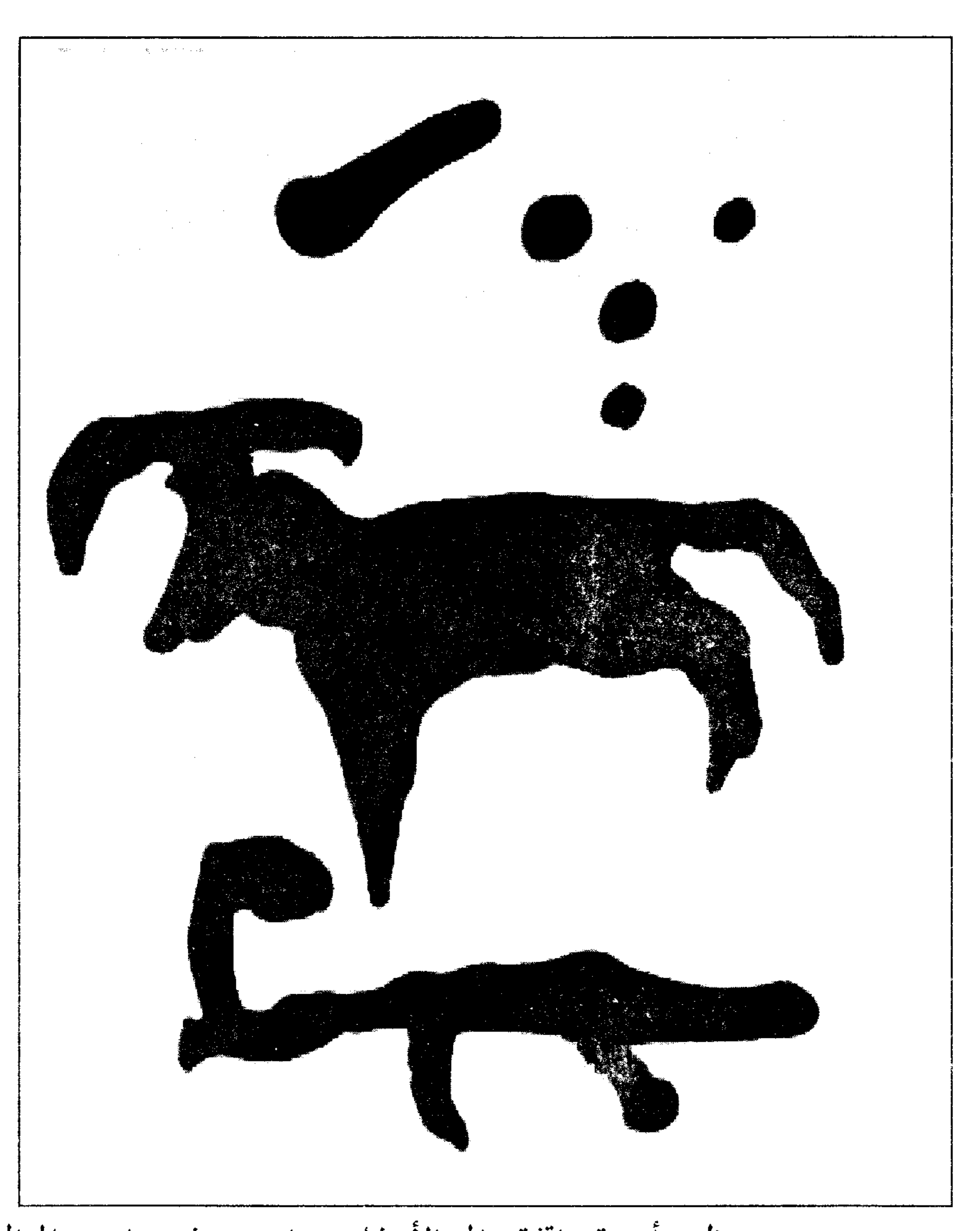
(1) - M.Solignac , op. cit., PP. 119- 123.

(2) - R.Vaufrey, Préhistoire de l'Algérie , T.1, Maghreb pub. De l'inst. Des H. text. De Tunisie, vol. IV, Paris , Masson 1955, P.314.

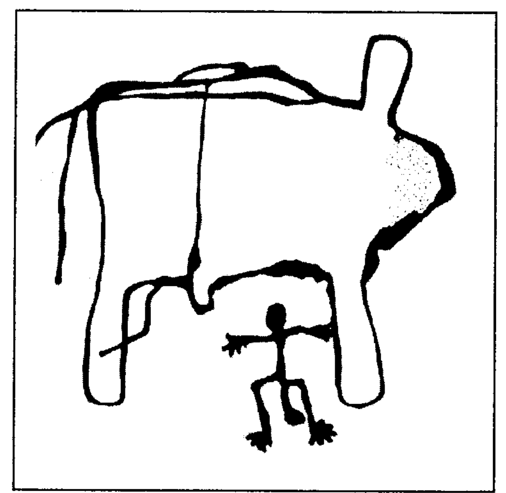
(3) - M. Solignac et J. Bosco, op. cit.,P. 283.



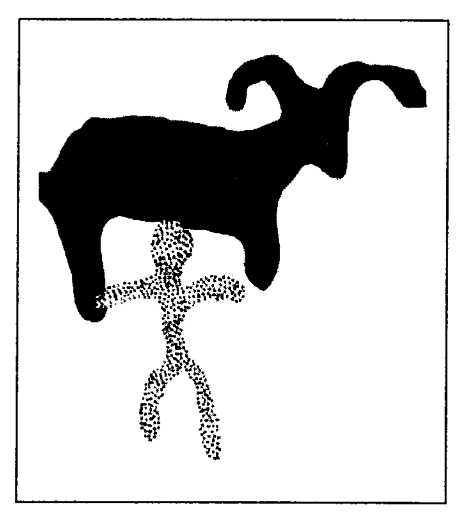
رسم صخري يوضح قطيع من الأروي إضافة إلى رسوم رديئة غير محددة
رسوم صخرية عثر عليها بمحطة كهف الداموس
الشكل رقم: 28



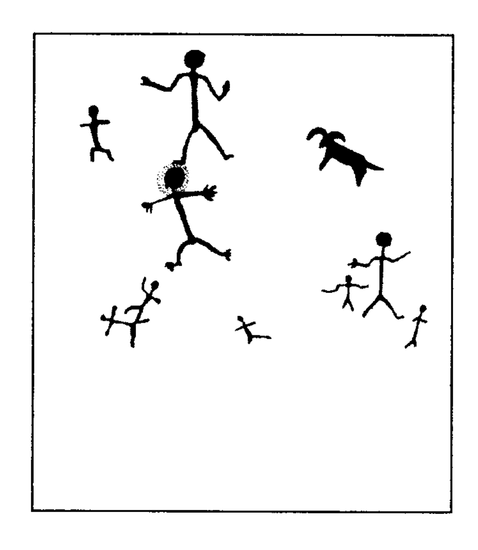
رسم صخري يظهر أروية واقفة وإلى الأسفل منها رسم غير واضح المعالم
رسوم صخرية عثر عليها بمحطة قشقش
الشكل رقم: 29



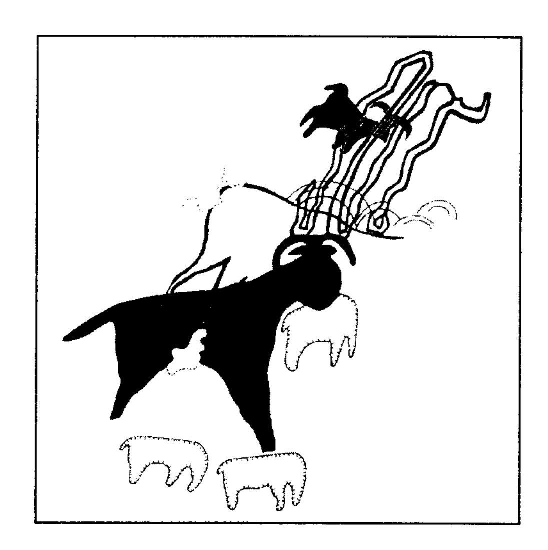
أ – رسم صخري لبقرة وفي الأسفل منها يقف شخص يمد يديه ومزود بذنب



ب– حيوان أروي يقف تحته شخص نفذ رسمه بواسطة التنقيط



ج– مشهد صيد يمثل أروية ومجموعة من الأشخاص تقف حوله



د– أرويتان وكبش وثلاث فيلة

– رسوم صخرية عثر عليها بمحطة فنطرية

الشكل رقم: 30

إن وجود الصور المشار إليها آنفا تنم على تطور الفن التصويري لدى إنسان المنطقة الذي أصبح يعبر بواسطة ذلك الفن عن الاحتياجات الاجتماعية والاقتصادية والطقوسية الدينية ذلك لأن وجود كل من الكبش الذي كان محل العبادة، لاسيما عندما توضع على رأسه دائرة قرص الشمس. وقد وجدت أمثلة لهذا الأخير في الرسوم الصخرية بالصحراء الجزائرية، وهو ذلك يرمز إلى العبادة الطقوسية لدى الإنسان القديم، وفي نفس الوقت هو مصدر من المصادر الاقتصادية، لاسيما وهو يلقح القطيع وبذلك يضمن إستمراريته وتكاثره.

أما الفيل فكان هو الآخر مصدرا مهما في الصناعة العاجية ودخل لحمه في الجانب الاقتصادي للإنسان حينذاك، إضافة إلى أنه استعمل في الحروب أثناء الفترة التاريخية.

12- محطة جبل مزيلة:

تتوافر محطة جبل مزيلة شمال شرق محطة بونوارة شرق مدينة قسنطينة وذلك على يسار الطريق الرابط بينها وبين مدينة قالمة.[1]

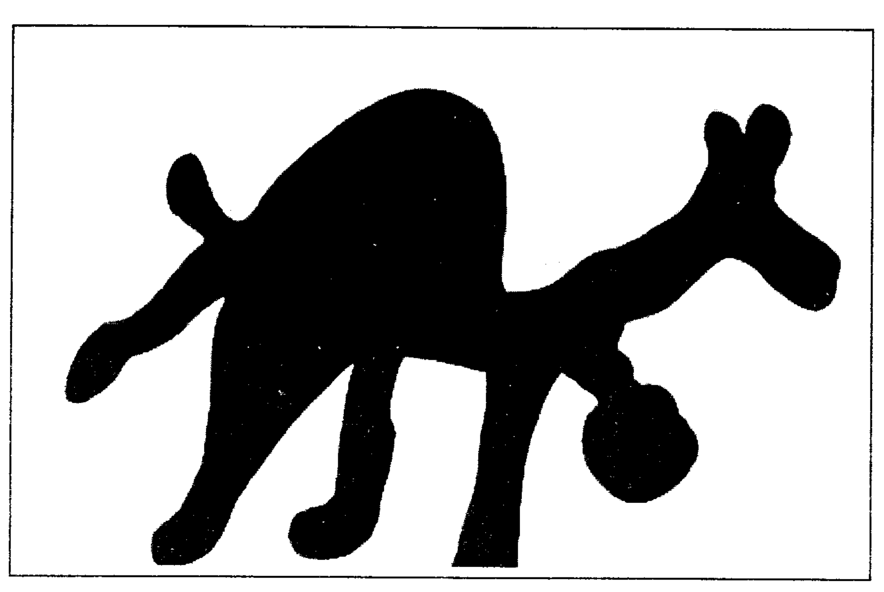
لقد عرفت هذه المحطة منذ منصف القرن التاسع عشر حيث اكتشفها الجينرال فيدارب Général Faidherbe سنة 1866[2] حيث زارها فيما بعد م. صولينياك وعمق دراسته لها أكثر ثم رتبها ضمن المواقع الصخرية، ومع ذلك فإنه لم يشر إلا للرسوم التي وجدت على واجهات الجبل، والتي كانت تحتوي على مجموعة من الرسومات تتمثل في كلب وحيوان رباعي الأرجل[3] (أنظر الشكل رقم 31 ص. 138).

---

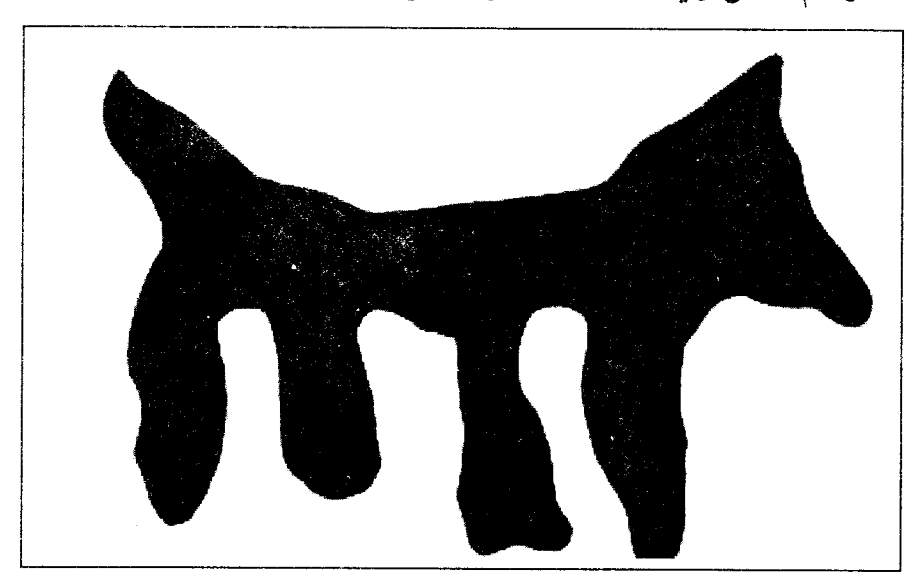
(1) - G. Camps, Nécropole mégalithique de Djebel Mazela à Bou Nouara, mam. III du C. R. A. P. E., Paris A. M. G., 1964, P.89.

(2) - Faidherbe , la nécropole mégalithique de djebel Mazela sur la route de Constantine à Guelma, bull. de l'acad. D'Hippone , T.VI, 1868, PP. 63- 65.

(3) -M.Solignac, op. cit., PP. 65- 68.



أ- رسم لجمل وفي بداية عنقه تبرز دائرة نفذت بواسطة صباغة سوداء



ب- رسم لكلب نفذ بصباغة سوداء تشبه الحبر

رسوم صخرية عثر عليها بمحطة كهف مزيلة

الشكل رقم: **31**

13- محطة عين النحاس:

توجد محطة عين النحاس على بعد 50كلم شمال كهف فنطرية، وكان اكتشافها قد تم سنة 1911 من قبل الباحثين بوسكووصولينياك اللذين أشار عن اكتشاف المحطة في نفس الفصل من تلك السنة، حيث كانا قد استنتجا بطريقة دقيقة ورسما كلا المحطتين (كهف فنطرية، ومحطة عين النحاس) [1]، وبدوره درس الباحث صولينياك سنة 1928 كل محطة من المحطتين المشار إليهما على حدا وأعطى للمحطة الثانية اسم برج بن طوبال، غير أن بعض الباحثين الذين درسوا الموقع لم يشاركوه التسمية الحديثة، وبذلك بقي الاسم القديم "كهف عين النحاس" هو الذي تعرف به هذه المحطة.

وقد احتوت واجهات صخور عين النحاس على رسوم حيوانات نفدت رسومها بواسطة التنقيط، مما يجعل الدارس لا يتبين بوضوح الرسوم التي تحملها واجهات تلك الصخور[2] (أنظر الشكل رقم 32 ص. 140).

موقع عين رقّادة:

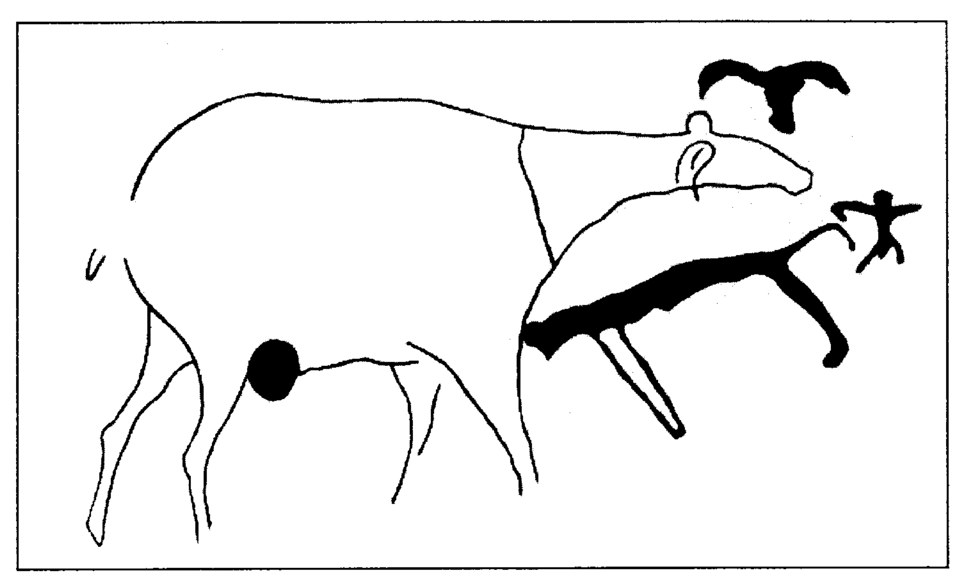
تتوافر محطة عين رقادة على الضفة اليسرى للوادي الذي يحمل نفس التسمية، وذلك بالقرب من قرية عين رقادة الحالية

لقد اكتشفت محطة عين رقادة وذلك في شهر ماي 1965 وذلك من قبل الباحث ج. شوبي، وتحتوي رسومها على مجموعة من النقوش والرسوم التي تتمثل في شكل دائري يشبه لوحة الرماية، إضافة على رسم غير مفهوم وكذا مجموعة من الخطوط التي نفذت بواسطة التنقيط . (أنظر الشكل رقم 33 ص.141).

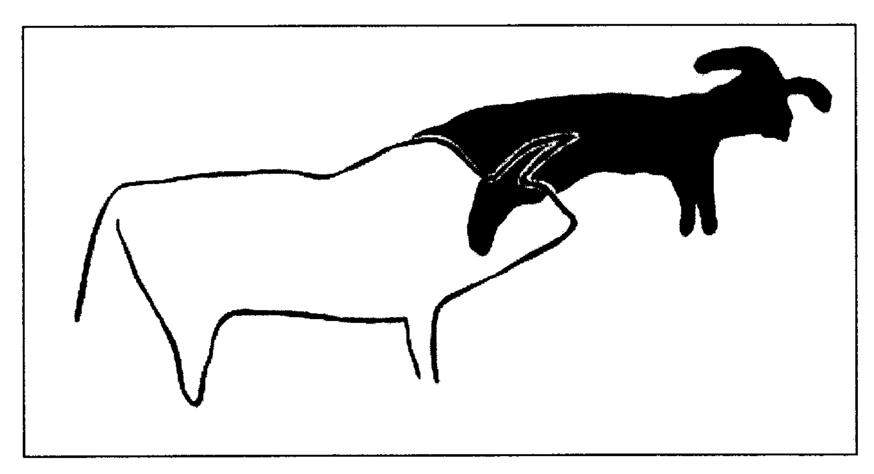
---

(1) -Bosco et Solignac, op. cit., PP. 333-334.

(2) -Solignac , op. cit., PP. 57 - 63.



أ- رسم صخري لنعجة في حالة وقوف وأمامها وليدها استعدادا للرضاعة وفي أعلى الرسم يوجد شخص في حالة وقوف ورأس حيوان مزود بقرنين



ب- رسم صخري لحيوان أروي وبقرة

رسوم صخرية عثر عليها بمحطة عين النحاس

الشكل رقم: 32



- صورة غير واضحة المعالم يبدوأنها لأشخاص
- رسوم صخرية عثر عليها بموقع عين رقادة
الشكل رقم: 33

وتعتبر محطة عين رقادة المكان الوحيد في المنطقة الذي استعمل الفنان في رسومه لونان الأبيض والأصفر[1]، ذلك لأن الرسوم هنا بدأت تميل إلى التجريد، مما جعلها تتسم بالرداءة وعدم اعتناء الفنان بما يرسم. إن وجود الألوان في هذه المحطة هو الآخر يدل على مدى تطور فن الرسم الصخري في هذه المنطقة وفقا لمنظور جمالي أصبح الإنسان يتمتع به استعدادا لما ستجود به عليه قريحته لاكتشاف حروف الكتابة الليبية التي وجدت نقوشها منتشرة بكثرة في منطقة الشرق الجزائري إذا ما قيست بالمناطق الأخرى من أرض الوطن.

حينئذ فالمتتبع لفن الرسوم الصخرية في بلاد المغرب القديم ومنطقة الصحراء يستنتج عدة مواضيع هامة تترجم أوجه الأنشطة التي كان يسايرها الإنسان القديم وحياته اليومية[2].

إن الدارس لموقع رقادة يقف على العديد من النقاط الهامة والتي يمكن ايجازها في:

- أهمية هذا الموقع من حيث نوعية الرسوم وموضوعاتها.
- دور الجانب الطوبوغرافي في صناعة نوع الحياة بالموقع.
- توفر عناصر الحياة الضرورية كالماء والأراضي الخصبة أهلت هذه المنطقة لتحتضن محطة هامة من محطات الرسوم الصخرية.
- استمرار الإنسان في نشاطه الفلاحى بالموقع هواستمرار لطبيعة الحياة القديمة في شكلها الجديد.

15. محطة موقع كهف المصاورة:

تعد محطة موقع كهف المصاورة «La Station de Kef El- Msaoura» من بين المواقع الهامة التي توجد على مرتفع يتربع على الضفة اليمنى لمنخفض وادي نيل بالقرب من سدراتة، وقد عرف باسم كهف المصاورة هكذا من قبل سكان المنطقة وأخذ نفس التسمية فيما بعد الجغرافيون والأثريون الذين درسوا الرسوم الصخرية في منطقة الشرق الجزائري.

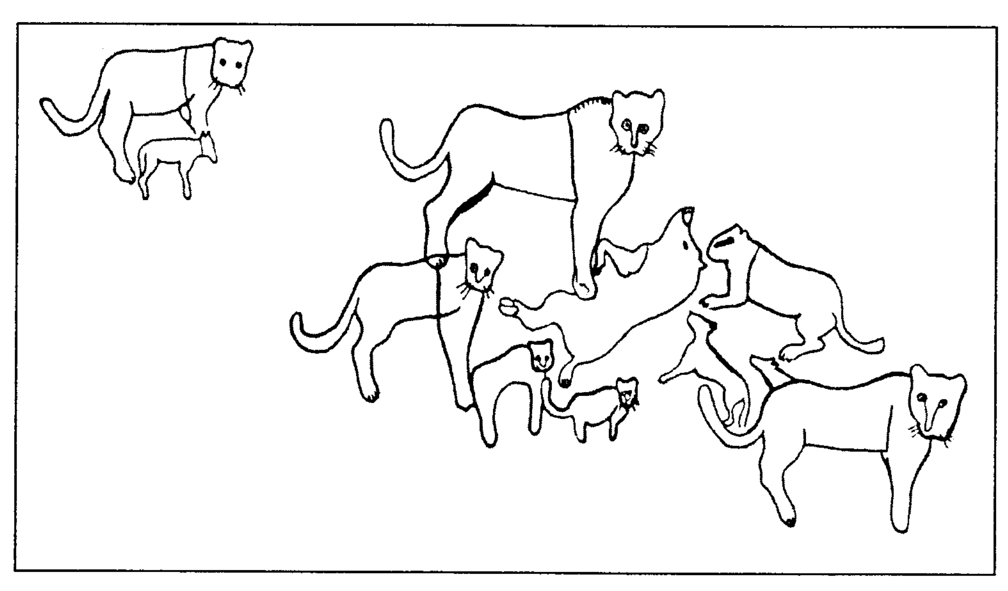
يتكون مشهد موقع كهف المصاورة من أسدين يفترسان خترير بريا وبالقرب منهما أبناء أوة ينتظرون أخذ نصيبهم من الجثة وبذلك فالمشهد يعبر عن وليمة صيد أو إفتراس أقوى الحيوانات لضعفائها وذلك ما يمثله سر الكون حتى عند الآدميين في الفترة البدائية.

---

(1) - Choppy , prise de date pour nouveaux sites de gravures et peintures rupestres de Constantine anthrop. Ethnogr., T. XIV, 1966, P. 467.

(2) ك إبراهيمي، المرجع السابق .ص. 124.

لقد اكتشف موقع كهف المصاورة من قبل ر. بير نال (R. Bern elle[1]) . وذلك سنة 1892 وهو الذي وصف المشهد لأول مرة. وفي سنة 1901 أعاد المؤرخ الفرنسي س. جزيل (St. Gsell) ثم درس نفس الموقع ولكن هذه المرة كانت الدراسة من الجانب التقني الفني فقط[2] . وقد توالت الدراسات فيما بعد على نفس الموقع، لاسيما من قبل فلامند (G. B. M. Flamande) وذلك سنة 1921، وكذا م. صولينياك (M. Solignac) سنة 1928 . لقد أعطى هذا الأخير دراسة وافية قياسا بمن سبقوه، وفي رأيه فإن مشهد كهف المصاورة يعد من أحسن وأجمل ما أنتجه فنانوا الرسوم الصخرية بشمال إفريقيا[3].



رسم أسود كهف المصاورة تفترس خنزيرا بريا وحولهم أبناء أوة ينتظرون أخذ نصيبهم من الجثة

رسوم صخرية عثر عليها بكهف المصاورة

الشكل رقم: 34

(1) - R. Bernelle Vestiges anciens de la commune mixte de l'Oued Cherf. Rec. Des not. Et mém. De la soc. archiol. Du dép. De Constantine, T. XXVII, 1892, P. 99 et Pl. VI.

(2) - St.Gsell , Les Monuments antiques de l'Algérie, T. I, ¨Paris Thorin 1901, PP. 47 –48.

(3) .- M. Solignac, Les pierres écrites de la Berbérie orientale (Est Constontinois et Tunisie). Tunis, Barlier , 1928, PP. 113 – 119.

الفصل التاسع

- الرموز ومدلولاتها التعبدية

1. رمز المثلث في النصب البونية ومدلولاته
2. رمز الهلال والقرص في النصب البونية ومدلولاتهما
3. رمز الإلهة تانيت في النصب الفينيقية البونية ومدلولاته
4. رمز سعفة النخيل في النصب القرطاجية – البونية ومدلولاتها
5. رمز الكواكب في النصب البونية ومدلولاتها
6. رمز الأسلحة في النصب البونية ومدلولاتها
7. رمز الحيوانات في النصب البونية ومدلولاتها

أ– رمز الحصان

ب– رمز الثور

ج– رمز الكبش

د– رمز الدلفين

الرموز ومدلولاتها التعبدية:

نرى أن منطقة الشرق الجزائري كانت من بين المناطق التي مارس فيها الإنسان نشاطه الاقتصادي والطقوسي التعبدي والاجتماعي، وكانت واجهات الصخور والكهوف هي الصفحات الأولى التي رسم عليها مبينا قدرته الفنية التي أظهرت تفوقه في تلك الفترة المتقدمة من تاريخ الإنسانية، حيث كانت الصعوبة التي تجابهه بالدرجة الأولى هي جمع القوت وتلبية الغرائز والتصدي للحيوانات الشرسة في ذلك الوسط المعادي له. وقد تمثلت محاولاته الأولى فيما عرف بالجمع والالتقاط والصيد لحفظ البقاء. ومع ذلك فإن استفادته من التجارب التي مر بها بمرور الزمن واكتسابه لخاصيات معينة جعلته يتفوق على كل ما حوله مسجلا بذلك بصماته الإنسانية التي بقيت تدل عليه في شكل رسوم تشهد على الحياة اليومية التي كان يجابهها والمهن البدائية التي كان يزاولها.

ولعل من بين المهن التي كان يزاولها إلى جانب الجمع والالتقاط وممارسة الصيد وسكنى الكهوف والدفن في القبور الميغاليتية هي تعامله مع الرسم في شكله البدائي الذي لا ندرك أغراضه الأولى! هل كانت طوسية بحتة في بدايتها أم اقتصادية، أم أنه كانت له أغراض أخرى لا ندرك كنهها حتى اليوم؟ .

حينئذ فالمهم بالنسبة لنا هو اكتشاف وتتبع تلك البصمات التي تركها الإنسان وراءه وهي تدل على المحاولات الأولى التي من بينها بداية فن الرسم القديم والزخرفة اللذين تناولهما الإنسان الباكر في بلاد المغرب القديم على العموم والشرق الجزائري الذي هو محل دراستنا بصفة خاصة، وهذا الأخير هو محل دراستنا هذه.

هذا فيما يخص الرسوم الصخرية التي تعتبر ضمن الأنشطة التي مارسها الإنسان في الفترة التحولية فيما بين نهاية فجر التاريخ وبداية الفترة التاريخية التي ونعني بها استعمال الإنسان للكتابة التي جاءت ضمن البضائع التي حملها الفينيقيون إلى سواحل شمال إفريقيا، ذلك أن هؤلاء القوم أي الفينيقيين لم يجلبوا معهم من منطقة شرقي المتوسط البضائع المادية فحسب، بل جاءوا بالكتابة التي تم اختراعها خلال القرن الثاني عشر قبل الميلاد ووجدت أبجديتها بعد ذلك

عالقة على غطاء تابوت الملك أحيرام ملك جوبيل[1]. الأمر الذي دعانا لإنجاز الموضوع الثاني من هذا العمل ممثلا في النصب التي تحمل رموزا زخرفية تشير إلى بعض المعبودات القديمة التي وجدت موزعة على كامل منطقة الشرق الجزائري، لاسيما تلك النصب التي عثر عليها في مدينة سيرتا، وقد حاولنا أن ننقل الرموز التي تعلو بعض النصب ثم ننظر إلى مدلولاتها التي تتلخص غالبا في رمز الإلهة تانيت والكبش والثور والدلفين والزخرفة المكسرة التي تزين واجهات النصب دون أن نتطرق إلى فك رموز الكتابة، ذلك لأن هذه الأخيرة ستكون محور موضوع بحثنا القادم بحول الله

ومن أشهر الرموز التي تطرقنا إليها في عملنا هذا ما سنشير إليه معنون في الصفحات الآتية:

1. رمز المثلث في النصب البونيةومدلولاته:

رغم الأهمية التي يشكلها المثلث في رمز الإلهة تانيت بالنسبة لمعبد الحفرة الذي اكتشفت فيه تلك النصب منذ سنة 1875، حيث اعتبر رمز المثلث أساسا كإشارة للمعبودة تانيت إلا أن ظهوره كصورة مستقلة على وجه النصب فهو لا يتوفر في كامل النصب التي عثر عليها في أنحاء متعددة من الشرق الجزائري وفي مدينة سيرتا بالذات، وغالبا ما يكون مرسوما على سطح النصب أو محفورا فيه متبوعا بالخط المستقيم الذي يمثل الأذرع والنقطة التي تعلو الخط المستقيم وهي تشير إلى الرأس، وبذلك يمكن أن نلاحظ شكل المثلث ماثلا على النصب على الشكل الأتي:

أ. النصب التي تحمل حرف .C باللاتينية على الوجه وهو متوفر في اللوحة XLIII C من نصب معبد الحفرة (أنظر الشكل رقم 35.ص.147)، الذي هيمن على رموزه المقترنتين بالهلال وقرص الشمس وغالبا ما يكون المثلث في هذه الوضعية محاطا باليد أو بالزهرة وكذا رمز الإلهة تانيت وأحيانا بسعفة النخيل وبعض الحيوانات.

---

[1] أحمد حميدة: المدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية، منشورات جامعة دمشق، سوريا 1995، ص. 118 وما يليها.

ب. يمكن أيضا أن يكون مركب من مثلثين متقابلين وضعت نهاية إحداهما على الأعلى والأخرى على الأسفل، في شكل نجمة سداسية كانت قد تكررت على نصب الحفرة ثلاث مرات توفر بعضها في أسفل الدائرة مرة واحدة ومرتين أخريين على جزء لنصب شوهته الكسور التي لم تسمح للباحثين بمعرفة الزخارف التي يمكن أن تكون قد عمت سطح النصب. والظاهر أن النجمة السداسية لم تكن من بين الرموز التي تعلو النصب [1].

بدوره يقر هوت كور (M. L. Hot cœur) في كتابه الأخير "الرمزية في العمارة الدينية" (Mystique et architecture) أن المثلث هو عبارة عن رمز شمسي، ثم أوضح بعد ذلك مشيرا إلى أنه في بعض الأحيان تختصر هذه الأخيرة في مثلث وقد وجد ذلك في كل من مصر وشمال العراق (الفترة الأشورية) وسوريا، وربما أن المثلث هو نموذج أيضا اختير كرمز للإله في الفن المسيحي [2].



رمز الإلهة تانيت والأجزاء التي يتكون منها في شكل مثلث يعلوه رسم كبش متجه إلى اليمين
الشـــكل رقـــم 35

---

[1] مادلين هورس، تاريخ قرطاج، ترجمة إبراهيم بالش، ط. منشورات عويدات، بيروت 1981، ص.ص. 100- 106.

[2] - L.Hot coeur Mystique et architecture symbolisme du cirle de la compole , Paris , Picard, 1954, PP. 34-46.

2- رمز الهلال والقرص في النصب البونية ومدلولاتهما:

إن ما يخص الهلال والقرص اللذين غالبا ما يوجدان في أعلى النصب الفينيقية البونية في المستوطنات الفينيقية البونية والمناطق المتأثرة بها يرمزان إلى الشمس والقمر وأن الدارس لا يستطيع فصلهما رغم وجودهما منفصلين في الرسم، وحسب وجهة نظر السيدة هورس ميدان (Hours- Medan) أن صورة الهلال مقلوب على القرص نجده غالبا في النصب القرطاجية البونية ونصادفهما في معبد الحفرة بقسنطينة وأحيانا تكون صورهما مقلوبة أي القرص يعلوه الهلال[1].

وتأخذ صورة الهلال والقرص عدة أشكال نشير إليها كالآتي:

أ. وجود صورة للهلال تقترب من القرص حتى تلامسه في الوسط، كما نجد أيضا صورة للقرص أسفل الهلال، وفي بعض الأحيان يكون الهلال والقرص متفرقين.

ب. أما الوضعية الثانية فنجدها أيضا تتمثل في صورة للقرص يكون موجودا في أسفل الهلال المقلوب وفي بعض الأحيان يعوض القرص (الشمس) بالنجمة الرباعية.

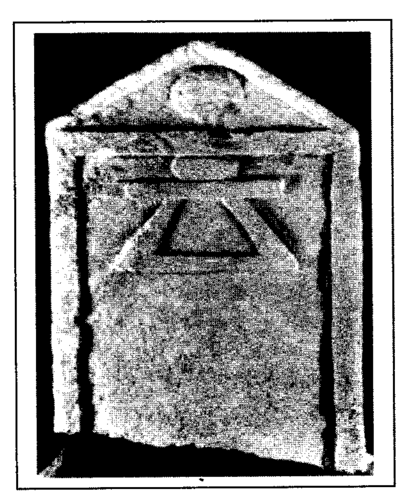
ج. نلاحظ أيضا في اللوحة رقم (XXIII B) وكذا اللوحة (XXIV D) من مجمع صور معبد الحفرة (Le sanctuaire punique d'El Hofra a Constantine) وجود قرص مشع[2]. (الشكل رقم 36 أ ب ص149)

د. وهناك العديد من الأقراص التي يوجد في وسطها إما نقطة أو قرص صغير مركزي

---

(1) - M. Hours Miédan , Les representation figurées sur les stèles de Carthage dans cahiers de byrsa, T. I, Tunis 1950, PP. 15 - 160.

(2) - A.Berthier et L'Abbé Charlier , le sanctuaire punique d'El Hofra à Constantine , art et métiers graphiques 1955, PP. 180-181.



أ- دائرة داخل مثلث تعلو رمز الالهة تانيت المؤطر داخل مستطيل



ب – يزخرف أعلى النصب قرص الشمس تنبعث منه أشعة وهو يعلو رمز الإلهة تانيت التي تلوح في وسط النصب وفي الأسفل منها تظهر بداية حقل الكتابة نصب بونية ترمز لقرص الشمس

الشكل رقم: 36

هـــ- ومن جهتها تحمل اللوحة (XIVD) من صور معبد الحفرة قرص مزخرف بما يمكن أن يشبه الصليب. (أنظر ب من الشكل 37 ص 151).

كما نشير أيضا إلى خاصيتين ظهرتا على نقش لقرص صغير يرمز للإلهة تانيت وهو محاط بصولجان وقرصين مشعين .

ومما يلاحظ أنه عندما تكون صورة الهلال وحيدة تكون نهايتاها إما إلى أعلى مثل ما وجد في اللوحة (IV A) (أنظر الشكل رقم.38 ص.153) من كتاب معبد الحفرة، وبالمقابل يمكن أن توضع صورة الهلال والقرص،سواء أكانتا مجتمعتين أو متفرقتين في أعلى النصب وتكون الصورة متبوعة في بعض الأحيان بالرموز التالية: مثلث، أو صولجان، زهرة ويكن أن تكون صورة نخلة أو جريدها، وقد وجد ذلك على ظهر بعض النصب التي عثر عليها السيد كوستا (Costa) والمحفوظة بمتحف اللوفر، وهي تمثل صورة لهلال مقلوب على القرص وقد وضع في أسفل رمز الإلهة تانيت المحاط بصولجان[1].

ومن جهتها تدعونا السيدة (هورس ميدان) إلى اعتبار القرص والهلال بمثابة كوكبين مختلفين يرمز الهلال فيهما إلى القمر ويرمز القرص إلى الشمس وأن أصلهما يعود إلى التاريخ البعيد بحيث يشمل منطقة جغرافية واسعة، تمتد حتى وادي الرافدين وبلاد كنعان أين كانا ركيزتين لنشأة الكون وبداية الخليقة منذ القديم، وأن رمزيهما يوجدان تقريبا على كامل آثار العالم المشرقي القديم منذ الألف الأولى قبل الميلاد. خاصة في فينيقيا، وهي صورة تعبر وبدون شك على أن الكوكبين عبدا في منطقة الشرق القديم وفي بلاد المغرب، ولكن لا يعرف المسافة التي تفصل بين القرص والهلال في معظم الصور وكذا الاتجاه الذي يأخذه شكل الهلال إما متجه إلى الأعلى أو إلى الأسفل أو إلى اليمين أو اليسار[2].

---

(1) - F. Bertrandy et Sznycer, Les stèles puniques de Constantine , Paris, 1987, PP. 15- 18.

(2) - M. Hours Miédan, Les représentations ..., PP. 27- 130.



رمز الإلهة تانيت وهي تحمل بيدها اليسرى صولجانا دلالة على القوة والتحكم

الشكل رقم: 37

حينئذ إذا كانت صورة الهلال تعبر عن القمر، فصورة القرص هي الأخرى تعبر عن الشمس إذا كانت محاطة بأشعة، كما نراها أيضا ترمز إلى صور الكواكب، لاسيما كوكب الإلهة فينوس (Vénus)، وبهذا المنظور يمكن أن تكون صورة الهلال والشمس من توابع الإله بعل حامون والإلهة تانيت بني بعل، وقد يجمع أحدهما بين الكوكبين أو يمكن أن تتوفر هناك ثلاث كواكب

(الشمس والقمر وكوكب فينوس)، يظهر ذلك جليا على النصب الذي يحمل حرف D في اللوحة XXIV من كتاب معبد الحفرة (أنظر أ من الشكل رقم 38 ص. 153). وهو يتمثل في صورة لشمس مشعة تحتل أعلى النصب، كما نجد صورة أخرى على نصب لشمس مشعة وضعت على يمين الصولجان، بينما وجد على يساره زخرفة بصورة قرص مشع[1].

3. رمز الإلهة تانيت في النصب الفينيقية البونية ومدلولاته:

إن الرمز الذي يسند بصفة عامة إلى الإلهة تانيت غالبا ما يتكون من ثلاثة أقسام نلخصها على الشكل الآتي:

1. القاعدة المكونة من مثلث يميل مظهره إلى الشكل الهندسي الذي يشير إلى المثلث أو المعين

2. الخط الأفقي الذي يعلو القاعدة في شكل أذرع بشرية ممتدة ترمز إلى طلب الخصوبة وإنزال المطر

3. القرص الذي يعلو الخـــط الأفقي وهو عبارة عن دائرة أو نقطة ضخمة. (أنظر حرف "أ" من الشكل 38 ص. 153).

ويلاحظ أن رمز الإلهة تانيت يكون مرسوما إما بخطوط بسيطة أو مضعفة وفي بعض الأحيان يكون محفورا على ظهر النصب يعلوه حقل الكتابة أحيانا، كما توجد صورة أكثر وضوحا لهذا الرمز على اللوحة XXIII (A, B من مجمع ألواح نصب معبد الحفرة (أنظر أ، ب، من الشكل رقم.38. ص. 153)، حيث نجد القاعدة محفورة على شكل حرف منحرف أما خطها الأفقي فهو عبارة عن خط مستقيم وقد وضع رمز الإلهة تانيت مصغر مع أتباعه في إطار مثلث على ظهر اللوحة (A XXII) (أنظر ج من الشكل رقم 38 ص. 154) من نفس المجمع المشار إليه، وهو يعلو قاعدة تشبه الهيكل، تتوسط الصولجان واليد تعلوهما زخرفة منكسرة، وقد رمز لشكل الإلهة تانيت في الصورة بشكل غير بسيط (مزدوج)[2].

---

(1) - A. Berthier et chalier (l'abbé) , le sanctuaire punique d'el hofra a Constantine ..., PP 180-181.

(2) - F.Bertrandy et M. Sznycer op. cit., PP. 55- 60.

وقد تكون قاعدة رمز الإلهة تانيت مستقرة على قاعدة مثلما أشرنا إليه أنفا في الصورة في اللوحة (XXII A) .(أنظر د من الشكل رقم.38. ص. 154) ويمكن أن يكون رمز الإلهة تانيت ملتصقا بعصا الصولجان إضافة إلى جريدة النخل، وذلك ما نلاحظه في الصورة B من اللوحة رقم XXV، الشيء الذي يجعلنا نتصور أن رمز الإلهة تانيت يشبه إنسان يرفع يديه إلى أعلى ويحمل بإحداهما عصا الصولجان وباليد الأخرى جريدة النخل وينتهي النصب بشكل هرمي.

أما ما وجد داخل رمز قاعدة الإلهة تانيت والذي يمثل قاعدة، فهو عبارة عن حلية سباعية مقلوبة تلوح فيها قرص الشمس مع سهم عموديا اللوحة (D XLIII) . (أنظر الشكل رقم 20 ص.154)



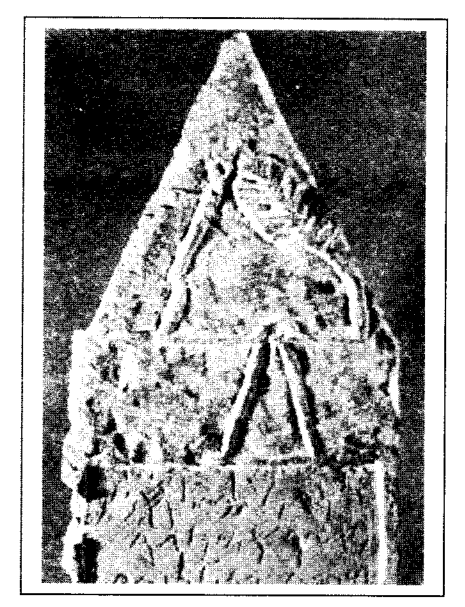
أ- رمز الإلهة تانيت داخل مثلث داخل يعلو ذراع يد



ب- قرص الشمس في شكل دائرة مثلث يعلو قمة رمز الإلهة تانيت



ج- واجهة برمز في شكل الحرف S اللاتيني وفي الأسفل منها يقع حرف الكتابة ثم زخرفة مكسرة



د- رمز الإلهة تانيت تمسك جريدة النخل باليد اليمنى والصولجان باليد اليسرى إشارة إلى القوة والخصوبة

نصب بونيه ترمز للإلهة تانيت

الشكل رقم: 38



صورة كبش يظهر داخل قاعدة مثلث لرمز الإلهة تانيت
الشكل رقم: 39

وفي نهاية البعض من تلك النصب المشار إليها توجد زخرفة مكسرة مثلما تشير إليه الصور (A, B, C) من اللوحة XXI.) (أنظر أ، ب، ج، من الشكل

كما توضح النصب القرطاجية مختلف الأمثال والزخارف الأخرى الموضوعة داخل مثلث القاعدة كالأوراق قلبية الشكل وأوراق اللوتس في رمز الإلهة تانيت في بعض النصب[1].

4 رمـــز سعفة النخـــيل في النصب القرطاجية والبونية ومدلولاتها:

تتوافر في نصب الحفرة أشكالا متنوعة من سعف النخيل بحيث أنها غالبا ما تحتل أعلى النصب مما يجعلها تؤثر في كثيرا من الأحيان على الهلال والقرص ونجدها أيضا تكون متحدة مع رمز الإلهة تانيت، وذلك إما أن تكون مرتبطة بها في نهايتها أو على يمينها أو يسارها وترسم بخط أفقي مثلما هو موجود في اللوحة (XII A) (أنظر الشكل رقم22 ص.41)، ونجدها مؤطرة بسعفتي النخيل ورمز القرص وهي غير الوضعية التي كانت عليها في النصب المشار إليه أنفا.

---

(1) - A.Ferjaoui, Recherches sur les relations entre l'orient phénicien et Carthage, éd. beît al-hikma , carthage, Tunisie 1991, PP. 106 - 107.



أ– زخرفة بيضوية الشكل تعلوها زهرة داخل مثلث فثي قمته يظهر الهلال وقرص الشمس وفي الأسفل منها يظهر رمز تانيت تتوسط اليد والصولجان



ب– مدخل معبد مؤطر بعمودين أيونيين منتهيين بتاجين



ج – مدخل معبد معزز بعمودين وزخرفة في شكل خطوط مكسرة وفي الأسفل منها يظهر رمز الإلهة تانيت تتوسط الصولجان واليد



د – رمز الإلهة تانيت تظهر يداها إلى الأعلى ممسكة بجريدة النخل والصولجان وفي الأسفل منها حقل الكتابة نفذ في شكل نحت غائر نصب بونية ترمز لسعفة النخيل

الشكل رقم: 41

ويلاحظ أن سعفة النخيل ترمز للنصر وقد كتب مارو Marrou أن سعف النخيل وورقة الرند كثيرا ما يجتمعان، وهما يشبهان في كثير من الأحيان التتويج بالنصر، حيث أنه عند رؤية ورقة الرند فإنه يتبادر في خيال كل إنسان قديم وبطريقة طبيعية فكرة النصر الإلهي ويرى المكانة التي تحتلها كل أنواع التسلية والألعاب في حياة البشر القدامى، وكيف أن النصر الإلهي لم يكن الشكل الأسرع الذي يتلقاه الإنسان في تفكيره[1].

غير أن جريدة النخل والتاج اللذين لم يكونا ممثلين دائما بدلا من ورق الرند لا يسمح بهما أن يرمزا وبكل سهولة إلى التعبير الذي يتلقاه المنتصرون في أنواع الألعاب والتسلية، وهذا المفهوم للنصر يبدو أنه معقد في رأي الباحث ديونة (Déonna) الذي كتب "أن النخلة وثمارها ترمز للنصر وقوة الإله ابولون" وبعض الألهة الأخرى وسعفة النخيل بدورها تقدم كهدية للمنتصرين في الألعاب وفي الحروب[2].

أما في الفن الجنائزي الروماني والمسيحي فإنهما (سعف وجريدة النخل) يرمزان لانتصار الميت في موته على الأرواح الشريرة في الحياة الأخرى الأبدية.

5. رمز الكواكب في النصب البونية ومدلولاتها:

يكون الكوكب سداسي الشكل وغالبا ما يحتل أعلى النصب ويعوض الهلال وقرص الشمس، كما توجد أيضا النجمة الخماسية أو الرباعية الشكل ويمكن أن تكون داخل دائرة أو دون تأطير، وقد تشبه الزهرة أو الوردة في بعض الأحيان، إلى جانب أنها يمكن أن تعوض رمز الصولجان إلى جانب رمز الإلهة تانيت، وفي بعض النصب توجد تحتها حروف بونية أو إغريقية.

---

(1) - F.Bertrandy et M.Sznycer, op. cit., P. 69.

(2) - W. Déonna, L'ex voto de cypselos , le symbolisme du palmier et des grenouilles dans revue de l'histoire des religions , T. C XXXIX 1995, P.186.

وفي هذا الصدد تشير الباحثة هورس ميدان أنه لا يجب أن نفكر فقط في كون النجمة أداة زخرفة محطة ولكن يمكن اعتبارها إشارة على إلهة تعبد مثلما كانت في العصور القديمة في فينيقيا الأم وخاصة في مدينة جبيل (Byblos) .
ومن جهته يذكر المؤرخ س.جزيل أن النجمة كانت صورة مصغرة تصدر منها أشعة مثل الشمس، وقد كانت الكواكب والقمر أكثر استعمالا عند البابليين والكنعانيين الساميين وأيضا عند الفينيقيين سواء أكان ذلك في الوطن الأم أوفي مستوطناتهم في الحوض الغربي للبحر المتوسط[1].

إضافة إلى ذلك يمكن أن ترسم النجمة على ظهر القطع النقدية، وربما ترمز لمدينة الشمس (تشميش) (Luxus) مدينة العرائش الحالية بالمغرب الأقصى، غير أنه يلاحظ في الساحل الكنعاني تحدث بعض التغيرات على صور النجوم حيث تأخذ مظهر قرص الشمس. تبرز منها أشعة .

ومن جهته يشير الباحث ديونة (Déonna) أن الزهرة هي الأخرى بوريقاتها ترمز هي الأخرى للشمس وأشعتها وتعتبر صليب كوني، والواقع انه منذ آلاف السنين كانت رسوم النجم منتشرة في العالم القديم وهي تشير على عبادة الكواكب من جهة ومن جهة أخرى اعتبرت زخرفة عالمية، سواء أكان ذلك في الشرق القديم أوفي وربا أوفي إفريقيا[2].

---

(1) - Hours (M.) , Les représentations figurées sur les stèles de Carthage dans cahiers de byrsa , T. 1 1950, P. 37.

(2) - W.Déonna , Les prototypes de quelques motifs aux ornement aux dans l'art barbar dans R. H. R., T. XXIII, 1916, PP. 185 - 202.

6. رمز الأسلحة في النصب البونية ومدلولاتها:

إن رمز الأسلحة التي ظهرت في بعض نصب الحفرة كانت قد شملت ثمانية نصب كانت أربعة منها تحتوي على كتابة والباقي خالية من الكتابة، فلقد ظهر الذرع المستدير والبيضاوي الشكل عدة مرات وفي بعض الأحيان يخترقه سيف أورمح ويمكن أن تكون إلى جانبه بعض الأسلحة. أما الخودة فنجدها قد ظهرت مرة واحدة فوق النصب وثانية فوق ذرع بيضوي الشكل .

وقد أخذت الدروع شكلا دائريا في أربع نصب وبيضاويا في ثلاث نصب أخرى، وكان يلصق بها في كثير من الأحيان دائرة (Umbo) بارزة في وسطها لاسيما في الدرع الدائري مثلما نلاحظه في الصور (أ، ب، ج، د) من اللوحة 18 (XVIII A, B, C, D) (أنظرأ، ب، ج، د من الشكل رقم 42 ص.162) وقد تكون عمودية بالنسبة للدروع المستطيلة نلاحظ ذلك في اللوحة 15 (XV D) وفي اللوحة 17 (A) XVII .(أنظر أ، ب من الشكل رقم 43 ص.163).

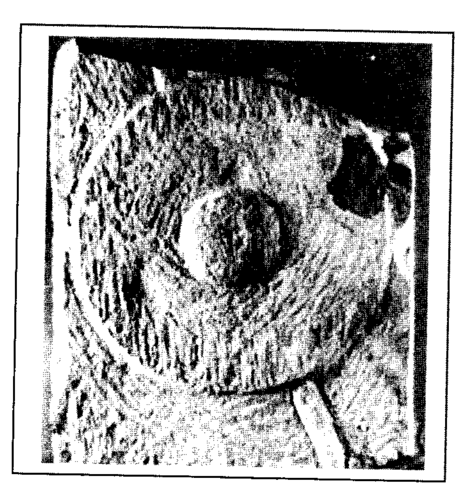
وحسب إشارة الباحث س.جزيل فإن الدروع ذات الشكل الدائري أكثر قدما من حيث الزمن من الدروع المستطيلة اعتمادا على أن هذه الأخيرة كانت قد صنعت على عجل فيما بين سنة (149 – 146 ق.م). لظروف أملتها الحروب البونية، ولقد أشار الرومان بعد وضع أيديهم على مدينة قرطاجة بعد سقوطها إلى أن معظم السيوف والسهام والدروع القرطاجية كانت ذات شكل مستطيل.

إذا كانت هذه المعلومات التي أوردها س. جزيل فإن القرطاجيين قد تركوا الدروع الدائرية واستعملوا المستطيلة إقتداء بالأيبيريين والغاليين. وقد وصلت إلى الرومان فيما بعد في شبه جزيرة ايطاليا، ثم استعملتها الشعوب التي كانت تقطن المنطقة فيما بعد، وقد نجد الدروع الدائرية المصنوعة من الجلد في يدي الأهالي الليبيين منذ بداية الفترة التاريخية. اعتمادا على ما ذكره س. جزيل الذي قدم لنا النصوص المتعلقة بليبيا والتي كتبها المؤرخ الإغريقي هيرودوت، ثم يعزز هذا

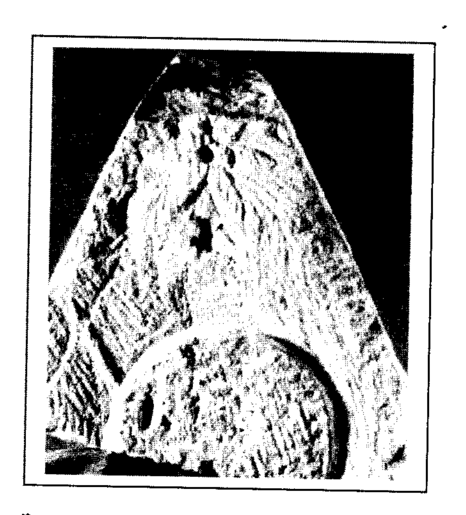
الرأي ما أشار إليه الكتاب القدماء الذين تناولوا الحروب البونية فيما بعد، وكانوا يطلقون على تلك الدروع أسماء مختلفة، فالإغريق والرومان يطلقون عليها اسم Caétera وربما المصطلح مأخوذ من اللغة الأيبيرية، ذلك لأن هؤلاء الأخيرين هم أول من استعمل هذا النوع من الدروع[1].

---

(1) - St. Gsell , Histoire ancienne de l'Afrique du nord , T. II, PP. 350 - 351.



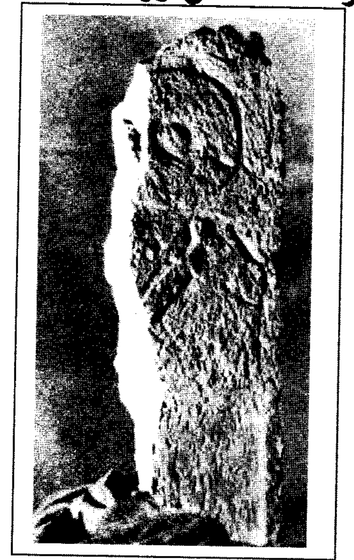
أ – درع مستدير تلوح في وسطه دائرة دائـــرة صغيرة بارزة ويخترقه سلاح



ب– رسم درع مستدير يخترقه رمح مزود بسهم يرى وقد هشم الـــربع الأسفل منه وفي الأعلى منه زهرة ذات خمس وريقات



ج– يلوح في الصورة الموجودة على ظهر النصب درع مستدير تظهر في وسطه الدائرة المعتادة وإلى جانبه يغرس سلاح

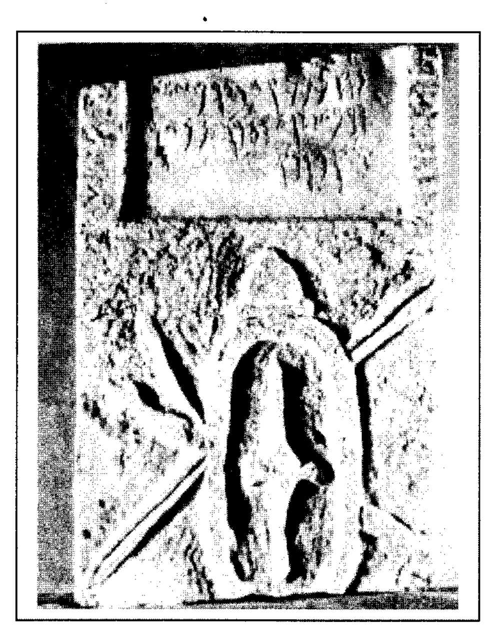


د– تبرز الصورة أعلاه درع مستدير مهشم الجزء الأيسر منه وفي الأسفل منه يلوح مقبض سيف وجزء منه

نصب بونية ترمز لأنواع متعددة من الأسلحة
الشكل رقم: 42



أ– درع بيضاوية الشكل نفذ بواسطة النحت البارز تتوسطه علامة تشبه الصليب



ب– رسم يظهر لنا درع بيضاوية الشكل تعلوه خوذة وتخترقه أسلحة
نصب بونية تدل على بعض أشكال الدروع والأسلحة
الشكل رقم: 43

أما فيما يخص صور السيوف فلقد ظهرت على أربعة نصب منها اللوحة (XVIII C D) (أنظر ج، د من الشكل رقم 42 ص. 162) واللوحة XVII A)، وهي تشبه تلك التي وجدت في دهليز وجد في أسفل صومعة الخروب بالقرب من قسنطينة[1]، وهناك بعض السيوف التي عثر عليها في النصب المشار إليها تشبه تلك التي توجد على المنهير التي عثر عليه في بوشان بالقرب من عين مليلة. (أنظر ب من الشكل رقم 43 ص.163).

وفيما يخص الرمح الذي يعتبر من الأسلحة القديمة فقد ظهرت صورة له على أحد النصب وكان مرافقا لدرع دائري وذلك ما تمثله اللوحة XVIII (A,B)، وهناك رمحان قد ظهرا على النصب التي وجدت في اللوحة 18 XVIII (D) (أنظر د من الشكل ص. 162) واللوحة (A) XVII من كتاب معبد الحفرة.

ويلاحظ أنه وجدت صورة وحيدة للخودة رسمت على النصب وهي ملتصقة بالدرع*البيضاوي الشكل الذي تبرزه اللوحة (A) XVII وهي مدببة حيث أنها تشبه تلك التي عثر عليها في ضريح الصومعة بالخروب هذا بعد المقارنة بينهما .(أنظر ب من الشكل رقم 43 ص. 163).

وفيما يخص مجموعة الأسلحة التي وجدت على النصب بصفة عامة فكانت تحتوي على دروع مستطيلة ورماح وخوذة ومجموعة أسلحة أخرى غير معروفة يمكن أن تكون مجلوبة من بلاد الشرق القديم ذلك لأنها كانت تشبه في كثير من الأحيان تلك التي يحملها الجنود التدمريون التي كانت هي الأخرى مدببة، وفي هذا الصدد يذكر الأثري باروا Barrois أن أسلحة وتجهيزات العبرانيين كانت تتمثل هي الأخرى في الأسلحة المشار إليها وكثيرا ما تتشابه مع ما كان يحمله المحاربون الكنعانيون، إضافة إلى الهروات التي كان يحملها حراس الملوك[2].

إن مصطلح السيناح Sinnah عند العبرانيين كان يعني الدرع الكبير الذي تطور عن الآشوريين الذين استعمله في المنطقة وكان يصنع من النحاس أو جلود

---

(1) -Bounelle, Monument gréco- punique de la Soumaa dans R. S. A. C., T. XLIX, 1915, PP. 167- 178.

(2) - Cocquerillat, Les masses d'armes d'après les textes dans revue d'assyriologie et d'archéol. Orientale , T. XLVII, 1952, PP. 132 - 133 .

الحيوانات وكذا القماش مزخرف بحراشيف من البرونز تشبه شكل الخوذة. والظاهر أن الجيش التذمري كان هو الآخر يملك ما يشبه تلك الأسلحة، ونلاحظ أن أكبر قسم من الأسلحة المصورة على نصب الحفرة تتقارب مع تلك الأسلحة التي عثر عليها مرسومة على أوابد ونصب الشرق القديم، وهي لا تختلف في شكلها على النصب الأربعة التي تحمل كتابات لا يشار فيها إلى صاحب مقدم النذر فيما عدا الأسلحة التي تحتل واجهة النصب، حيث تعوض كل أنواع الرموز الأخرى مثل رمز الإلهة تانيت والصولجان والهلال والقرص وبذلك يكون من الصعب أن نجعل تلك الأسلحة بسيطة، يمكن لصاحب النذر أن يقدمها غير أنه من المنطقي أن تكون لها علاقة قدوسية مع ما يوجد في النصب.

وحول موضوع الأسلحة كتب المؤرخ الفرنسي بيكار أنه من المفروض أن مجموعة الأسلحة هي بمثابة إشارة للألهة وقد يفسر ذلك صورة الإمبراطور قيصر مع مجموعة الأسلحة التي كانت قد رسمت على رأس سريره وهو يرتدي ألبسة دكتاتورية وبجانبها كتابة لاتينية (Genius caesaius)، كذلك نجد على القطع النقدية العائدة إلى الإمبراطور أوكتافيوس (أوغسطس) صورة لمجموعة أسلحة رسمت على معبد كان إفريزه يحمل كتابة إهدائية[1].

ولقد أشرنا فيما سبق عند حديثنا عن رمز الإلهة تانيت أن قوس وسهم كانا قد نقشا داخل قاعدة مثلث رمز الإلهة تانيت وفي أعلى النصب يوجد قوس منقوش مع سهم. وبذلك يمكننا أن نقول أن القوس قد لعب دورا كبيرا في الحروب، سواء أكان ذلك في الشرق القديم أو في بلاد المغرب. غير أنه نادرا ما توجد صور له في نصب قرطاجة، ويعيد س. جزيل الأقواس التي وجدت أمام Sélinonte والعائدة على سنة 407 أن ديودور الصقلي كان قد أشار إليها في الفقرة (13 – 57 – 7) وبذلك فإن الإشارة إلى السيوف التي وجدت في مقابر

(1) - G. Ch. Picard, Les religions préhelléniques (crête et Mycènes) coll. Mans , PP. 205 – 206 .

سواء أكان ذلك في قرطاجة أو صومعة الخروب يمكن أن يمتد استعمالها من القرن السادس قبل الميلاد حتى ما بعد القرن الثاني قبل الميلاد[1].

إذا كانت الأقواس قد استعملت في عصور ما قبل التاريخ فإن الرمح والأسلحة الأخرى الحقيقية للسكان المحليين في شمال إفريقيا مثل تلك التي أشار إليها المؤرخ الإغريقي أبيان Appian في فقرتين من كتابته فإن س. جزيل غير متأكد مما أشير إليه، وربما ترجع الرماح إلى أصل إفريقي محلي وهي غير تلك الأصناف الأثينية التي أشار إليها المؤرخ أبيان، وعليه يمكن أن يوجد رماة السهام في المنطقة المغاربية لكنهم ليسوا كثيرين ذلك لأن النصوص الحربية لإفريقيا التي تركها لنا كل من بوليبيوس وتيت ليف وسالوست وتاسيت وأبيان ثم روكوف وكوريبوس لا تشير في غالب الأحيان إلى تلك الأسلحة.

ويعتقد أن القوس قد ظهر في بداية الأمر كرمز للألهة في بلاد الشرق القديم فإن كتلة الأسلحة التي استحدثت وصورة على النصب كأسلحة معدنية قد لعبت دورا مهما في ديانة وحياة شعوب الشرق القديم، وفي هذا الصدد كتبت الباحثة كوكيريلا Cocquerillat أن التابع أو الرمز الخاص بشعار الملوك كان قد عمم في الفترة التذمرية، حيث ظهر أيضا فيما بعد عند أكبر الامبراطوريات لكن سلاح العصي والهروات والكتلة المعدنية كان لها جانب عقائدي خاصة بذلك نرى صورها تلوح على التقديمات أو النذر التدمرية ضمن القائمة المهداة للإله مردوخ الذي يعتبر أول ملوك الأسرة البابلية وأن وظيفة الأسلحة المشار إليها مهمة جدا لدرجة أنها استعملت للإشارة إلى سير مهرجانات الاحتفالات السنوية. غير أن التدقيق في تلك التظاهرات الاحتفالية لا تزال تفاصيله غير محددة جيدا والذي نعرفه منها فقط هو أن تلك العصي والهروات والكويرات المعدنية كانت منسوبة في استعمالاتها إلى الجيش الأشوري الذي كان يرابط بنينوة وبابل. ويمكن أن نعتقد أيضا على وجه الخصوص أنها كانت مصطفة على

---

(1) - G.Ch. Picard, Le trophé augustéen de la turbie dans revue archéologique , T. XXXIV, 1945, P. 155.

أبواب مقصورات الألهة وحسب وظيفتها فإنها تعد مثل بقية رموز الألهة التي كانت تزين تماثيلها بهذا النوع من الأسلحة[1].

ومن جهتها تشير الباحثة الأنفة الذكر أن كتلة الكويرات المعدنية يمكن أن تمثل الآلهة المقدسة.

كما يبدو تقديس الأسلحة العسكرية التي وضعت في أعلى النصب والتي يكون من ضمنها البوق الذي له هو الآخر دورا دينيا[2].

وقد عبر المؤرخ بيكار أن رمزية العرش الملكي تتقارب من رمزية الأسلحة، إذ يمكن أن نعتقد أن هذا النوع من الأسلحة بقي مرتبطا بالذاكرة وذلك مثل انتشار الدروع وزخرفتها في المعالم الأثرية خاصة الدينية منها، وهذا الدور لا يعتبر فقط زخرفي محض ولكن هو رمز لبقايا الديانات الوثنية التي كانت تمارس حينذاك

7. رمز الحيوانات في النصب البونية:

الحيوانات التي تظهر في النصب بدورها غالبا ما تتمثل في الحصان، الثور، الكبش والدلفين.

أ- رمز رسم الحصان:

ظهرت صورة الحصان ثلاث مرات على نصب معبد الحفرة المحفوظة في متحف سيرتا، وكذا على نصب من بين التي اكشفها كوستا والمحفوظة في متحف اللوفر ووهي تحمل رقم 93 وأفضل صورة للحصان هي تلك التي يظهر فيها هذا الأخير يشبه الصورة التي ظهرت على القطع النقدية النوميدية، وقد صورت كذلك على نصب قرطاج .

وفي رأي الباحثة هورس ميدان أن تجسيد الفارس على ظهر الحصان يعتبر أكثر شرف وأهمية للقرطاجيين والنوميديين، وربما هذا ما يجعل تجسيده على ظهر العملة في فترة الملوك النوميديين[3].

---

(1) - Coloquerillat , Les masses d'armes d'après les textes dans revue d'assyriologie et d'archéologie orientale, T. XLVI, 1952, PP. 121 - 136.

(2) - Ibid, PP. 129 - 131.

(3) - M.Troussel , Le trésor monétaire de tiddis, dans R. S. A. C., T. LXVI, 1948, P. 154, Pl. V; Gandolophe P. a propos d'une monnaie du musée de Constantine, dans cahiers de byrsa, 1951, PP. 161 -174.

يمكن أن نشير إلى أن الحصان يتبع الرموز الإلهية وظيفته الحصان من بين النذر التي تبدو على مثلما تظهرها القطع النقدية لقرطاج ولإفريقيا تعتمد في زخرفتها على رمز الحصان المرفق برموز مختلفة مثل الصولجان، وزهرة النصر وشجرة النخلة وسعفها ثم الهلال والقرص ورمز الألهة.

غير أننا نجد العديد من القطع النقدية الأسبانية والغالية والتي تبرز عدة أحصنة كان أصلها من قاوم شرق سجل الباحث بلوش Blochet يجب رفع النظر في القطع النقدية والتي غالب ما كانت مستحيلة من إيران، وعندها نجد أن العلاقة بين غالبا والشمال الشرقي الفارسي كانت حاضرة بكثرة[1].

درس الباحث بايث Bayet صورة الحصان على القطع النقدية البونية واستخلص أنه رمز ديني وذهب إلى ابعد من ذلك حيث أعتبر الحصان رمزا لإله البحار أو الشمس وقد يكون أيضا لإله الحرب[2].

بعض القطع النقدية النوميدية تحمل فوق ظهرها صورة حصان يجري نحو اليسار والبعض الأخر يمكن أن يبرز رأس لحصان فقط عادة سومارية ويمكن أنها وصلت إلى المنطقة إما عن طريق الإلهة أو أشخاص مرتبطين بصور مقدسة وحتى تكون لديكم نظرة أوسع، فما عليكم إلا أن تتفحصوا العديد من الصور التي أنتجتها الباحثة دونتين Danthine[3] على النخلة. نفس إدارة الشعر التي قد تبنوها البونيين عن طريق الفينيقيين، كما أن رمز الحصان كان يمثل (بعل) حدد وقد وجدت رسومه على العديد من نصب أوغاريت وصففوا شعره على الشكل الدوري.

أما صورة الرأس وحده، فجعلوها على شكل مظهر إنساني تشير إلى رمز الشمس.

دور الحصان في المعتقدات الشمسية والذي يكون بعيدا كل البعد عن صورة الشمس، وظهرها.

---

(1) - E.Blochet, Etudes sur l'histoire religieuse de l'Iran ,L'ascension au ciel du prophète Mohamed dans R. HR. 1899, PP. 218 - 146, fig. 46 , 57, 87.

(2) - J. Bayet, L'omen du cheval à Carthage dans revue des études latines XIX, 1941, PP. 116 - 190.

(3) - H.Thanthine, Le palmier dattier et les arbres sacrés dans l'Iconographie de l'asie occidentale ancienne, Paris, Guethmer 1937, PP. 132 - 141.

ومن الملاحظ أن النقود النوميدية عادة ما تحمل على ظهرها صورة الحصان، إلا أنه يستبدل في بعض الأحيان بفيل مثل القطعة الفريدة لماسينيسا والذي نقرأ عليها عبارة مسنسن وكذلك بعض القطع النقدية ليوبا الأول.

أما ما يظهر على نصب قرطاج فإننا نجد الفيل غالبا ما يرسم تحت رمز الألهة تانيت ويحتل كامل إطار الكتابة والصولجان يكون مغروسا على رأسه وهي ظاهرة للتقديس والفيل أيضا على ما يبدويظهر أنه عبارة على رمز شمسي، من هذا المنطلق نلاحظ الباحث قوي Guey في دراسته حول فيل الإمبراطور كركلا كتب يقول أنه إذا أخذنا التقنية المشار إليها أنفا نجد أن الفيلة تستعمل كعربات للإمبراطور، كما أنها كانت قربانا لإله الشمس في القديم وذلك لما يحمله هذا الحيوان من مزايا كأصله البعيد مثل أقدميته في منطقة شمال إفريقيا وجسمه الضخم وطول عمره ومقاومته لتقلبات الطبيعة وبذلك أصبح من أروع الحيوانات، إننا لسنا مجبورين هنا أن نجد الصفة الشمسية بمعناها الواسع. وفي الواقع أن كلمة التقديس عبارة معنوية أكثر منها فعلية وأنها تتمثل في بعض الأحيان في الإشارة إلى الآلهة وهذا هو معناها الأكثر تدقيقا وعلوا[1].

أما عن المعنى الكوني الميتافيزيقي والذي يتماشى مع مصطلح Céleste بالمعنى الإمبراطوري فيتمثل في الحصان الذي يؤخذ حيوان، وحول هذا الموضوع يذكر الباحث كومو Cumont في الميثولوجية أنه كان يقدس بيجاس (Pégase) للشمس والحصان على العموم ليس مجنح[2].

أما عند السامين الذين عرفوا أيضا الحصان الذي كان حيوانا يعبد كما أشير إليه في كتاب العهد القديم حيث أن الملك Iosias كان قد ضيع الأحصنة التي كان ملوك اليهود قد نذروها للشمس.

إن الأعمال الحديثة حول سباق الخيول، جاءت كتأكيد لأهمية الحصان رمز الشمس وفي هذا الصدد كتب الباحث بيكار عن ألعاب السرك في أعين القدماء حيث أكد على أنها كانت تقدم صورة للفارس كتعبير عن الطبيعة، أما انتقال

---

(1) – J. Guey, Les éléphants de Caracalla, dans revue des études anciennes , T.XLIX, 1947, P. 254.

(2) –F.Cumont , Lux perpetua, XXI, P. 415.

العربات فيعني انتقال الكواكب كما يعبروا عن فصل من الفصول. وكان سائق العربة المنتصر يعبر عن الاعتقاد أنه سائق عربة خيل الآلهة.

وفي القرن الخامس والسادس الميلادي نجد أن الفن المسيحي القبطي، قد تأثر في بدايته بالديانات السابقة التي ظهرت في داخل آسيا، حيث قام الإمبراطور قسطنطين بإنشاء معلم بالقسطنطينية ينصر فيه المسيحية تحت مظهر Hélios والإله هورس بالحصان أصبح نموذج للفارس المقدس في الفن القبطي(1).

غير أن الباحث بيكار في كتابه "الديانة في إفريقيا" يشير إلى قطعة من نصب وجدت في قرطاج يظهر الفارس يحمل علامة وختم أخر اكتشف في متحف La Viari سابقا، يوضح الإله الفارس مسلح برمح واليد اليمنى مرفوعة طالبة المباركة ويجب أن نتحقق من الفارس البوني ذاته يشير إلى الإله(2).

ب- رمز رسم الثور:

تكاد تكون صورة الثور معدومة على نصب معبد الحفرة لم تظهر إلا على نصبين فقط الأول رسم بخطوط دقيقة ظلية ومضغوطة وقد ظهر أيضا أنه كان على نصب تلك التي اكتشفها كوستا سنة 1875، أما النصب الثاني فكان يحمل رأس ثور منقوش على جبهة النصب.

وأشارت الباحثة هورس ميدان إلى وجود العديد من رؤوس ثيران كانت قد احتلت واجهات نصب قرطاج. وحس التحليل نجدها غير متأكدة ما إذا كان نفس الثور الذي وجد على الشواهد الجنائزية وهذا يشير الأهمية الحيوان في بلاد الشرق القديم الذي كان الحصان فيه رمزا للإله فهو حينئذ يرمز للقوة الإلهية كما أن ظهوره مع الكبش يذكرنا بالتضحية الحيوانية.

ويظهر أن الثور حيوان يرمز للإله وربما توجد أيضا تفسيرات أخرى لوجوده على النصب. وقد أوضح الباحث ديسو Dussaud بأن الإله بعل حامون والإلهة تانيت بن

---

(1) - G. Ch. Picard, Le couronnement de vénus dans mél. Rome , T. LVIII, 1941-1946, PP. 90 – 91.

(2) - G. Ch.Picard, Les religions de l'afrique antique, Paris , Plon, 1954, PP. 53 – 55.

بعل لم يكونا قد ظهرا من قبل للذين عرفا قبل ذلك هما الإله آيل وقرينته آيلة ويعتقد أن اسمها أيضا عشتارت التي تعتبر آلهة الأمومة[1].

أما عن رؤوس الثيران التي توجد على ارض كنعان ربما تكون أصنام، حيث كتب الباحث فانس Vincent أهْا توجد في نفس المكان في بقايا التنقيب، كما وصف أيضا تمثال لثور مقولب من الفخار يظهر بعينان وهاية أذنين عاليتين ونحس من خلال ذلك أن الحرفي أراد إبراز إحساسهم في تجسيدهم...ويمكن أن نعطي لهذا الثور اسم الإله بعل أو ملوش مثلا، وحتى أن هيئته ترجعه للفترة الهيلينية[2].

ج- رمز رسم الكبش:

ظهر الكبش فيما لا يزيد عن تسع مرات على نصب الحفرة وكثيرا ما كان يتجه نحو اليسار (سبع مرات) واثنين كان يتجه فيها نحو اليمين، وكانت المواقع التي احتلها رسم الكبش على ظهر النصب مصنفة على الشكل الأتي:

- بدا رسمه في أعلى النصب فوق رمز الإلهة تانيت.
- يظهر في وسط رمز القاعدة المثلثة التي هي من مكونات رمز الإلهة تانيت.
- كما وجد أيضا داخل معبد طومبال Temple، وفي رسم آخر يظهر على جانبه الأيمن صولجان.
- أيضا يلوح منقوشا في أسفل رمز الإلهة تانيت والصولجان الذي يوجد على يمينها مثلما يظهر في اللوحة (XXVII A) . (أنظر الشكل رقم 44 ص 172).

---

(1) - Dussaud (R.), Les découvertes de ras shamra Ugarit et l'ancien testament, paris, Guthners, 1941, P. 193.

(2) - R. P.Vincent, Canaan d'après l'exploration récente, Paris , Gabalda 1907, PP 169- 170.



رسم كبش متجه نحو اليسار يعلوه رمز الإلهة تانيت وعلى يمينها صولجان ويتصدر واجهة قمة النصب هلال معكوس متجه إلى الأعلى ترى في وسطه قرص الشمس

الشكل رقم: 44

وقد يظهر رمز رسم الكبش في صورة معاكسة للتي أشير إليها سابقا أي يظهر رمز الإلهة تانيت وعلى يساره الصولجان والكبش في هذه الحالة يظهر بينهما داخل الكتابة التي نقشت على ظهر النصب الأملس في الأعلى مثل ذلك يظهر في اللوحة (XXVII C) من مجمع معبد الحفرة[1].(أنظر الشكل رقم 45 ص. 174).

كما يظهر رسم الكبش محفور داخل الإطار بدون كتابة في بعض النصب

وقد بدا على ظهر نصب داخل إطار تحته خطين لكتابة لاتينية مهداة للإله ساتورن، وفي هذا الصدد تشير الباحثة هورس ميدان بعد تناولها لموضوع الكبش، فإن هذا الأخير يبدو أنه كان حيوان مقدس في الديانات القديمة، غير أنه عكس وجهة النظر هذه يجب أن نسجل أهمية تصوير الكبش الذي يظهر كرمز أكثر أهمية، لاسيما في الخصوبة وتلقيح القطيع لدى الإنسان القديم الذي كان في كثير من الأحيان يؤله النفعية الاقتصادية، ويمكن أن نسجل بعض الخصوصيات التي تترك لنا أن نتخيل أن الكبش حيوان يرمز للآلهة، ويتمثل ذلك في[2]:

أ- ظهوره في أعلى النصب يعطيه مكانة مرموقة.

ب- وجود الكبش والصولجان على النصب يدلان على علامة القوة والقداسة لدى العباد

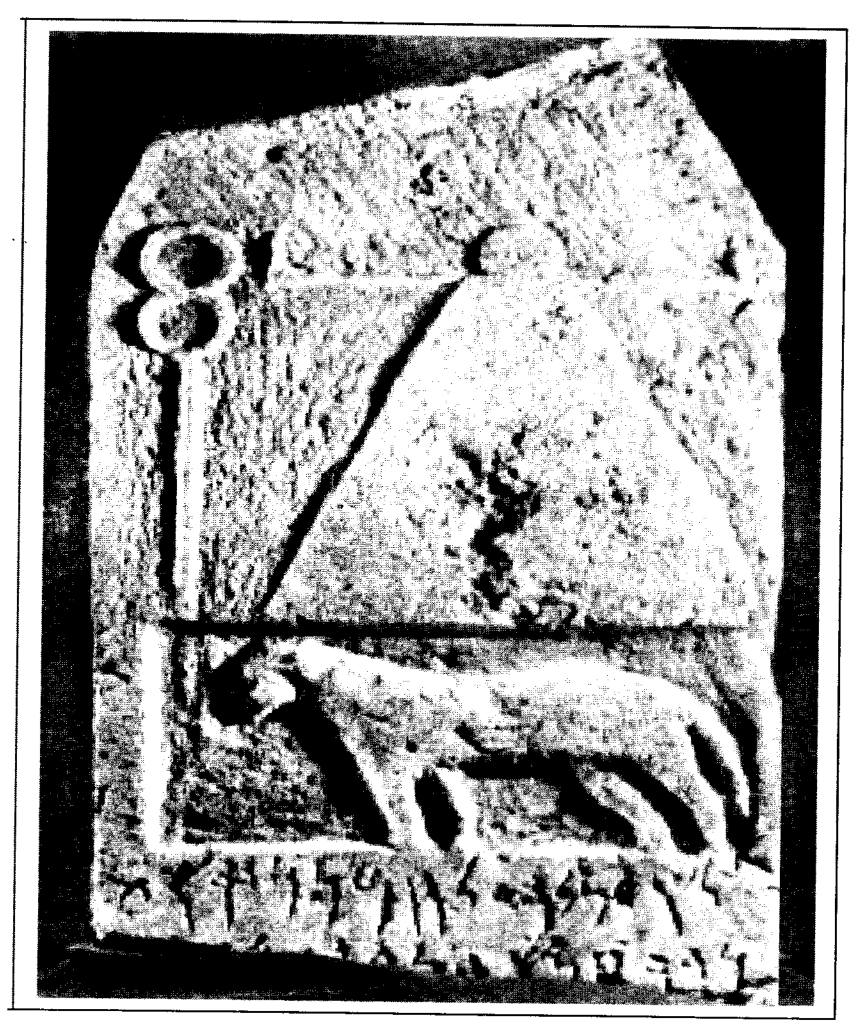
ج- قد تظهر صورة الكبش في قاعدة رمز الإلهة تانيت مما يدل هوالآخر عن طريق فكرة القداسة الأنفة الذكر لدى الإنسان القديم.

د- إن رسم الكبش بباب المعابد الذي يكون محاطا بالأعمدة يشبه رسم الإله في هيئته الإنسانية الكهنوتية، وغالبا ما يكون هذا الأخير متوج بين عمودين يؤطران بوابة المعبد.

---

(1) -M.Hours Médan, op. cit., P. 32.

(2) -St.Gsell H. A. N. A., T. Ivm, PP. 284 - 285.



رسم لكبش يقف متجها نحو اليسار يعلوه رمز الإلهة تانيت وعلى يسارها غرس صولجان وفي أسفل الكبش تظهر كتابة بونية خارج حقل الكتابة
الشكل رقم: 45

إن الكبش في كثير من الأحيان يتبع الصولجان الذي يحاذي رسم الإلهة تانيت، حيث يصبح موضوع الرسم ثلاثي العناصر.

إذا كان مدلول الكبش هو رمز للإله بعل حامون الذي حل محل الإله إيل المشرقي فإنه يمكن لنا أن نتساءل ما إذا كانت فكرة تأليه الكبش يمكن أن تكون هي الأخرى آتية من المشرق ومن بلاد كنعان بالذات.

ومع ذلك فإن عبادته في شمال إفريقيا تعود إلى فترة الرسوم الصخرية التي يؤرخ لها بالعصر الحجري الحديث، حيث أننا غالبا ما نرى الكبش تعلورأسه دائرة تشير إلى قرص الشمس[1].

وبما أن بعل حامون كان أكثر تقديسا خاصة في سيرتا فذلك يجعلنا نفترض أن الفينيقيين كانوا قد تبنوا الإله الليبي آمون الذي عبد في واحة سيوة مثل عبادة الإغريق للإله"زيوس" .

حينئذ هل التشابه أو الصدفة هي التي ساعدت على وجود تلك العبادة وعلى الفرضية التي استنتجها فيما بعد الباحثون. والتي مؤداها أن آمون الليبي هو آمون رع المصري الأصل ومع ذلك فالفرضية تبقى مفتوحة! .

إذا كان بعل حامون بقسنطينة له علاقة بما أشرنا إليه أي بالشمس، وذلك لأن هذه الأخيرة رسمت كقرص مشع وأن رمزها عبارة على علامة تكون دائما تابعة أوفي وسط الهلال، والاثنان معا يشبهان حرف "S" اللاتينية أو الصليب الكوني وكذا الكوكب ذو الأشعة والحصان الشمسي فتلك كانت عبادة متوغلة في القدم. ومن بين حاملي التعويذات التي اكتشفت رسومهم في قرطاج كان الكثير منها تحمل رؤوس كباش والبعض الآخـــر يعلوها رأس أسد رمـــز الإلهة سوخيت Sokhit أوBasti وهـــذه التعويذات تعتبر أعلى مرحلة لتطوير رمز الإلهة تانيت التي كانت تقوم بالدور الواقي للبشرية من الأمراض وليس فقط في الجانب التعبدي، لكن أيضا من حيث التأثير الذي يكمن في نص التبرك المقدس أو ترتيب النقاط على الشريط الداخلي الذي يكون قاعدة الإلهة تانيت وعليه يمكن أن نؤكد إلى أن الكبش ليس حيوانا للتضحية فحسب ولكنه رمز للآلهة المقدسة[2].

---

[1] محمد الصغير غانم، مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، مطبعة دار الهدى، 2003، ص. 110، الشكل رقم 47، أ.

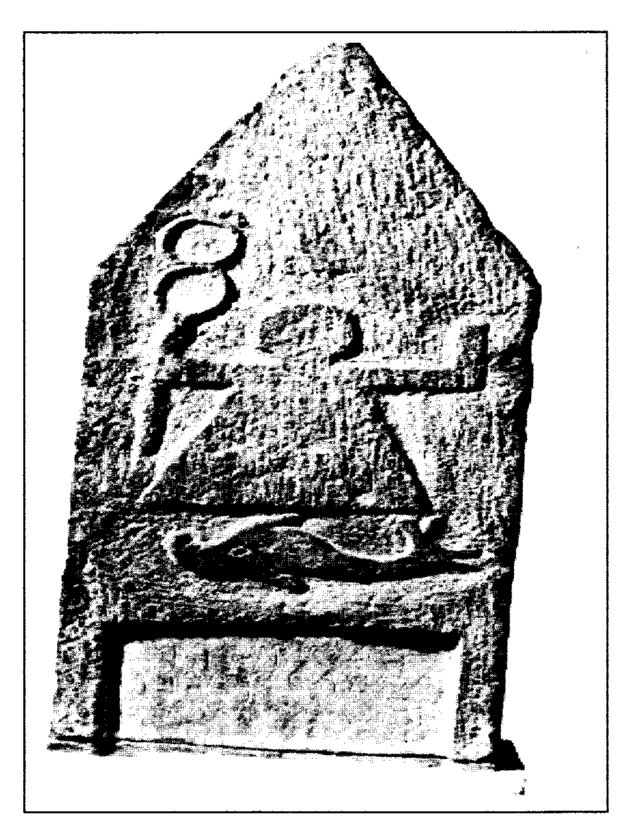
[2] - E.Vassel, études puniques IX les animaux des stèles de Carthage : le Bélier dans revue tunisienne, 1919, PP. 175 - 185

د- رمز رسم الدلفين:

إن رسم صورة الدلفين التي تكاد تكون معدومة في كثير من النصب ذلك لأنها لم تظهر إلا على نصب واحد أواثنين اكتشفا ضمن مجموعة الباحث الايطالي كوستا التي جمعت سنة 1875 . وكان رسم الدلفين في منتهى الجمال حيث ارتبط موضوعه برمز الإلهة تانيت والصولجان، ورغم أن الدلفين قد ظهر في العديد من نصب مدينة قرطاجة إلا أن السمكة هي الأخرى تعتبر من أقدم الرموز الخاصة بالآلهة، وهذا وفقا لما ذكره الباحث كومو الذي يشير إلى أن السمكة كانت هي الأخرى تقدس ومما لا شك فيه أنها تعبير عن أصلها القديم الذي كان يشار إليه في تناول الإنسان لتشخيص الحياة الطقوسية والاقتصادية، ذلك لأن الإنسان كان يتغذى على هذا النوع من المخلوقات، لاسيما تلك الموجودة في الأنهار، ويعتقد أن هناك قدرة غريبة تقف أمام لمسه، حيث تعاقبت الآلهة بتغطية جسم الأسماك[1].

ومما يلاحظ أنه في بعض المواقف الدينية الصرفة فإن تقديس السمك من قبل الكهنة وخدام المعابد كان الاعتقاد وراءه أنهم يلمسون جلد الآلهة. هذه الظاهرة نجدها منتشرة كثيرا في بلاد كنعان حيث استنبطوا منها في الفترة المسيحية رمز الآلهة المقدسة[2]. (أنظر الشكل رقم 46 ص. 177).

(1) - F.Cumont, op. cit., PP. 139 - 14 3.
(2) - Ibid, P. 113.



رسم لنصب يحمل صورة دالفين متجه نحو اليسار يعلوه رمز الإلهة تانيت ممسكة بصولجان في يدها اليسرى وفي الأسفل منه يظهر حقل الكتابة الذي خطت به كتابة بونية وهو يرمز إلى القداسة والتعبد

الشكل رقم: 46

لقد سجل بيكار يقول: "أن الدلفين حيوان شمسي ينتمي للإله الإفريقي الأكبر الذي لاشك انه يشير إلى الشمس، وأن مثل هذا الرمز كان في مصر يرمز للسيد الفرعون أو الكاهن أو الملك" (1).

يمكننا في نهاية هذا الموضوع أن نشير إلى أن إبراز معالم تاريخنا وتراثنا الممتد في أعماق التاريخ يحتاج إلى تضافر جهود الباحثين وتبادل المعلومات فيما بينهم حول هذا الكيان المعنوي المشترك الذي يهمنا جميعا.

---

(1) - G. Ch. Picard, op. cit., PP. 95 - 112.

-الخـــــاتمة

تتميز فترة فجر التاريخ ببلاد المغرب، بأن أغلب معالمها الأثرية هي في الواقع عبارة عن معالم جنائزية، تتمثل في القبور الميجالتية ممثلة في الدولمن والبازينات، أو في الأشكال المتطورة والمتمثلة في الأضرحة الملكية ذات البازينات الأسطوانية كضريح المدراسن الضريح الملكي الموريطاني أو ضريح الغور بالمغرب. وكذلك البازينات المربعة والمتمثلة في الجدار.

ولعل ارتباط دراسة طرق الدفن وأشكاله فضلا عن الأثاث الجنائزي بفترة فجر التاريخ يضفي أهمية كبيرة على هذا الموضوع. فهي تعتبر من أهم المصادر المادية لدراسة ذهنيات هذه المجتمعات، كما لا تسمح لنا بالوقوف على جوانب من الحياة الدينية فحسب، بل يمكن من خلالها دراسة الجوانب المادية والسياسية أيضا.

وتحتاج دراسة هذا الموضوع إلى تنقيبات أثرية بالدرجة الأساسية، ثم جرد الأثاث الأثري المكتشف وفق منهجية علمية دقيقة، حتى تكون الاستنتاجات علمية، بعيدة عن أية مزايدات إيديولوجية. إلا أن انعدام أية دراسة وطنية واسعة النطاق جعلت مصادر ومادة هذا الملف ترتكز على مخلفات المدرسة الاستعمارية وما عقبها من دراسات فرنسية. الأمر الذي يجب مراجعته واستكماله ميدانيا عن طريق حفريات علمية حديثة.

ومن خلال دراستنا لبعض جوانب هذا الموضوع فقد سجلنا بعض الملاحظات أهمها:

- تنوع المعالم الأثرية الجنائزية، حيث نجد البعض عبارة عن غرف محفورة في الصخر –الحوانيت- والبعض الآخر مبني بأحجار ضخمة – قبور الدولمن- فضلا عن القبور الميجاليتية المتعددة الغرف. إلى جانب قبور على شكل أبراج مستديرة – الشوشة- أو على شكل بناء هرمي يغطي الضريح –البازينا-، هذا فضلا عن القبور الضخمة والتي تحمل اسم الأضرحة الملكية.

وإذا ركزنا على موضوع الأضرحة الملكية بين قائمة المعالم الجنائزية التي تعود إلى فجر التاريخ، فمن جهة لتفادي تكرار المعالجة مع الزملاء، ومن جهة أخرى لقناعتنا بأن هذه النماذج المعمارية تشكل نتاج ركام حضاري يعود إلى

نهاية العصر الحجري القديم، ويرتبط ببداية التاريخ، بل يمتد في أعمق مراحله، ربما حتى وقتنا الحاضر – مثلما هو متوفر في إصرار غالبية سكان بلاد المغرب العربي حاليا على وضع إناء ماء، كوب أو زجاجة أو قارورة دواء...الخ، على قبر الميت بدون تبرير منطقي أو ديني لهذا السلوك-

إذا كان المدراسن يستمد أصوله من التقاليد البربرية لفجر التاريخ عموما، أو بعبارة أوضح من البازينات ذات القاعدة الأسطوانية والتي نجدها في أغلب مقابر الشرق الجزائري خاصة. فمن دون شك إن إنجازا بهذا الحجم كان يحتاج إلى إمكانيات أكبر من الأضرحة السابقة الذكر، وأنه لم ينجز إلا لملك أو عائلة ملكية. كما أنه يبقى مرتبطا بأحد مراحل تطور المملكة الماسيلية والتي تكرس لنا المقابر المتعددة – في منطقة الشرق الجزائري خاصة –كالركنية وعين العربي وبونوارة وغيرها. ومن حيث الطابع المعماري البربري الذي حافظ على نفس المعالم المعمارية المتواجدة في البازينات ذات القاعدة الأسطوانية، بالإضافة إلى الساحة المبلطة من الناحية الشرقية الأخرى خاصة منها المصرية من خلال الحلية Gorge المصرية وكذلك الأبواب الوهمية.

وبالتالي يمكن القول أن بناة المدراسن قد استوعبوا جيدا الجوانب الحضارية الفينيقية والتي ندجها مجمدة في العديد من النصب ما بين القرنين 6 و 5 ق.م وحفاظهم على تقاليدهم البربرية العريقة.

وإذا كان من الواضح أن ضريح الصومعة هو أحدث عهدا من المدراسن. ويبدو ذلك خاصة من خلال مواصفاته المعمارية ومخلفاته الجنائزية. فإن اقترابه من العاصمة سيرتا يؤكد من دون شك طبيعة التطور الذي عرفته المملكة الماسيلية خلال القرن الثاني ق.م. خاصة إذا سلمنا أن منطلقات الدولة الماسيلية الأولى كانت حول المدراسن وذلك في شكلها القبلي، في نهاية القرن الرابع ق.م. وبالتالي عندما توفرت الشروط الملائمة لتكوين الدولة، انتقلت بعد ذلك إلى سيرتا لتظهر في شكلها الملكي، والذي عرفت به منذ القرن الثالث ق.م.

فهرس المصادر والمراجع

قائمة المراجع باللغة العربية

- **أحمد حميدة:**

– المدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 1995.

- **أرنولد توينبي:**

– تاريخ البشرية، ت. نقولا زيادة، الجزء الأول،المكتبة الأهلية للنشر والتوزيع بيروت1981.

- **أ.أ. إدوارد:**

– أهرام مصر، ترجمة مصطفى أحمد عثمان، لجنة البيان العربي، القاهرة، 1982.

- **ك. براهيمي:**

– تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر، ترجمة محمد البشير شنيتي بوريبة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.

- **رشيد الناضوري:**

– المغرب الكبير، ج.1 ، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1966.

- **عبد الرحمن ابن خلدون:**

– كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر...دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1962.

- **علي قرباني:أو قربابي**

- العمران والمقابر في فجر التاريخ بنوميديا الجنوبية، حوليات وزارة الثقافة والاتصال الملتقى الأول للبحث الأثري والدراسات التاريخية، باتنة، سنة.1993.

- **محمد البشير شنيتي:**

– الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ط. ديوان المطبوعات الجامعية، 1999.

– تاريخ الجزائر في القديم من خلال المصادر الفرنسية، مجلة التاريخ، عدد رقم 20، 1985.

▪ محمد حسين فنطر:

– تونس أرض اللقاء، أرض الحضارة دليل المعرض الأثري، اشبيلية، الوكالة القومية للتراث المعهد القومي للآثار والفنون، 1992.

– حول المدافن في المغرب الكبير قبل الغزو الروماني، مجلة إفريقية سنة 1985.

▪ محمد الصغير غانم:

– مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، مطبعة دار الهدى عين مليلة، 2004.

– قسنطينة عبر تاريخها القديم، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، العدد 12، 1999.

– التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، رسالة دكتوراه الدرجة الثالثة، نوقشت سنة 1981.

▪ مادلين هورس:

– تاريخ قرطاج، ترجمة إبراهيم بالش، ط. منشورات عويدات، بيروت، 1981.

– قائمة المراجع باللغةالأجنبية:

- A -

▪ **AB CAHEN ET LE GRAND RABBIN (M.):**
- Rapport sur le Madrecan dans R. S. A. C. T. 16, 1873.

▪ **ALQUIER (J.):**
- L'âge des tombeaux Mégalithiques d'Ain El- Hammam, A F. A. S. , 1927.

▪ **ARAMBOURG (C.):**
- L'homme avant l'écriture, Paris.

- B -

▪ **BALFET (H.):**
- La poterie de Ait Smail du Djurjura, rev. Afri. , T. XCIX, 1955.

▪ **BALLOUT (L.):**
- Préhistoire de l'Algérie, éd. A. M.G., Paris 1958.
- Les hommes préhistoriques du Maghreb du sahara 1954, Gisment, N°53.
- Découverte d'un squelette humain préhistorique dans la région de Tebessa, bull. de la soc. d'hist.nat. de l'Afr. du Nord, N° 40, 1949.

- Rapport sur les travaux du service des monuments historique de l'Algérie, 1918- 1923.

- **BARBIN (P.):**
  - La grotte du Kef-el-Agab (Tunisie) Libyca anthrop. Archéol. préhistorique, T. 1, 1953.
- **BAYET (J)**
  - L'omen dans du cheval à Carthage dans revue des études latines XIX; 1941.
- **BECKER (H.):**
  - Essai sur le Madracen dans Annuaire de la société archéologique de Constantine 1854 – 1855, PP. 108 – 118.
- **BERBRUGGER (A.):**
  - Chroniques archéologiques à Roknia, rev. Afri., T. VIII, 1864.
  - Le tombeau de la chrétienne dans rev. Afri, T. 11, 1867.
  - Le tombeau de la chrétienne d'apres Shaw et Bruce dans rev. Afri. T. 10. , 1860.
- **BERNARD (CDT.):**
  - Les Djedars de la haute Mina, rev. Afri., T. IX, 1865.
- **BERNELLE (R.):**
  - Vestiges Antiques de la commune mixte de l'oued cherf R. S.A.C. 1892.
- **BERTHIER (A.):**
  - Les bazinas de Tiddis libyca, T. IV, 1956.
  - Chronique archéologique à Roknia, rev. Afri. , T. VII, 1964.
  - La numidie, Rome et le Maghreb, Paris 1981.
  - La chapelle aux dolmens de mohidjiba, rev. Afri. 1956.
  - A Tiddis antique , A. N. A. P, Alger 1991.
- **BERTHIER (A.) ET LEGLAY (M.),**
  - Le sanctuaire du sommet et stèles à Baal- Saturne de Tiddis, Libyca, VI, 1958, PP. 23 – 58.
- **BERTHIER (A.) ET CHARLIER (R.),**
  - Le sanctuaire punique d'El-Hofra à Constantine , A. G. M., Paris 1958.
- **BERTRAND (A.):**
  - Monuments dits celtiques de la province de Constantine R. A.R., 2ème série, T. T. VIII, 1863.
  -

- **BERTRANDY (F.) ET SZNYCER:**
  - Les stèles puniques de constantine, Paris, 1987.
- **BLANCHERE (R. DE LA):**
  - Voyage d'étude dans une partie de la mauritanie césarienne dans archives des missions scientifiques et littéraires 3ème série, T. X, Paris, 1883.
- **BLOCHET (E.):**
  - Etudes sur l'histoire religieuse de l'Iran, L'ascension au ciel du prophète Mohamed dans R. HR., 1899.
- **BONNELL (M.):**
  - Monuments gréco-puniques de la Soumaa dans R.S.A.C., T.XLLX, 1915.
- **BORDIER**
  - Les Djedars dans rev. Afri., T. IX, 1865.
- **BOSCOE (J.) ET SOLIGNAC (M.):**
  - Notice sur les vestiges préhistoriques de commune de Khroub, R.S.A.C., T. XLV, 1911.
- **BOURGUIGNAT (GR.):**
  - Les Monuments symboliques du l'Afrique du Nord, Paris, 1868.
  - Histoire malacologie de régence de Tunisie, Paris, 1868.
  - Histoire de djabel Taya, Paris, 1868.
  - Histoire des monuments mégalithiques de Roknia prés de hammam Maskhoutine, Paris, 1870.
- **BROUNO (C.I.):**
  - Mémoire sur les fouilles excutées au Madracen mausolée des rois de numidie dans R.S.A.C., T.16, 1873- 1974.
- **Bertholon et Chantrer (E.):**
  - Recherches anthropologiques dans la berterie orientale, (Tunisie, Algérie), Lyon, 1931.
- **BRUNON (G.):**
  - Notice sur les dolmens et tumulus de l'Algérie, R. S. A.C., 1867 – 77.

- C -

- **CAMPS (G.):**
  - Corpus des poteries modelées, A.M.G., Paris 1964.
  - Aux origines de la berberie Monuments et rites funéraires protohistriques,Pparis A.M.G., 1962.
  - Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et sahara, éd. Dion 1974.

- Les dolmens de Beni mesous, dans lybica, T. 1, 1953.
- Nouvelles observations sur l'archétecture et l'âge du Madracen, mausolée, royal de numidie, C. R. A.I., 1973.
- Mausolées princiers de Numidie et de Maurétanie.
- Rex gentium Maurorum et romanorum recherches sue les royaume de Maurétanie des vie et Ville siécles ant 1020, 1984.
- Monuments et rites funéraires protohistoriques arts et métiers graphiquies, Paris, 1962.
- Massinissa ou les débuts de l'histoire, imprimerie officielle, Alger1961.
- La nécropole de Draria El-Achour, Libyca, archéol., épigraph., T. III, 1955.
- Céramiques des monuments mégalithiques collection du musée du Bardo, Alger, 1952.
- Aux origines de la barbarie, Monuments et rites funéraires protohistoriques, Paris, 1961.
- Données nouvelles sur les tombeaux du Djebel Mistiri, Libyca, T. VI-VII, 1958 – 59.
- A propos d'une étude sur la protohistoire de la Tunisie, Libyca, TXI, 1963.

- **CAMPS (G), (H.):**
  - La nécropole mégalithique du djebel Mazela à Bounouara, éd. A.M.C., Paris, 1964.

- **CHABASSIERE (J.):**
  - Ruines et dolmens du forrtas et de ses forts R.S.A.C., T.XXIV. 1886-1887.

- **CHABOT (B.):**
  - Recueil des inscriptions libyques, N°2, Paris, 1941.

- **CHABRACIER (G.):**
  - Ruines et dolmens du fartas, R.S.A.C., T. IXIII, Paris, 1879-1880.

- **CHARBONNEAU (A.):**
  - Excursion dans les ruines de Miliv, Sigus, Sila , R.S.A.C., T. XII, 1868.

- **CHILD (V. C.)**
  - L'étude préhistorique, Paris, 1962.
  - L'euroupe préhistoire, Paris, 1962.

- **CHIRSTOFLE (M.):**
  - Rapport de fouilles, 1933 – 1936.
  - Le tombeau de la chrétienne, Paris, 1951.

▪ **CHOPPY;:**
- Prise de date pour nouveaux sites de gravures et peintures rupestres de Constantine anthrop Ethnogr; T. XIV; 1966.

▪ **CINTAS (P):**
- Contributions à l'étude de l'expension carthaginoise au Maroc, Paris 1954.
- Fouilles puniques à Tipasa, rev. Afri., T.XII, 1948.

▪ **COCQUERILLAT,:**
- Les masse d'armes d'aprés les textes dans revue d'assyriologie et d'archéolol . orientale, T. XLVII, XLVI, 1952.

COURTOIS (C.):
- Les vandales et l'Afrique.

▪ **CUMONT (F.):**
- Lux Perpetua; XXI; P.415.

- D -

▪ **DEBRUGE (A.):**
- Bougie compte rendu des familles faites 1904, R.S.A.C., T. XXXIX, 1905.

▪ **DEBRUGE (A.) ET JOLEAUD (J.):**
- Contribution à l'étude de la nécropole mégalithique de Bounouara, R.S.A.C., T. L, 1916.

▪ **DECRET (F.) ET FANTAR (M.H.):**
- L'Afrique du nord dans l'antiquité, Payot, Paris, 1981.

▪ **DELEAU (P.):**
- Etude géologique des régions de jemmappes hammam meskhautine, T. II, Alger, 1938.

▪ **Dessigny:**
- Notice sur quelques monuments de la région d'Ain Safra, B.A.C., 1908.

- E -

▪ **EUZENNAT (M.):**
- L'archéole marocaine en 1955 – 1957, bull d'archéol, marocaine, T. II, 1957.

- F -

- **FAIDHERBE (G.):**
- Recherche Anthropologie sur les tombeaux mégalithiques de Roknia B.A.H., T.IV 1868.
- Nécropole mégalithique de Mazella bull. de l'Acad. D'hippone T. X,1868.
- Nécropole mégalithique de Mazela, sur la route de constantine à Guelma, bull. de l'Acad. D'hippone , T.V., 1868.
- Les Dolmens d'Afrique congrés international d'Anthropologie et d'Archéologie préhistorique 6ème séssion, Bruxelles, 1872.

- **FEREAUD (L.):**
- Monuments dits celtiques de la province de Constantine R. S. A.C., T. 8, 1863.
- Recherches sur les monuments, dits celtiques dans la province de Constantine, R.S.A., T. VII, 1863.

- **FERJAOUI (A.):**
- Recherches sur les relations entre l'orient phénicien et Carthage, éd. beit al - hikma, Carthage, Tunisie 1991.

- **FLAMAND (G.B.M.):**
- Les pierre ecrites (Hadjrat Mektoubat) gravures et inscriptions rupestres du Nord - Africain; Paris; Masson; 1921.
- Deux stations nouvelles de pierres écrites l'anthrop; T. XXV; 1914

- **FOUVELLE (DR.):**
- "Quelques Considération sur les tombeaux de Roknia" A. F. A. S., Paris 1890.

- **FOY:**
- Notice archéologique sur le medracen, 1855- 1856,.

- G -

- **GANDOLOPHE (P.):**
- A propos d'une monnaie.du musée de Constantine ; dans cahiers de byrsa; 1951.
- **GOBERT (E.G.):**
- Les poteries modelées du paysan tunisien R.T. 1950 fig. 23.

- **GOBERT (E.G.) ET CINTAS (P.):**
- Cmirat, rev. Tunis 1941.

▪ **GOTY (A.):**
- Dolmens et mégalithiques des Ouled hannech, R. S.A., T.XIII, 1886.

▪ **GOUTIER:**
- Les premiers résultats de la Mission frobenius rev. Afr., T. LXII, 1921.

▪ **GSELL (ST.):**
- Histoire ancienne de l'Afrique du nord, T. 1, Paris 1921.
- Les tumulus de la région de Boughar, B.A.C., 1900.
- Les monuments antiques de l'Algérie, T. 1, 1901.
- Atlas archéologie; Alger 1911.

▪ **GSELL (ST.) ET GRAILLOT:**
- Exploration archéologique dans le département de Constantine ruines romaines au nord des monts de Batna, dans M. E. F. R., T.XIV, 1894.

- H -

▪ **Hérodote IV**, ch. CXC, Trad. gsell.

- J -

▪ **JACQUET:**
- La nécropole dolmanique de Roknia R.S.A.C., T. L, 1916.

▪ **JOLY (A.):**
- Vestiges anciens dans les Beni Smassen, A. F.A.S. 1909.

▪ **Joly (A.) et Joleaud (L.):**
- RUINES et vestiges anciens relevés ans la province de Constantine, R. S. A.C., T. 44, 1910.

▪ **JULLIEN(LT.)**
- Excursion de Henri Martin aux stations mégalithiques des environs de Constantine, R. S. A.C., T. XXII, 1882.

- K -

▪ **KADRA (F.K):**
- Les Djedars Monuments funéraires berbéres de la région de Frenda OPU, Alger 1983.

- L -

▪ **Le Du (R.):**
- Les Tombeaux rendus du Djebel Mistiri, rev. Afr., T. XXXII, 1938.

- **LETOURNEAUX (A.):**
- Sur les monuments funéraires de l'Algérie orientale, archive fur Anthropologie, T. II, 1867.

- **LEZINE (A.):**
- Architecture punique recueil de documents publication de l'université de Tunis, 1960.

- **LOGEART (F.):**
- Grottes funéraires hypogées R S. A.C., T. IXIII.

- M -

- **MAHJOUBI (A.):**
- Les cites romaines de Tunisie société tunisienne de diffusion, Tunis sans date.

- **MARTIN (H.):**
- De l'origine des monuments Mégalithiques rev. Afr.2ème série , T. XVI, 1967.

- **MOKHTAR (G.):**
- Histoire générale de l'Afrique, T. II, Afrique Ancienne Unesco, Paris, 1984.

- **MOUGEL (ABBE):**
- 4 km de promenades Achéologiques de l'algérie et de la Tunisie, musée de Guelma, Paris, 1909.

- P -

- **PALLARY (P.).**
- Instruction pour les recherches préhistoriques dans le n. ouest de l'Afrique, Alger, 1909, ch. XIV.

- **PAMART (H.):**
- Etude sur le Madracen, tombeau de la chrétienne dans rev. Afri. N° 61, 1920.
- **PAYEN :**
- Lettre sur les tombeaux circulaires de la province de Constantine R. S. A.C., T. VIII, 1863.

▪ **PETIT (L.):**
- Note sur les tumulus d'Ain Safra, B. S. G. O., T. XXVI, 1905.

▪ **PINCHON**
- Station de surface et tumulus de la région de Boussuet et du Télegh, département d'Oran, cong. Pré. de France 1936.

▪ **POMPONIUS (M.)**
- De situstoris, chap. IV.

- R -

▪ **RAKOB (F.):**
- Numidishe Kömi gsarchitektur in nord africa dans die numider reiter kömigs und der sahara et reinz guntes horn und christoph B. Ruger bonn 1979.

▪ **RAYMOND (F.):**
- Manuel de préhistoire général, 1958.

▪ **REBOUD (DR.)**
- Chronique rev. Afri., T. 1, 1856.
- Excursion dans la Maouna et ses contre forts, R. S. A. C., 1884.
- Notes sur la nécropole mégalithique de Roknia A.F.A.S., Alger 1881.

▪ **REINACH (S.):**
- Terminologie des monuments mégalithiques 3ème série, T. XXXII, 1883.

▪ **REYGASSE (M.):**
- Les âges de la pierre dans l'Afrique du nord (Algérie) histoire et historiens de l'Algérie 1931.
- Monuments funéraires préislamiques de l'Afrique du nord, éd. Arts et métiers graphiques, Paris 1950.

▪ **ROFFO (P.):**
- Sépultures indigènes préislamiques en pierres séches étude trois mécropoles de l'Algérie centrale, rev. Afri., T. 82, 1983.

▪ **ROMANELLI (P.):**
- La tomba christiana il suo mistero dans archologie classica, T. 2, BAC 1952, P. 274.

▪ **RU GER (C. B.):**
- Die Ceramik des grabe von Es-Soumaa bei El- Khroub, dans Die Numider, éd. Rheinisches , Landes musé un Bonn 1979.

- **RUHLMANN (A.):**
  - Le timulus de Sidi Slimane , bull. de la soc. de préhistoire du Maroc, T. VII, 1939.

- S -

- **SHAW:**
  - Voyages ou observations relatives à plusieurs parties de la Barbarie et ou levant la Hye 1734.
- **SOLIGNAC (M.):**
  - Les pierres écrites de la berberie orientale, Tunis 1928.

- **SOUVILLE (G.):**
  - Les grottes à ossements et industries préhistoriques de l'oust d'Alger Libyca, T. 1, 1953.

- T -

- **THOMAS (PH.):**
  - Mégalithique de Sigus, Matériaux 1878.
  - Recherches sur les supultures anciennes des environs d'Ain el-Bey (pres de Constantine , Algérie) congr. Intern des anthrop, Paris 1818.
  - La Nécropole mégalithique de Sigus bull. de la soc. des phys. climat. d'alger, XIII^{ème} année 1877.
- **TEMPLE ET FABLE:**
  - Relation d'une excursion à constantine, Paris 1838.

- V -

- **VERCOUTTER (J.):**
  - L'Egypte ancienne, Paris 1947.
- **VIRE:**
  - Archéologique du canton du Borj Menail, R. S. A. C., T. XXXII, 1898.

فهرس الأشكال والصور

الصفحة

فهرس أسماء الاعلام، الأماكن الجغرافية والمدن

فهرس أسماء الأعلام:

- أ -

– ب –

– ص –

– ف –

– ق –

– ك –

- ل -

- م -

- هـ -

فهرس أسماء الأماكن الجغرافية

– أ –

– ب –

- ف -

- ق -

- ك -

- ل -

- م -

– ن –

– و –

فهرس أسماء المدن

– أ –

الفهرس

الفـــــصل الرابـــــع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثـــامن

الفصل التاسع

هذا الكتاب

يأتي هذا العمل العلمي المشترك الذي يسدّ فراغا في مكتبتنا العربية، ذلك لأنّ مادته توزّعت بإحكام لتغطي المعالم الحضارية في الشرق الجزائري ابتداء منذ فجر التاريخ الذي برزت فيه مقابر الدفن الحجرية (الميغاليتية) بكامل أنواعها، ثم انتقل فيه الإنسان من سكنى الكهوف تدريجيا إلى سكنى الدعامة "Mapalia" والبيوت الحجرية المستديرة ثم الخيم المتخذّة من جلود الحيوانات وأصوافها وأشعارها...إلخ.

إلى جانب ذلك مارس الإنسان الجزائري القديم فن الرسم على واجهات الصخور وجدران الكهوف ثم النصب والأواني الفخارية، مما جعله يمهد لنقلة حضارية عرفت ببداية الفترة التاريخية وذلك منذ استعماله للكتابة البونية والليبية ثم التيفيناغية وتشييده للموانئ الساحلية والأضرحة النوميدية التي بقيت معالمها تشهد على الاستقرار وبناء أول دولة جزائرية (المملكة النوميدية) التي عرفها تاريخنا القديم منذ الملوك "غايا" ثم "سيفاقس" "وماسينيسا"...إلخ.

ومع هيمنة الرومان التي فرضوها في ظل إديولوجية الرومنة على سكان منطقة شمال إفريقيا، وكذا انحياز مؤرخي الفترة الكولونيالية الفرنسية للحقبة الرومانية اعتقادا منهم بأنها عبارة عن امتداد لأمبراطوريتهم الاستعمارية في عمق التاريخ، فإنّ بصمات الحضارة الأمازيغية الإسلامية العربية لا تزال هي المعيار الذي تتسم به إنسانيتنا المستمدّة من جذورنا التاريخية المتميّزة.

المؤلف

ردمك 4 - 822 - 60 - 9961